حربی اجتهاد له [illegible] الآن شیئک [illegible]

اکفار اولنمایجق ذکر الله ده رقصه حلال

دینن نه وجهله اکفار اولنور الجواب

کافرک کمری کافردن

کافرده بیکچوندر

[illegible] اوالی اذ یأخذ

[illegible] فاختفی بعضهم وظفر

[illegible] الی ببعضهم فقالت المختفون

الذین وجدهم الوالی لا تطلبوهم

علینا وما اصابکم فهو علینا بالحصص

[illegible] اخذ الوالی منهم شیئا فلهم الرجوع خلاصه

صاحبه حافظ مصطفی بن عمر

3

الجزء الاول

[illegible] ما اشتراه العبد الاحقر

محمد الشهير [illegible]

في الدارين [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اللهم صلي علي سيدنا محمد واله
الحمد لله الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا • فتحدي باقصر
سورة من سوره مصاقع الخطبا من العرب العربا فلم يجد به قديرا • والحم من
تصدي لمعارضته من فصحا عدنان وبلغا قحطان حتي حسبوا انهم سحروا
تسحيرا • ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا • فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن
ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا • وابرز غوامض
الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلي لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس
الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا • ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص
الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا • فمن كان له قلب
او القي السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه
واطفا نبراسه يعيش ذميما ويصلي سعيرا • فيا واجب الوجود ويا فايض الجود
ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناه وتجازي عناه وعلي من اعانه
وقرر تبيانه تقريرا • وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم
وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا • اما بعد فان اعظم العلوم مقدارا • وارفعها
شرفا ومنارا • علم التفسير الذي هو رييس العلوم الدينية وراسها • ومبني قواعد
الشرع واساسها • لا يليق لتعاطيه • والتصدي للتكلم فيه • الا من برع في العلوم
الدينية كلها اصولها وفروعها • وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية
بانواعها • ولطالما احدث نفسي ان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي علي صفوة
ما بلغني من عظماء الصحابة وعلما التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين
وينطوي علي نكت بارعة • ولطايف رايعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل
المتاخرين • واماثل المحققين • ويعرب عن وجوه القراات المعزية الي
الايمة الثمانية المشهورين • والشواذ المروية عن القرا المعتبرين • الا ان قصور
بضاعتي يثبطني عن الاقدام • ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام • حتي سنح
لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي علي الشروع فيما اردته • والاتيان بما قصدته

ناويا

ناويا ان اوسمه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل • فها انا الان
اشرع وبحسن توفيقه اقول • وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسول • سورة
الفاتحة وتسمي ام القران لانها مفتتحه ومبداه فكانها اصله ومنشاوه
ولذلك تسمي اساسا اولانها تشتمل علي ما فيه من الثنا علي الله تعالي و
التعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او علي جملة معانيه من الحكم
النظرية والاحكام العملية • التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
علي مراتب السعدا ومنازل الاشقيا • وسورة الكنز والوافية والكافية
لذلك • وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسالة لاشتمالها عليها
والصلاة لوجوب قرااتها او استحبابها فيها • والشافية والشفا لقوله عليه
الصلاة والسلام هي شفا لكل دا • والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق
الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثني في الصلاة
او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت
القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالي ولقد اتيناك سبعا من المثاني
وهو مكي بالنص • بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة وعليه قرا مكة و
الكوفة وفقهاوهما وابن المبارك والشافعي رحمه الله تعالي وخالفهم
قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاوها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو
حنيفة رحمه الله تعالي فيه بشي فظن انها ليست من السورة عنده وسيل
محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالي لنا احاديث كثيرة
منها ما روي ابو هريرة رضي الله تعالي عنه انه عليه الصلاة والسلام قال
فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة
رضي الله عنها قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها اية براسها
او بما بعدها والاجماع علي ان ما بين الدفتين كلام الله تعالي والوفاق
علي اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتي لم تكتب امين
والبا متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقرو ولذلك

يقيم كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما
يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقدير المعمول ههنا اوقع
كما في بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل
في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراة كيف وقد جعل
الة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله
عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله تعالى فهو ابتر وقيل
ان البا للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده الى اخر السورة
مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال من
فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم
الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل
بينهما وبين لام الابتدا والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسما التي حذفت
اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها
همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد
له تصريفه على اسما واسامي وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال والله
اسماك سمى مباركا اثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه
من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم
حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم
تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم
الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف
من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمى
لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه
كما يجب تنزيه ذات الله تعالى وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ
الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن

الاشعري

كوجود

الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره
والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف
على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله
اله فحذفت الهمزة وعوضت عنها الالف واللام ولذا قيل يا الله بالقطع
الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود
بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله
واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته جل جلاله او من
الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمين بذكره والارواح تسكن
الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العايذ
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ
العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله
وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال
الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل
اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب
عن الادراك بالابصار ومرتفع عن كل شي وعما لا يليق به ويشهد له قول
الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا
يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله
توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في
اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا
والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم
تطرق احتمال الشركة فيه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي
او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على
مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى

معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى
والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية
فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما
قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا
تنعقد به صريح الايمان وقد جا لضرورة الشعر ٭ الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال ٭ الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان
من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي
بنقل فعل بكسر العين الى فعيل بضم العين
التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسما الله تعالى انما تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن
ابلغ من الرحيم لان زيادة البنا تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار
وكبّار وذلك انما يوخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية
فعلى الاول قيل يا رحمان الدنيا لانه يعم المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه
يختص بالمومن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم
والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار
كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة
غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه
يريد به جزيل ثواب او جميل ثنا او يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب
او ينيل نعمة تنبيه
ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها
والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل
الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل
على جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف
له او للمحافظة على روس الآي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه
بالله تعالى ان يكون له مونث على فعلا او فعلانة الحاقا له بالاغلب في بابه
وتخصيص التسمية بهذه الاسما ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في

مجامع

مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها
وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشتغل
سره بذكره والاستمداد به عن غيره ٭ الحمد لله ٭ الحمد هو الثنا على الجميل الاختياري
من نعمة او غيرها والمدح هو الثنا على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على
علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر
مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال ٭ افادتكم النعما مني ثلاثة ٭ يدي
ولساني والضمير المحجبا ٭ فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه اخر ولما كان
الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفا الاعتقاد وما في آداب
الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام
الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتدا وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل
عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من
المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا يكاد يستعمل معها والتعريف فيه
للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ
الحمد في الحقيقة كله لله اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط
كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ
الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا بمنزلة كلمة واحدة ٭ رب
العالمين ٭ الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيا فشيا
ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو
رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم
لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه
من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته يدل
على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلا منهم

فجمعه باليا والنون كسابر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملايكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ها هنا فان كل واحد منهم
عالم من حيث انه يشتمل على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها
الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون وقري رب العالمين بالنصب على المدح او الندا او بالفعل
الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال
حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقايها • الرحمن الرحيم • كرره للتعليل على ما
سنذكره • مالك يوم الدين • قراه عاصم والكسايي ويعقوب ويعضده قوله
يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار
لانه قراة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك
هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شا من الملك والملك هو المتصرف بالامر
والنهي في المامورين من الملك وقري ملك يوم الدين بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا
على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضاف بالرفع والنصب ويوم الدين يوم
الجزا ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسه • ولم يبق سوى العدوان • دناهم
كما دانوا • اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراله مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم • يا سارق الليلة اهل الدار • ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة
ونادي اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون
الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة
وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما
لتعظيمه او لتفرده بنفوذ الامر فيه واجرا هذه الاوصاف على الله تعالى
من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها
عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه تعالى
الحقيق بالحمد لا احد احق منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب
الوصف على الحكم يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من

لا يتصف

لا يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا
على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية
والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه
ايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد
والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين
الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين • اياك نعبد واياك نستعين • ثم
انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن ساير الذوات
تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة
والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان
والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول صار مشاهدا
والغيبة حضورا بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر
والتامل في اسمايه والنظر في الايه والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه
وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير
من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول
من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
بريح طيبة وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول
امرء القيس • تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد • وبات وباتت
له ليلة • كليلة ذي العاير الارمد • وذلك من نبا جاءني • وخبرته عن ابي الاسود
وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من اليا والكاف والها حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتا في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل
هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العامل تعذر النطق بها مفردة فضم

اليها اياك لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرى اياك بفتح الهمزة وهياك
بقلبها ها والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل
وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع
لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية
ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة ومادة يفعل
بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف
بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في
السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا
القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات
كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقاري ومن معه
من الحفظة وحاضري الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف
عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو
مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا
وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث
انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق له وصوله
اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ
نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه وذلك
فضل ما حكاه الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه
حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به
لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة لتتوافق رؤوس الاي وليعلم منه ان
تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة
الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك
نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه

وتوفيق

وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون
فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى اليا اذا لم ينضم
ما بعدها ٭ اهدنا الصراط المستقيم ٭ بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف
اعينكم فقالوا اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف
ولذلك يستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على
التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله
ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه
وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا تحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة
الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتدا الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلايل
الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه
النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ايمة
يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
على قلوبهم السراير ويريهم الاشيا كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة
وهذا قسم يختص بنيله الانبيا والاوليا واياه عنى بقوله اوليك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب
اما زيادة ما منحوه من الهدى والثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه
فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات
احوالنا وتميط به غواشي ابداننا لنستضي بنور قدسك فنراك بنورك والامر
والدعا يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلا والسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابله ولذلك سمي
لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطا في الاطباق
وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير برواية
قنبل وورش عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو

لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير
والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام • صراط
الذين انعمت عليهم • بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه
المقصود بالنسبة وفايدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو
المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له
فكانه من البين الذي لا خفا فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين
وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل
التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في
الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي
اللين ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فهي منحصرة في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي
والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من
القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي تزكية النفس عن
الرذايل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر
ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلا عليين مع الملايكة المقربين ابد الابدين
والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما
عدا ذلك يشترك فيه المومن والكافر • غير المغضوب عليهم ولا الضالين • بدل
من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة
مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجرا الموصول مجرى
النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني •
وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه
اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون

وعن

وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني
او بالاستثنا ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة
الانتقام فاذا اسند الى الله اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم
في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير
من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا
زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ
وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطا وله عرض
عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود
لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله
تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا الاية وقد روي مرفوعا ويتجه
ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم
عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من
اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله
تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في
الهرب عن التقا الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال
افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجا مد الفه وقصرها قال
ويرحم الله عبدا قال امينا • وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا • وليس من
القران اتفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمني
جبريل عليه الصلاة والسلام عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم
على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله تعالى عنه امين خاتم رب العالمين
ختم به دعا عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل بن
حجر انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع
بها صوته وعن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه لا يقوله والمشهور عنه انه

بخفيته كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يومن معه لقوله عليه الصلاة
والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة تقول امين فمن
وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل
في التوراة والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب
انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذا اتاه ملك فقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله
تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة • سورة البقرة مدنية وآيها
مايتان وسبع وثمانون ۝ بسم الله الرحمن الرحيم الم • وساير الالفاظ التي
يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم
واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها
وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من انه عليه
الصلاة والسلام قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر
امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى
الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله
سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها
ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف
لتعذر الابتدا بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد
موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل
ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهو
ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي يتركب منها افتتحت السور

بطايفة

بطايفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم
مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم
وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا
بنوع من الاعجاز فان النطق باسما الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة
سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق في فنه وهو انه
اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم
تعد فيها الالف حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها
الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد
على مخرجها ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحا والها والصاد والسين
والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية
المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة
يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطا والضاد والظا
نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند
خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين اليا لانها
اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد بها الصوت في الحنك الاعلا
وهي سبعة القاف والصاد والطا والخا والغين والضاد والظا نصفها
الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما
ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها احد طويت منها الستة السابقة
المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في
اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفا في جدف والعين في عن والتا
في تروع للدلو والبا في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة
الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في
المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والها والغين والصاد والطا والميم واليا
والخا والعين والضاد والظا والسين والزاي والفا والواو نصفها الاقل ومما

يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقيه نصفها الاكبر الحا والقاف والكاف والراء
والشين والنون واللام لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي
لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والشين والفا
نصفها ولما كانت الحروف الذلقيه التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة
يجمعها رب منفل والحلقيه التي هي الحا والخا والعين والغين والها والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية
ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على
ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثوره
بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا
بان المتحدي به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين
فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام
الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف
كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم وفي تسع سور
لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من
واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من
جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة
تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة
للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر
وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد بأجمعها
في اول القران لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة
فيه والمعنى ان هذا المتحدي به مولف من جنس هذه الحروف والمولف منها الذا
وقيل هي اسما السور وعليه اطباق الاكثر سميت به اشعارا بانها كلمات
معروفة التركيب فلولم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون
معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
المهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهديا ولما

امكن

امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها
على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما
وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان
القران نزل على لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها
اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله • قلت لها قفي فقالت قاف •
لا تحسبي انا نسينا الايجاف • كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه
قال الالف الا الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها
الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه
ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله
تعالى بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او الى مدد اقوام واجال بحساب
الجمل كما قاله ابو العاليه متمسكا بما روي انه عليه الصلاة والسلام لما
اتاه اليهود تلى عليهم الم البقره فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته
احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل
غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان
تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على
ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربيه لكنها لاشتهارها فيما بين الناس
حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة
على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسما الله
تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسما السور يخرجها الى ما
ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسما فصاعدا مستنكرة عندهم
ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث
ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة
للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف تلزمها وغيرها من حيث
انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك الا ان يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل

للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول بن عباس فتنبيه
على ان هذه الحروف منبع الاسما ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا يري
انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون
غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فيلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه بجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان
غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشيا لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اشيا
انما يمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت
نثر اسما العدد فلا وناهيك بتسويه سيبويه بين التسمية بالجملة
والبيت من الشعر وطايفة من اسما حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته وموخر باعتبار كونه اسما
فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من
لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسما القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب
والقران وقيل انها اسما الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله تعالى عنه كان
يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق
وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو
اخرها جمع بينها ايما الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره
ذكر الله تعالى وقيل انها سر استاثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفا
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين
الله تعالى ورسوله ورموز لم تقصد بها افهام غيره اذ تبعد الخطاب ما لا يفيد
فان جعلتها اسما الله تعالى او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما
الرفع على الابتدا او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله ن
لا فعلن بالنصب او غيره كما ذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب
لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية
ليس لا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شا الله تعالى وان

بقيتها على معانيها فان قدرت بالمولف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتدا
او الخبر كما مر وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على
اللغتين في الله لا فعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان
جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلا منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل
من الاعراب كالجملة المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف
التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شي منها اية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وحم
ويس اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال
للقياس فيه • ذلك الكتاب • ذلك اشارة الى الم ان اول بالمولف من
من هذه الحروف او فسر بالسورة او بالقران فانه لما تكلم به وتقضي
او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار الى
البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او
صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب
الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل بني للمفعول كاللباس
ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع
ومنه الكتيبة • لا ريب فيه • معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا
يرتاب فيه الا يري الى قوله تعالي وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية
فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح لهم وهو ان يجتهدوا في
معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيه غاية جهدهم حتى اذا عجزوا تحقق لهم
ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين
وهدي حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي
والريب في الاصل مصدر رابني الشي اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس
واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث

دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان
لنوايبه. هدى للمتقين. يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى
والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة
قال الله تعالى لعلى هدى او فى ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى
الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون
بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار
قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله
فى تدبر الايات والنظر فى المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ
الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا
يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
وهو فى عرف الشرع اسم لمن تقى نفسه عما يضره فى الاخرة وله ثلاث مراتب
الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم
كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند
قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان
الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة
او مقدر بالمولف منها وذلك خبره وان كان اخص من المولف مطلقا والاصل
ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المولف الكامل فى تاليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون
الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفة ولا ريب
فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس

العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قراءة ابى الشعثاء
مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى لا فيها
غول لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب فيه من بين ساير الكتب كما قصد
ثمه او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف
كما فى لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره
على معنى انه الكتاب الكامل الذى يستاهل ان يسمى كتابا او صفته
وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا على الكتاب صفة والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة
تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت
على ان المتحدى به هو المولف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب
جملة ثانية مقررة لجهة التحدى بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى
للمتقين فيما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او
يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه
لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا
عن معارضته استنتج انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا
يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفى كل واحد منها نكتة ذات جزالة ففى
الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفى الثانية فخامة التعريف
وفى الثالثة تاخير الظرف حذرا من ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف
والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما
لشانه. الذين يومنون بالغيب. اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة
مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على

التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة
وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية
المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين
والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب
واقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم
التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما
مفصول عنه مرفوع بالابتدا وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين
تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق
امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالبا لتضمنه معنى الاعتراف
وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان
اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يومنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق
بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند
جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن
اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج
وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه
التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان وقلبه مطمين بالايمان ولم تومن قلوبهم ولما يدخل الايمان في
قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال
وان طايفتان من المومنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه
اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الاية اذ المعدى بالبا هو التصديق
وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او

لابد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند
اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به
للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم
الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمين من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا
او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه
بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع
وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته
صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير
ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يومنون غايبين
عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم او عن المومن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي
لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل
المراد بالغيب القلب والمعنى يومنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم فالبا على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للالة • ويقيمون الصلاة • اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ
في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال • اقامت غزالة سوق
الضراب • لاهل العراقين حولا قميطا • فانه اذا حوفظ عليها كانت
كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادايها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه
اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يودونها عبر عن ادايها
بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه
على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها

الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن
صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض
الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعى كالزكاة من زكى كتبتا بالواو
على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعا وقيل اصل
صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في
المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي
مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد • ومما رزقناهم ينفقون •
الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما
استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر
بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق هاهنا
الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب
المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا
الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص
ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك
من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي
به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت
كل ما فاؤه نون وعينه فاء دال على معنى الذهاب والخروج والظاهر من
هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسر بالزكاة
ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم
المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه
للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم

الرزق لا يتناول

الله تعالى

الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
به من انوار المعرفة يفيضون • والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك • هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون
على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين
تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار وهؤلاء مقابلوهم
فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه
او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من
اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون
بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات
البدنية والمالية وبين الايمان لما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول
تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طايفة منهم وهم مؤمنوا
اهل الكتاب وذكرهم مخصصين على الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة
اشارة بذكرهم وترغيبا لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو
انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب
الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او
يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل
اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان
كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة
الواقع ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا
جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ منزلا كله وما انزل من قبلك التوراة
والانجيل وغيرهما من ساير الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين
وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض

تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم

ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل واحد يوجب الحرج وفساد المعاش • وبالاخرة
هم يوقنون • اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في
نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم
الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم
في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك
والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا
العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك
الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقا حركتها
على اللام وقرى يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى
المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذا اضاءهما
الوقود • اولئك على هدى من ربهم • الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين
مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا
بذلك فاجيب بقوله الذين يومنون بالغيب الى اخر الايات والا فاستيناف
لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سايل قال
ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة هاهنا
كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وما هو ابلغ من ان يستانف باعادة
الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف
ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى •
واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشي وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى
الجهل والغوي واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر
وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى
للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة في الضحى على خالد لقد وقعت على لحم • واكد تعظيمه

بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الرا بغنه وبغير غنة • واولئك
هم المفلحون • كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منها كاف في تميزهم بها عن غيرهم
ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين هاهنا بخلاف قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهايم شي واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف
وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويوكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء
والجيم الفايز بالمطلوب فانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما شاركه في الفا والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون
في الاخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
تنبيه تامل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما
لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز
وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفا
اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس
على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا • ان الذين كفروا • لما ذكر خاصة عباده
وخالصة اوليايه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح وعقبهم باضدادهم
العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الايات والنذر
ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت
في ذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبنا على
الفتح ولزوم الاسما واعطا معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين

ولذلك اعملت عمل الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل
دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية الاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء
الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها
فتعين اعمال الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها
القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن ذي
القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن قيامه
وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه وان عبد الله لقايم جواب منكر
لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب
وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا كل من صمم على الكفر
وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور
وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجي الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد
لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها ٥
واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ المضي على حدوثه لاستدعايه سابقة
مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام
كما في العلم • سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم • خبر ان وسواء اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر فان الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان
الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك
وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له
اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع
فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه لقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا وقوله

يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل
بها هنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام
عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد
الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله
وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع
المضار اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى
وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا
وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يودي الى جمع الساكنين على غير حده
وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها • لا يؤمنون • جملة
مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال موكدة او بدل
عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من
جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون ٥
وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم
لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع
للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره
تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفايدة الانذار بعد العلم بانه
لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه الصلاة والسلام فضل الابلاغ
ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان
اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات • ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة • تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه
والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له

والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه
اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب
الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم
في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق
واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم
لا تجتلي لها الايات المنصوبة في الانفس والافاق كما تجتليها اعين
المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها
على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها
باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر
عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت
اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها
بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية
ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه
فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني
ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم حتى خلقها الله تعالى خالية عن
الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقا اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل
الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند
اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم

ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار
على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الاضلال والبغي الخامس ان يكون
حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم لقوله تعالى لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما
اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما والسابع ان المراد بالختم وسم
قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج
كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم
معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه
ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما
الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة
جعل المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل
على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل واحد منهما بالحكم ووحد السمع
للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على
تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد
يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية
العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد
يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وانما جاز امالتهما مع الصاد لان الرا المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من
التكرير وغشاوة رفع بالابتدا عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش
ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم
غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة [illegible] الضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر
مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة ولهم عذاب

قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذا ما بعث الله نبيا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها [illegible]

عظيم • وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناءً ومعنىً تقول اعذب
عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخًا وفراتًا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالًا
اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير
نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف
به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى
التنكير في الاية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي
عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى •
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر • لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح
حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطات
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم
يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم
الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله
تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم
عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان واناس
واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما وقوله • ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا • شاذ وهو
اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون
بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن
جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس
ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها
ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في

عداد

عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا
يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف
فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من
الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به من النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر
ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها
غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين
انهم امنوا بمثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان
ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء
ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد
ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي
والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان
يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة • وما هم
بمؤمنين • انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق
قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في
التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في
ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من
الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان
من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من
تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا خلافا للكرامية
ولا المنافق فلا ينتهض حجة عليهم • يخادعون الله والذين امنوا • الخدع ان
توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع

الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم
خرج من باب اخر واصله الاخفا ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين
في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى ليس على ظاهره
لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة
رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث
انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله معهم باجرا احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمومنين
امر الله في اخفا حالهم واجرا حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او
استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا
مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به سواهم من الكفرة
وان يفعل بهم ما يفعل بالمومنين من الاكرام والاعطا وان يختلطوا بالمسلمين
فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض
والمقاصد • وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو والمعنى
ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا
انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة
وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون
لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البنا للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشي وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي
به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها

اليه

اليه وللراي في قولهم فلان توامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره
وتشير عليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم
• وما يشعرون • لا يحسبون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال
الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على ماوف
الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه
الشعار • في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا • المرض حقيقة فيما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض
النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضايل او مودية الى زوال الحياة الحقيقية
الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم
من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلا شانه يوما
فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلا امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت
موفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعادات النبي عليه الصلاة والسلام
ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف
النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان
يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين
وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه
بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعدا وتبسطا في البلاد
ولهم عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به
العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
• بما كانوا يكذبون • قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم
او ببدله جزا لهم وهو قولهم امنا وقرا الباقون يكذبون من كذبه لانهم
كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم
او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشي وموتت البهايم

او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد
والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق
العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب
ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
• واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض • عطف على يكذبون او يقول وما روي
عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين
كانوا فقط وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير
الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان
كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة
المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يودي الى فساد
ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة
في الدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل
بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين • قالوا انما نحن
مصلحون • جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن
شوايب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في
قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا • الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون • رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به
وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم
واختها اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين ۝
والاستدراك بلا يشعرون • واذا قيل لهم امنوا • من تمام النصح والارشاد

فان كمال

فان كمال الايمان مجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا
تفسدوا والاتيان لما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا • كما امن الناس • في
حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل
فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة
به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن
هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله • اذ الناس
ناس والزمان زمان • او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من
اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص ۝
متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة
الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد • قالوا انومن
كما امن السفهاء • الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس ۝
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم
او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام
واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم
يقابله • الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون • رد ومبالغة في تجهيلهم
فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما
فصلت الاية بما لا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر
السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى
تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم • واذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا • بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه
لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه ۝

خرجوا ذات يوم الخ

عبد الله ابو

استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردهولاء السفها عنكم ۞
فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تميم وشيخ الاسلام وثاني رسول
الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد
عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء ۞
المصادفة يقال لاقيته ولقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى • واذا خلوا الى شياطينهم
من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى
عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالي
لتضمين معنى الانها والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم
وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليه للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين
والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن
اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة
على انه من شاط اذا بطل ومن اسمايه الباطل • قالوا انا معكم • اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة ۞
الاسمية الموكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان و
بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من
عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المومنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال
في الايمان على المومنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
• انما نحن مستهزءون • تاكيد لما قبله لان المستهزي بالشي المستخف به
مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف
فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون
المومنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف
يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء

وهو

وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي
تسرع وتخف • الله يستهزئ بهم • يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما المقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزي بهم او ينزل بهم الحقارة
والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او للغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزي
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في
النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار
بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استانف ولم
يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم
وان استهزاءهم لا يوبه به في مقابلة ما يفعل الله تعالى بهم ولعله لم يقل الله
مستهزي بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد
حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله تعالى فيهم كما قال ولا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين • ويمدهم في طغيانهم يعمهون • من مد
الجيش اذا زادهم وامدهم وقواهم ومنه مددت السراج والارض اذا
استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يتعدى باللام كاملى
له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام
على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم
بسبب كفرهم وسد طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم
رينا وظلمة تزايد قلوب المومنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من
اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب
واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ۞
ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم
يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا
ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه

كما في قوله واختار موسى قومه او والتقدير يمدهم استصلاحا ومع ذلك يعمهون
في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كاللقيان واللقيان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الما حملناكم
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه • اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى • اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن
لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه
لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشترا والا فاي العوضين تصورته
بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد
ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سوا كان من المعاني او الاعيان
ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل
العمر عمرا جيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا • ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة
عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله تعالى لهم
بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا
الضلالة واستحبوها على الهدى • فما ربحت تجارتهم • ترشيح للمجاز لما
استعمل الاشترا في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه • ولما
رايت النسر عز ابن داية • وعشش في وكريه جاش له صدري • والتجارة
طلب الربح بالبيع والشرا والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا
واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او
لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران • وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا
الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما
اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس
مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن
الربح فاقدين للاصل • مثلهم كمثل الذي استوقد نارا • لما جاء بحقيقة حالهم

عقبها

عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع
للخصم الالد لانه يريك المتخيل متحققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر
الله تعالى في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبيا والحكما والمثل في الاصل
بمعنى النظير يقال مِثل ومَثَل ومثيل كشِبه وشَبَه وشبيه ثم المقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه
من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله الاسما الحسنى والمعنى
حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم
يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي
هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء
منه فحقه ان لا يجمع كما لم تجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين
جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جا بالياء ابدا على اللغة
الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف
ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسما الفاعلين
والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله • اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن
ان يكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشيا واماكن او الى ضمير
النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف
وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور • ذهب الله بنورهم •
جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم
يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل
يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل

علي سبيل البيان والضمير علي الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله
تعالي فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالي اما
لان الكل بفعله اولان الاطفا حصل بسبب خفي وامر سماوي كريح اومطر اوت
للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالبا دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحا
والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه وما اخذه
وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضي اللفظ الي النور
فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاما يسمى
نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان
وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى
مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر
السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما
منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة
يوم القيامة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
اوظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالي وظلمة العقاب السرمد اوظلمة شديدة
كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكان الفعل
غير متعد والاية مثل ضربه الله تعالي لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل
به الي نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية
الاولي وتدخل تحت عمومه هولاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الي شياطينهم ومن اثر
الضلالة علي الهدى المجعول له بالفطرة اوارتد عن دينه بعدما امن ومن صح
له احوال الارادة فادعي احوال المحبة فاذهب الله تعالى عنه ما اشرق عليه
من انوار الارادة اومثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة

للاستضاءة

للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشا حالهم باطفا الله
تعالي اياه واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الي
الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا
كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت
به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشي الذي لا اريده واسمع خلق
الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من
شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار
منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد
اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم
التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة
في السماء وها هنا وان طوى ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به
ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخا تنفر من صفير الصافر هذا
اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان
جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب
الله تعالي بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت
حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول
تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزا ومنه قيل حجر اصم وقناة
صما وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون
باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هوا يسمع الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم
البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه
اوعن الضلالة التي اشتروها اوفهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام
يتاخرون الي حيث ابتدوا منه كيف يرجعون والفا للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم اوكصيب من السماء عطف
على الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في

اذا انضم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما
او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان
ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة
بهاتين القصتين وانهما سوا في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر
وللسحاب قال الشماخ • واسحم دان صادق الرعد صيب • وفي الاية يحتملها
وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السما للدلالة على ان
الغمام مطبق اخذ باقاق السما كلها فان كل افق منها يسمى سما كما ان كل
طبقة منها سما • ومن بعد ارض بيننا وسما • امدّ به ما في صيب من المبالغة
من جهة الاصل والبنا والتنكير وقيل المراد بالسما السحاب فاللام لتعريف
الماهية • فيه ظلمات ورعد وبرق • ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة
تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في علاه ومنحدره متلبسين به وان اريد به السحاب فظلماته
سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد
على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع
من السحاب من برق الشي بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا
• يجعلون اصابعهم في اذانهم • الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف
لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول
حسان في قوله • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق
السلسل • حيث ذكر الضمير لان المعني ما بردى والجملة استيناف فكانه
لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب
بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة • من الصواعق • متعلق
بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاهم من العيمة والصاعقة قصفة

رعد

رعد هائل معها نار لا تمر بشي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت
وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا
اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقري من الصواقع وهو ليس بقلب من
الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب
مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتا للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة • حذر
الموت • نصب على العلة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره • واعرض عن
شتم اللئيم تكرما • والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت
والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة • والله محيط بالكافرين •
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها • يكاد البرق يخطف ابصارهم • استيناف ثان
كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد
شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت
متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها
على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد
تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها المشاركتهما في
اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقري يخطف بكسر الطاء
ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التا الى الخا ثم ادغمت في الطا
ويخطف بكسر الخا لالتقاء الساكنين واتباع اليا لها ويتخطف • كلما اضا
لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا • استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون
في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضا اما متعد والمفعول
محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد
له قراة اظلم على البنا للمفعول وقول ابي تمام • هما اظلما حالي ثمت اجليا

ظلاّ فيهما عن وجه امرد اشيب • فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد • ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم • اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته • ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله • ان الله على كل شيء قدير • كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله تعالى وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري واشتقاق القدرة من القدر لان القادر

يوقع

يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف (شديد الصوت) وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف الله تعالى ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا

متقيدين لاحراك لهم وقيل شبه القران والايمان وساير ما اوتي الانسان
من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما
ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة
بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة
بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف
صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله
محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه
ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم
عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه جعل
لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى
الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة
التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير • يا ايها الناس اعبدوا ربكم • لما عدد فرق
المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات
هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا
لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به
القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو
له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل
واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع
بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود
بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما
ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء
على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكلما نادى
الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا

بقلوبهم

بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ •
والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة
الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملايكة كلهم
اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين
وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه
الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي •
ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا
امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة
فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء
وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر
لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن المومنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية • الذي خلقكم • صفة جرت عليه للتعظيم
والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب
اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على
تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس • والذين من قبلكم • متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان
منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر
عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر
وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم
جرير في قوله • يا تيم تيم عدي لا ابا لكم • تيما الثاني بين الاول وما اضيف
اليه • لعلكم تتقون • حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين

ان ينخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدي والفلاح المستوجبين بجوار
الله نبه به علي ان التقوي منتهي درجات السالكين وهو التبري من كل شي
سوي الله تعالي الي الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف
ورجا كما قال تعالي يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه
او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه علي معني انه خلقكم ومن قبلكم في
صورة من يرجي منه التقوي لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه
وغلب المخاطبين علي الغايبين في اللفظ والمعني علي ارادتهم جميعا وقيل
تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل علي ان الطريق الي معرفة
الله تعالي والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه
والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها
لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ
الاجر قبل العمل • الذي جعل لكم الارض فراشا • صفة ثانية او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجي علي ثلاثة
اوجه بمعني صار وطفق فلا يتعدي كقوله • فقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب • وبمعني اوجد فيتعدي الي مفعول واحد كقوله
تعالي وجعل الظلمات والنور وبمعني صير ويتعدي الي مفعولين كقوله
جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد
اخري ومعني جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الما مع ما في طبعه
من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللين حتي صارت مهياة
لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها
مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابي الافتراش عليها
• والسما بناء • قبة مضروبة عليكم والسما اسم جنس يقع علي الواحد والمتعدد
كالدينار والدرهم وقيل جمع سماة والبنا مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خبا ومنه بنا علي امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خبا جديدا •

• وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم • عطف علي جعل وخروج الثمار
بقدرة الله تعالي ومشيته ولكن جعل الما الممزوج بالتراب سببا في
اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجري عادته بافاضة صورها
وكيفياتها علي المادة الممتزجة منهما او ابدع في الما قوة فاعلة وفي الارض
قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر علي ان يوجد الاشياء
كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها
مدرجا من حال الي حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا
الي عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولي للابتدا سواء
اريد بالسما السحاب فان ما علاك سما او الفلك فان المطر يبتدي من السماء
الي السحاب ومنه الي الارض علي ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية
تثير الاجزا الرطبة من اعماق الارض الي جو الهوا فينعقد سحابا ماطرا ومن
الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالي فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين
له اعني ما ورزقا كانه قال وانزلنا من السما بعض الما فاخرجنا به بعض
الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السما الما كله
ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول
بمعني المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع
موضع الكثرة لانه اراد بالثمر جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة
بستانه ويويده قراة من الثمرة علي التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها
موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروا ولانها
لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به
المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم • فلا
تجعلوا لله اندادا • متعلق باعبدوا علي انه نهي معطوف عليه او نفي
منصوب باضمار ان جواب له او بلعل علي ان نصب تجعلوا نصب
فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها
بالاشيا الستة لاشتراكهما في انها غير موجبة والمعني ان تتقوا لا تجعلوا له

اندادا او بالذي جعل ان استانف به علي انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفا للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير ايما تجعلون الي ندا ٭ وما تيم لذي حسب نديدا ٭ من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله تعالى اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الي عبادتها وسموها الهة تشابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة علي ان تدفع عنهم باس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل ٭ اربا واحدا ام الف رب ٭ ادين اذا تقسمت الامور ٭ تركت اللات والعزي جميعا ٭ كذلك يفعل الرجل البصير ٭ وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادني تامل اضطر عقلكم الي اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات ومنوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر علي مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلي هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الي ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة علي صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شهدت علي وحدانيته

ورتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الي تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من الفضايل العملية والنظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوي النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوي السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ٭ وان كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فاتوا بسورة ٭ لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الي العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق والخامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطبا من العرب العربا مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم علي المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله تعالى كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع علي ما تري عليه من اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكي الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم علي هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الي نفسه تنويها بذكره وتنبيها علي انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطايفة من القران مفرزة محوزة علي حيالها او محتوية علي انواع من العلم احتواء سور المدينة علي ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال

وما افاض عليه من الكمالات والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء صح

وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا
ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ
متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطايفة محدودة
مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوايد • من
مثله • صفة سورة اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
او للتبيين وزايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة
وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتدا اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه
بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد
والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير ايات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق
الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد
من ابنا جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا اخر مثله
ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه كقوله تعالى قل لين اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم
امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله • وادعوا شهداكم من
دون الله • فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهدا جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر
النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور
ومنه قيل للمقتول في سبيل الله تعالى شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او
الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه تدوين الكتب لانه
ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير
للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشي الدون ثم اتسع
فيه واستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى اخر قال الله تعالى لا يتخذ
المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين
الى ولاية الكافرين وقال امية • يا نفس ما لك دون الله من واق • اي اذا

تجاوزت

تجاوزت وقاية الله تعالى فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى
وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير
الله تعالى فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله تعالى او ادعوا من دون
الله شهدا يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله
فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداكم الذين اتخذتموهم
من دون الله تعالى اوليا او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين
يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى • تريك القذى
من دونها وهي دونه • ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في
معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله تعالى اي من
دون اوليايه يعني فصحا العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم
به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان
اختلاله • ان كنتم صادقين • انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك
عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم
يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة
اخبار عن ما علمه وهم ما كانوا عالمين به • فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة • لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جا به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو
انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه
او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزا منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى
عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القايل سبحانه لم
يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزا تهكما بهم

أو خطاباً معهم على حسب ظنهم فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققاً عندهم ﴿ولن
تفعلوا﴾ جزم بلم لأنها واجبة الإعمال المختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولأنها
لما صيرته ماضياً صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه
قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير
أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه
وفي الرواية الأخرى أصله لا أن وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نوناً ﴿والوقود﴾
بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول وقدت النار وقوداً عالياً والاسم بالضم ولعله مصدر
سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المراد
به الاسم وإن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أي وقودها احتراق
﴿الناس والحجارة﴾ وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد
بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعاً في شفاعتها
والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى ﴿إنكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب
الكانزون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم
وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا
لم يكن لتخصيص إعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وإبطال للمقصود إذ الغرض تهويل شأنها
وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل
نار وإن ضعفت فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلعله عنى
به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية
مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم ﴿ناراً وقودها
الناس والحجارة﴾ وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فإنها يجب
أن تكون قصة معلومة ﴿أعدت للكافرين﴾ هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أو حال

بأنها تقدمت للنار لا الضمير الذي في وقودها وإن جعلته مصدراً للفصل
بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الأول ما فيهما من
التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد
وتعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن
ثم إنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا
لمعارضته والتجأوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني تضمنهما الإخبار عن الغيب على
ما هو به فإنهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه
أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه عليه الصلاة والسلام لو
شك في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض
فتدحض حجته وقوله ﴿أعدت للكافرين﴾ دل على أن النار مخلوقة معدة لهم
الآن ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات﴾ عطف على الجملة
السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال
من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطاً لاكتساب ما ينجي وتثبيطاً عن اقتراف ما
يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهي
فيعطف عليه أو على فاتقوا لأنهم إذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي
ظهر إعجازه وإذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به
استحق الثواب وذلك يستدعي أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وإنما
أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أو عالم كل عصر أو كل أحد يقدر على
البشارة بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً
لشأنهم وإيذاناً بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنأوا بما أعد لهم وقرئ وبشر
على البناء للمفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً والبشارة الخبر
السار فإنه يظهر أثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الأول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو
حر فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعاً وأما قوله

تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسما كالحسنة قال الحطيئة • كيف الهجا وما تنفك صالحة • من ال لام بظهر الغيب تاتيني • وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبنا عليه ولا غناء باس لا بنا عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشي لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضا الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة لانه يستر ما تحته سترة واحدة قال • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس الاية وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره بن عباس رضي الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوي ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وعلى الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مومن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاوليك حبطت اعمالهم وقوله تعالى للنبيه عليه الصلاة

والسلام

والسلام لين اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها هنا استغنا بها • تجري من تحتها الانهار • اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري من غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز او المجاري انفسها واسناد كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها • كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا • صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتدا واقعتا موقع الحال او اصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداءه منها بابتدايه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الما لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة • من قبل • اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رات فان الطبايع مايلة الى المالوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابهة الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يوتي بالصحفة فيا كل منها ثم يوتي باخرى فيراها

مثل الاولي فيقول ذلك فمقول الملائكة كلا فاللون واحد والطعم مختلف
اوكما روي انه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من
اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الي فيه حتي يبدل الله
تعالي مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها علي الهيئة الاولي قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته علي عموم كلما فانه يدل علي ترديدهم هذا القول كل مرة
رزقوا والداعي الي ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت
العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة • واتوا به متشابها • ن
اعتراض يقرر ذلك والضمير علي الاول راجع الي ما رزقوا في الدارين فانه
مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالي ان يكن
غنيا او فقيرا فالله اولي بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلي الثاني الي الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا
والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسما قلت
التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم
وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات
اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه
ومن تشابهها تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في
الوعد نظير قوله تعالي ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد • ولهم فيها ازواج
مطهرة • مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ن
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق
والاحوال وقري مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت
وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال • واذا العذارى بالدخان تقنعت •
واستعجلت نصب القدور فملت • فالجمع علي اللفظ والافراد علي تاويل
الجماعة ومطهرة بتشديد الطا وكسر الها بمعني متطهرة ومطهرة ابلغ من
طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا اطهرهن وليس هو الا الله تعالي

والزوج يقال للذكر والانثي وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف
فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد
وحفظ النوع وهي مستغني عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها ن
وساير احوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات
وتسمي باسمايها علي سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها
حتي تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها • وهم فيها خالدون •
دايمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك
قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقي من الانسان علي حاله
ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام لكان التقييد بالتابيد
في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف
مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم
منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم علي الانسان مثل قوله
تعالي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ها هنا عند
الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء
متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المودية الي الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالي يعيدها بحيث
لا تعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاها مثلا متقاومة في الكيفية ن
متساوية في القوة لا يقوي شي منها علي احالة الاخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك
العالم واحواله علي ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة
واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا علي المساكن والمطاعم
والمناكح علي ما دل عليه الاستقرا وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام
فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية
من شوايب الالم بشر المومنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة باتهي ما ن
يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل علي كمالهم في

التنعم والسرور • ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة • لما كانت
الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه
وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة
التي تعلق بها التمثيل ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما
يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب
المحاكات ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات
البلغا واشارات الحكما فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم
وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة
والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفها باثارة الزنابير وجا في
كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين
واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت
العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان
يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل
على ان المتحدي به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن
بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها
والحيا انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة
التي هي الجراة على القبايح وعدم المبالات بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة
الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت
نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله تعالى
يستحيي من ذي الشيبة ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض

في العظم والصغر والخسة
والشرف دون الممثل فان التمثيل
انما يصار اليه لكشف المعنى
الممثل له صح

كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الما يعرض نفسه • كرعن بسبت
في انا من الورد • وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل
الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب
المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شي على اخر وان بصلتها مخفوض
المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضا الفعل اليه بعد حذفها عند
سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد
كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القران
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع
غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة
او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى
هذا يحتمل ما وجها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف
في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب
بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل
بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار
وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب
على هذا النوع كالخموش • فما فوقها • عطف على بعوضة او ما ان جعل
اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد
ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو
اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة
كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الا حتمالين
ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله تعالى

عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما
فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما
تجاوز الشوكة في الالم كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة
لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة • فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم • اما حرف
يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفا قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول
الفا على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر
وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر
المومنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه
للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا
ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج • واما الذين كفروا فيقولون • كان
من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه
لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية
ليكون كالبرهان عليه • ماذا اراد الله بهذا مثلا • يحتمل وجهين ان يكون
ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان
يكون مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما
اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق
الجواب السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا
المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى
ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره
بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام

الاكمل

الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد
مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا
الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار
واسترذال والمثل نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية
• يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا • جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء
كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان
الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد
من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين
قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور
ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار
الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا اشتدوا • وقال ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا • كما غيرهم قل وان كثروا • وما يضل به الا الفاسقين
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج
عن القصد قال روبة • فواسقا عن قصدها جوائرا • والفاسق في الشرع
الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى
التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك
وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة
الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك
فلا يسلب عنه اسم المومنين لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المومنين الاية والمعتزلة لما قالوا الايمان
عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما

في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبًا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدّهم للاضلال وادّي بهم الي الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الي حقارة الممثّل به حتي رسخت بهم جهالتهم وازدادت به ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقري يضل على البنا للمفعول والفاسقون بالرفع • الذين ينقضون عهد الله • صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزًا الي ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصله بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الي افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعي ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعي بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الداله على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اوّل قوله تعالي واشهدهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدّق بالمعجزات صدّقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرّية ادم بان يقرّوا بربوبيّته وعهد اخذه على النبيّين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلما بان يبيّنوا الحق ولا يكتموه • من بعد ميثاقه • الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثّق الله به عهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعني المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق • ويقطعون ما امر الله به ان يوصل • يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالي كقطع الرحم

الاستحكام

والاعراض عن موالاة المومنين والتفرقة بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله تعالي وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع الاستعلاء وبه سمّي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني لفظا ومعني • ويفسدون في الارض • بالمنع عن الايمان والاستهزا بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه • اولئك هم الخاسرون • الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتروا النقض بالوفا والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب • كيف تكفرون بالله • استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوي في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبّخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعني اخبروني على اي حال تكفرون • وكنتم امواتا • اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة • فاحياكم • بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفا لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي • ثم يميتكم • عند تقضي اجالكم • ثم يحييكم • بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسوال في القبور • ثم اليه ترجعون • بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم

وقيل مع العلو

او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما العجب كفركم مع علمكم بحالكم منه
فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم
ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل
منزلة علمهم في ازاحة العذر تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى
لما قدر على احيايهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدا الخلق ليس باهون
عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة
ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعد عنهم مع
تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل
كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة
الثانية التي هي الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت
من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض
وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المومنين خاصة لتقرير
المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم
امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت
المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبيكم بما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة
الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية
لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل
والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازايها يقال على
ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم

سيما وفي الاية

ان احياهم

الحيوة

فان من النبات ما لا ينتفع به الانسان بذاته بل يتضرر به ويتغذى به بعض الحيوانات والانسان ينتفع بذلك الحيوانات المنتفع به شيخ زاده

بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التا في جميع
القران ۝ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ۝ بيان نعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احيا قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه
بقاوهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم
بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط او امر دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل
لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انها عاقبة الفعل ومؤداه وهو
يقتضي اباحة الاشيا النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في
الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو وجميعا
حال عن الموصول الثاني ۝ ثم استوى الى السما ۝ قصد اليها بارادته من قولهم
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على
شيء واصل الاستوا طلب السوا واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع
الاجزا ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اي
استولى وملك قال ۝ قد استوى بشر على العراق ۝ من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدي بها والتسوية المرتبة عليها بالفا والمراد
بالسما هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفضل خلق السما على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في
الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على
تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السما وتسويتها الا ان تستانف
بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد خلقا ام السما
بناها مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر ۝ فسواهن ۝
عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السما ان فسرت
بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا ۝ سبع
سموات ۝ بدل وتفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك

ويحلق ان في الارض يسيرا مما لا نفع للانسان فيه بل فيه المضار كالحيات والعقارب وغير ذلك والسموم والاشرار من الناس فيقال الاشيا الضارة في الظاهر لا تخلو عن نفع خاصة فيها للانسان فاجزا العالم اذا تاملتها انها ان يكون للانسان او غذا غذا له او لما هو غذا له كالظبي والحيات غذا الانسان وهو غذا للانسان والعقارب ونحوها غذا للدجاج وهو غذا للانسان والسموم يدفع بها الاعدا
شيخ زاده

[illegible]

نف

قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف • وهو بكل شي عليم • فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشيا كلها خلق ما خلق علي هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلالا بان من كان فعله علي هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاوها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزا كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شي منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالي وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية علي ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولي فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الي البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل علي انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابي ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر علي جمعها واحيايها واشار الي وجه اثباتها بانه تعالي قادر علي ابدايهم وابدا ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر علي اعادتهم واحيايهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعي فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل علي تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكساي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد • واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة • تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله علي ملايكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخري كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخري ولذلك وجب اضافتهما الي الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالي واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلي

تاويل

تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر علي التاويل المذكور لانه جا معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلي هذا فالجملة معطوفة علي خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملايكة جمع ملاك علي الاصل كالشمايل والتا لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله تعالي وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلا بعد اتفاقهم علي انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الي انها اجسام لطيفة قادرة علي التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصاري هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكما انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الي قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملايكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الي الارض علي ما سبق به القضا وجري به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية علي تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول له الملايكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالي اسكنهم الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعني الاستقبال ومعتمد علي مسند اليه ويجوز ان يكون بمعني خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والها فيها للمبالغة والمراد به ادم عليه الصلاه والسلام لانه كان خليفة الله تعالي في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة

به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير
وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا
ترى ان الانبيا عليهم السلام لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان منهم اعلى رتبة
كلمه بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم
لما بينهما من التباعد جعل الباري سبحانه وتعالى بحكمته
الغضروف المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن
الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا
وافراد اللفظ اما للاستغنا بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف وفايدة قوله
هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان
ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد
بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك ٥ قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ٥ تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما
خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم
ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله
تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك
لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما
عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم
ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك
والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك
في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها

وكذلك السن وقرئ يسفك على البنا للمفعول فيكون الراجع الى من سواء
جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدما فيهم ٥ ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك ٥ حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدايك وانا
الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقا بذلك
والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملايكة
المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول
خليفة ذو ثلاث قوى عليها مداره امره شهوية وغضبية تؤديان به الى
الفساد وسفك الدما وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا
اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين
لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية
فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن
فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة
على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان
التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزييات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوة الى الفعل الذي هو
المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله ٥ قال اني اعلم
ما لا تعلمون ٥ والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والما وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذا طهر لان مطهر الشي مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال
اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك
تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نفوسنا عن
الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم
بالتسبيح وسفك الدما الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس
عن الاثام وقيل نقدسك واللام زايدة ٥ وعلم ادم الاسما كلها ٥ اما بخلق
علم ضروري بها فيه او القا في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ٥

ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كازر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك باتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سوا كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الشيء وخواصها واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية الاتها. ثم عرضهم على الملايكة. الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسما المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا لان العرض للسوال عن اسما المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسما سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشيا او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلا وقري عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها. فقال انبيوني باسماء هولاء. تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك تجري مجرى

كل واحد منهما. ان كنتم صادقين. في زعمكم انكم احقا بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرح به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشا ات. قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا. اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سوالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين. انك انت العليم. الذي لا يخفى عليه خافية. الحكيم. المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت ولو لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبران. قال يا ادم انبيهم باسمايهم. اي اعلمهم وقري بقلب الهمزة يا وحذفها بكسر الها فيهما. فلما انباهم باسمايهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جا به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض لمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا متوصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقا بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من

الطاعات واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد
فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان
ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان
التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصا
صه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسما تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القايها على المتعلم مبنيا له معانيها وذلك
يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل
ادم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله
انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكما منعوا
ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وان ادم افضل من هولاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشيا قبل
حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم بالاسما وعلمهم ما لم يعلموا
امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل
امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على
الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة
المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها
عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر • ترى الاكم فيه سجدا
للحوافر • وقال • فقلن له اسجد لليلى فاسجدا • يعني البعير اذا طاطا راسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود
له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا
لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء
ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات

امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما
انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان • اليس اول من صلى
لقبلتكم • واعرف الناس بالقران والسنن • او في قوله تعالى اقم الصلاة
لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له
كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به
معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة
منهم ما سبق • فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر • امتنع عما امر به استكبارا
من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى
فيما فيه خيره وصلاحه والابا امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع • وكان من الكافرين • اي
في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لادم
اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يومر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية
تدل على ان ادم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان
ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناوه منهم ولا يرد
على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا
ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة نوعا يتوالدون يقال
لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا
نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا
كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه
اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا
مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون
بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم
العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم

بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من
هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلذلك صح عليه التغير
عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن
ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملايكة خلقت من نور من
الجن من نار لما روت عايشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام
قال خلقت الملايكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما
ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضي والنار كذلك غير ان ضوها مكدر
مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة
الاولي جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا
اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوايد
الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار
لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله تعالى من حاله
انه يموت على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم
الحال مومنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رضي
الله تعالى عنه • وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة • السكنى من السكون
لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه
وانما لم تخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه
تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم
انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس
وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه
الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا • وكلا منها رغدا • واسعا
رافها صفة مصدر محذوف • حيث شيتما • اي مكان من الجنة شيتما وسع
الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين
اشجارها الفايتة للحصر • ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فيه

مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في
تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء
يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عن ما هو مقتضى
العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما
حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه والمبالغة الثانية جعله
سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او
بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفا تفيد السببية
سوا جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة
او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع
كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرى بكسر الشين
وتقربا بكسر التا وهاذي باليا • فازلهما الشيطان عنها • اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه في قوله تعالى وما
فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراة حمزة
فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازالته
قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما
بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او
القاه اليهما على طريق الوسوسة وكيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له
اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على وجه التكرمة كما كان
يدخل مع الملايكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلا لادم وحوي وقيل
قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والعلم عند الله تعالى • فاخرجهما مما كانا فيه • اي من الكرامة والنعيم
• وقلنا اهبطوا • خطاب لادم وحوا لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا
وجمع الضمير لانهما اصلا الانسان فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس

اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السما
بعضكم لبعض عدو • حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعني متعادين
يبغي بعضكم علي بعض بتضليله • ولكم في الارض مستقر • موضع استقرار
او استقرار • ومتاع • تمتع • الي حين • يريد به وقت الموت او القيامة
• فتلقي ادم من ربه كلمات • استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات علي انها استقبلته وبلغته وهي
قوله تعالي ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالي جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلي قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلي قال الم
تسكني جنتك قال بلي قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الي الجنة قال نعم
واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدي الحاستين السمع والبصر
كالكلام والجراحة • فتاب عليه • رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما
رتبه بالفا علي تلقي الكلمات لتضمنه معني التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم علي ان لا يعود اليه واكتفي بذكر ادم لان حوا كانت
تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النسا في اكثر القران والسنن • انه هو التواب
الرجاع علي عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم علي التوبة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها
الباري تعالي اريد بها الرجوع من العقوبة الي المغفرة • الرحيم • البالغ
في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتايب بالاحسان مع العفو
قلنا اهبطوا منها جميعا • كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود
فان الاول دل علي ان هبوطهم الي دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدي الهدي نجا ومن
ضله هلك والتنبيه علي ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالي فكيف

بالمقترن

بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفي به نكالا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الي سما الدنيا والثاني منها الي الارض
وهو كما تري وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعني كانه قيل اهبطوا انتم
اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم علي الهبوط في زمان واحد كقولك
جاوا جميعا • فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت
به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معني الطلب والمعني
ان ياتينكم مني هدي بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف
الشك واتيان الهدي كاين لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ
الهدي ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتي به الرسل واقتضاه
العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا
من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف علي المتوقع
والحزن علي الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب علي اكد وجه وابلغه
وقري هدي علي لغة هذيل ولا خوف بالفتح • والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون • عطف علي فمن تبع الي اخره قسيم
له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الي الجار والمجرور والاية
في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل علي وجود
الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او اوي اليه واصلها ايية او اوية
كتمرة فابدلت عينها علي غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او ايية كقايلة
فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقول تنبيه
وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة علي عدم عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام من وجوه الاول ان ادم عليه الصلاة والسلام كان نبيا وارتكب
المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم

ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه
العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي
الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة
الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر
من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من
وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان الثاني ان النهي
للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى
فاما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله
تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له
على ترك الاولى ووفا لما قاله للملايكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا
لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب
النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبيا لعظم شانهم كما قال عليه
الصلاة والسلام اشد الناس بلا الانبيا ثم الامثل فالامثل اوادى فعله الى ما
جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة كتناول السم على الجاهل
بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الايتان لانه
ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا
طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال
المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه الصلاة والسلام اقدم عليه بسبب
اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه
الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل
لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها
دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان
متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان
غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى وهم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى

لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها
وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر
وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب ممن لم
يتعلمها ولم يمارس شيا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن
حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه
قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابدا خاطب اهل العلم والكتاب منهم
وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفا الحجج ليكونوا
اول من امن بمحمد عليه الصلاة والسلام وما انزل عليه فقال يا بني اسرايل اي
يا اولاد يعقوب والابن من البنا لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه
فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرايل لقب يعقوب عليه الصلاة والسلام
ومعناه بالعبرية صفوة الله تعالى وقيل عبد الله وقرى اسرال بحذف اليا
واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة يا اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران
والسخط وان نظر الى ما انعم الله تعالى به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر
وقيل اراد بها ما انعم الله تعالى على ابايهم من الانجا من فرعون والغرق ومن العفو
عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرى اذكروا والاصل
اذتكروا ونعمتي باسكان اليا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك اليا
المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن
الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل
والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب
الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادتين ومن الله تعالى حقن الدم والمال
واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن
غيره ومن الله تعالى الفوز باللقا الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال او عن غيره
اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة
علي الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الي الوسايط
وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعني اوفوا بما عاهدتموني من الايمان
والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في
في سورة المايدة قوله تعالي قوله تعالي ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
الي قوله ولادخلنكم جنات وقري اوف بالتشديد للمبالغة • واياي فارهبون
فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفا الجزايية الدالة
علي تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيا فارهبون والرهبة
خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة علي وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وان المومن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالي • وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم • افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة
للوفا بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث
انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعا الي
التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما
يخالفها من جزييات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث
ان كل واحدة منها حق بالاضافة الي زمانها مراعي فيه صلاح من خوطب بها حتي
لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل علي وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
لو كان موسي حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه علي ان اتباعها لا ينافي الايمان به
بل يوجبه ولذلك عرض بقوله • ولا تكونوا اول كافر به • بان الواجب ان يكونوا اول
من امن به ولانهم كانوا اهل نظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به
والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او
فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل
كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به

التعريض

التعريض لا الدلالة علي ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او
ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران
فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل
اصله اوءل من وال فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل
قلبت همزته واوا وادغمت • ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا • ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة
بالاضافة الي ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم
رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلي الله
عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشا فيحرفون الحق
ويكتمونه • واياي فاتقون • بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما
كانت الاية السابقة مشتملة علي ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية
فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوي ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما
خص اهل العلم امرهم بالتقوي التي هي منتهاه • ولا تلبسوا الحق بالباطل
عطف علي ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشي مشتبها بغيره والمعني لا
تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتي لا يميز بينهما او
لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تاويله • وتكتموا الحق • جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك
الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس علي من سمع الحق والاخفا علي من لم يسمعه
او نصب باضمار ان علي ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعني كاتمين
وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق • وانتم تعلمون •
عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر • واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة • يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة
امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل علي ان الكفار مخاطبون

بها والزكاة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس
فضيلة الكرم او من الزكاة بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس
من البخل • واركعوا مع الراكعين • اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة
الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة
بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم
الشارع قال الاضبط السعدي • لا تذل الضعيف علك ان • تركع يوما
والدهر قد رفعه • اتامرون الناس بالبر • تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر
التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر
ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب
• وتنسون انفسكم • وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه
باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون • وانتم
تتلون الكتاب • تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد
على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون • قبح صنيعكم فيصدكم
عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن
ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره
ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث
الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق
عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر
• واستعينوا بالصبر والصلاة • متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم
لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم
الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل

بالصلاة

بالصلاة والالتجاء اليها لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا
الى تحصيل المارب وجبر المصايب روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا
حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء • وانها • اي الاستعانة
بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا
من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة شاقة كقوله تعالى
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا على الخاشعين • اي المخبتين والخشوع
الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد
ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب • الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون • اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او
يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف
ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن
معنى التوقع قال اوس بن حجر • فارسلته مستيقن الظن انه • مخالط ما بين
الشراسيف جايف • وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم
مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ
بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في
الصلاة • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • كرره للتوكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا
لمن غفل عنها واخل بحقوقها • واني فضلتكم • عطف على نعمتي • على العالمين • اي
عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلاة
والسلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان
والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك
وهو ضعيف • واتقوا يوما • اي ما فيه من الحساب والعذاب • لا تجزي نفس

عن نفس شيا لا تقضي عنها شيا من الحقوق او شيا من الجزا فيكون نصبه على
المصدر وقري لا تجزي من اجزا عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا
وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما
والعايد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العايد
المجرور قال اتسع فيه فحذف منه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما
حذف من قوله ام مال اصابوا واوله فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام
مال اصابوا ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل اي من النفس الثانية
العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا
او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي
عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله
التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدي ولا هم ينصرون يمنعون
من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في
سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة
اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية
على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات
والاحاديث الواردة في الشفاعة ويويده ان الخطاب معهم والاية نزلت
ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون
تفصيل لما اجمله في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي
عطف جبريل وميكايل على الملايكة وقري انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبيا والملوك وفرعون لقب لمن
ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد
من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه الصلاة والسلام ريان وكان بينهما اكثر

من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب في طلب الشي سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سايره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال
من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد
منهما يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم بيان ليسومونكم ولذلك
لم يعطف وقري يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون
راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قدر الله تعالى شيا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة
ان اشير به الى الانجا واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على
ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره
ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه
وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او
بسبب انجايكم او متلبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقري فرقنا
على بنا التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان
اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه
واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم او اطباق
البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر
الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني
اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطي البحر
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله

تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون
وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان
هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله تعالى به على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة
الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم
انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم
بمعزل في الفطنة والذكا وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى
الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القران والتحدي
به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
دقيقة يدركها الاذكيا واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته
على ما مر تقريره ۝ واذ وعدنا موسى اربعين ليلة ۝ لما عادوا الى مصر بعد
هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن
كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي
ووعده موسى المجي للميقات الى الطور ۝ ثم اتخذتم العجل ۝ الها ومعبودا ۝ من بعده ۝
من بعد موسى او مضيه ۝ وانتم ظالمون ۝ باشراككم ۝ ثم عفونا عنكم ۝ حين
تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس ۝ من بعد ذلك ۝ اي الاتخاذ ۝ لعلكم
تشكرون ۝ اي لكي تشكروا عفوه ۝ واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان ۝ يعني
التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد
بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر
والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يوم بدر ۝ لعلكم تهتدون ۝ لكي تهتدوا بتدبر
الكتاب والتفكر في الايات ۝ واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم ۝ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم
بريا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل
التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم بري المريض من

مرضه

مرضه والمديون من دينه او الانشا كقولهم برا الله ادم من الطين ۝ فتوبوا فاقتلوا
انفسكم ۝ تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم
ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من
لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم
يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة سودا لا يتباصرون
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت
السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفا الاولى للسببية
والثانية للتعقيب ۝ ذلكم خير لكم عند باريكم ۝ من حيث انه طهرة عن
الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية ۝ فتاب عليكم ۝ متعلق
بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه الصلاة والسلام لهم تقديره ان
فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله تعالى على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب
عليكم باريكم وذكر الباري وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية
الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي
مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك
امروا بالقتل وفك التركيب ۝ انه هو التواب الرحيم ۝ الذي يكثر توفيق
التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم ۝ واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك ۝ لاجل قولك او لن نقر لك ۝ حتى نرى الله جهرة ۝ عيانا وهي في
الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على
المصدر لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح
على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم
السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه ان
والمؤمن به ان الله تعالى الذي اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي ۝ فاخذتكم
الصاعقة ۝ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة

المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يري روية منزهة علي الكيفية وذلك
للمومنين في الاخره وللافراد من الانبيا في بعض الاحوال في الدنيا قيل جات نار
من السما فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة • وانتم تنظرون • ما اصابكم بنفسه او اثره • ثم بعثناكم
من بعد موتكم • بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغما او
نوم كقوله ثم بعثناهم • لعلكم تشكرون • نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم
باس الله تعالي بالصاعقة • وظللنا عليكم الغمام • سخر الله تعالي لهم السحاب
يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه • وانزلنا عليكم المن والسلوي • اي الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الي الطلوع ويبعث عليهم
الجنوب السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوءه وكانت ثيابهم
لا تتسخ ولا تبلي • كلوا من طيبات ما رزقناكم • علي ارادة القول • وما ظلمونا •
فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا • ولكن كانوا
انفسهم يظلمون • بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره • واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية • يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه • فكلوا منها
حيث شيتم رغدا • واسعا ونصبه علي المصدر او الحال من الواو • وادخلوا
الباب • اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حياة موسي عليه الصلاة والسلام • سجدا • متطامنين
مخبتين او ساجدين لله شكرا علي اخراجكم من التيه • وقولوا حطة • اي
مسالتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقري بالنصب علي
الاصل بمعني حط عنا ذنوبنا حطة او علي انه مفعول قولوا اي قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها • ن
نغفر لكم خطاياكم • لسجودكم ودعايكم قرا نافع بالياء وابن عامر بها علي البناء
للمفعول وخطايا اصله خطايي كخضايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة
همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية يا ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت يا وعند الخليل قدمت الهمزة علي

اليا

اليا ثم فعل بهما ما ذكر • وسنزيد المحسنين • ثوابا جعل الامتثال توبة للمسي
وسبب زيادة الثواب للمحسنين واخرجه عن صورة الجواب الي الوعد ايهاما
بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة
• فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم • بدلوا بما امروا به من التوبة
والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا • فانزلنا علي الذين ظلموا • كرره
مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور
به موضعه او علي انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الي ما يوجب هلاكها
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • عذابا مقدرا من السما بسبب فسقهم
والتنوين للتهويل والتفخيم
والرجز في الاصل ما يعاف منه وكذلك الرجس وقري بالضم وهو لغة فيه
والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا • واذ
استسقي موسي لقومه • لما عطشوا في التيه • فقلنا اضرب بعصاك الحجر •
اللام فيه للعهد علي ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت
تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الي سبط وكانوا
ستماية الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا وحجرا اهبطه ادم من الجنة
ووقع الي شعيب فاعطاه لموسي مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه
عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل
بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الي الارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته
قيل وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسي عصاه متنا عطشا فاوحي الله تعالي اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في
ذراع والعصا عشرة اذرع في طول موسي من اس الجنة وله شعبتان تتقدان
في الظلمة • فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا • متعلق بمحذوف تقديره
فان ضربت فقد انفجرت منه او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب
عليكم وقري عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه • قد علم كل

عشرة جمع بغير ذلك ... رجز صيغة ... الاستخبار
وتعبير ... الرجز به بعد الاخفاء ... تعليل
للابتداء ... وخروجا عن ... الطاعة
وغلق ... تقدير ... جمع
... الغنايم ... تقدم ...
... ترتيبه ... ذات
فقط ... مخه ... الى
بالفاء والرجز

اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير
القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وما العيون وقيل الماء
وحده لانه يشرب ويوكل ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا
تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب المعتدي في الفساد قد يكون
منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا
راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب
فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة
تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر
الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله تعالى حجرا يسخره لجذب الماء من تحت
الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون
انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ
وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سل لنا
ربك بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان
دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل
مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير
وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطايبه التي توكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل
الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى اتستبدلون
الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير
للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ
ادنا من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والعلم
والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم

واصله

واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاو
يل البلد ويويده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب
فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحايط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة
ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه
من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك
اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها
نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبيا فانهم قتلوا شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز
قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب
يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى
تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر
والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة
الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين
فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك
ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليس على الحقيقة
ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين
بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين

لانخراطهم في سلك الكفرة • والذين هادوا • تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل
في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة
العجل واما معرب يهوذا فكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه الصلاة
والسلام • والنصارى • جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري
سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها • والصابئين • قوم بين النصارى والمجوس
وقيل اصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده
بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من ساير
الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل • من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى
شرعه وقيل من آمن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا •
فلهم اجرهم عند ربهم • الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم • ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر
وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من
اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفا لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع
سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطيه ورد بقوله تعالى
ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم • واذ اخذنا
ميثاقكم • باتباع موسى والعمل بالتوراة • ورفعنا فوقكم الطور • حتى اعطيتم الميثاق
روي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا
خذوا • على ارادة القول • ما آتيناكم • من الكتاب • بقوة • بجد وعزيمة • واذكروا
ما فيه • ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به • لعلكم تتقون
اي لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا • ثم توليتم من بعد ذلك •

اعرضتم

اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد اخذه • فلولا فضل الله عليكم ورحمته • بتوفيقكم
للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه • لكنتم من الخاسرين
المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في
الاصل لامتناع الشي لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع
الشي لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف
• ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت • اللام موطية للقسم والسبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه الصلاة والسلام واشتغلوا بالصيد
وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت
لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا
حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد • فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين • جامعين بين صورة القردة والخسو
وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا
بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر
اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما
اراد بهم وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز
• فجعلناها • اي المسخة او العقوبة • نكالا • عبرة تنكل المعتبر بها اي
تمنعه ومنه النكل للقيد • لما بين يديها وما خلفها • لما قبلها وما بعدها من
الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او
لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل
تلك القرية وما حولها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها
• وموعظة للمتقين • من قومهم او لكل متق سمعها • واذ قال موسى لقومه ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة • اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم

من

وهو الاستهزا بالامر والاستقصا في السوال وترك المسارعة الي الامتثال وقصته
انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا اخيه طمعًا في ميراثه وطرحوه علي باب المدينة
ثم جاوا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالي ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي
فيخبر بقاتله. قالوا اتتخذنا هزوا. مكان هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزو
نفسه لفرط الاستهزا استبعادًا لما قاله واستخفافًا به وقرا حمزة واسمعيل
عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا. قال اعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين. لان الهزو في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه ما رمي
به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعًا له.
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي. اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا
اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبًا لكنهم لما راوا ما امروا به
علي حال لم يوجد بها شي من جنسه اجروه مجري ما لم يعرفوا حقيقته ولم
يروا مثله. قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر. اي لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت البقرة فروضًا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب
البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة. عوان. نصف قال نواعم بين ابكار وعون
بين ذلك. اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا
يضاف الا الي متعدد وعود هذه الكنايات واجرا تلك الصفات علي بقرة يدل
علي ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك
زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بسوالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص
والحق جوازهما ويويد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة
والسلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم ولكن شددوا علي انفسهم فشدد
الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله. فافعلوا ما تومرون
اي تومرونه بمعني تومرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم
بمعني مامورکم. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفرا فاقع لونها. الفقوع نصوع الصفرة ولذلك توكد به فيقال اصفر فاقع

كما يقال

كما يقال اسود حالك وفي اسناده الي اللون وهي صفة صفرا لملابسته بها فضل
تاكيد كانه قيل صفرا شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سودا شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالي جمالات صفر قال الاعشي تلك خيلي منه وتلك
ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من
مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا
المعني لا توكد بالفقوع. تسر الناظرين. اي تعجبهم والسرور اصله لذة
في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي. تكرير للسوال الاول واستكشاف زايد وقوله. ان البقر تشابه علينا.
اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا
وقري ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء
وتشابه بطرح التاء وادغامها علي التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا
وتشبه بمعني تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشبه
ومتشبه. وانا ان شا الله لمهتدون. الي المراد ذبحها او الي القاتل وفي
الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا علي ان الحوادث
بارادة الله تعالي وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد
الامر معني والمعتزلة والكرامية علي حدوث الارادة واجيب بان التعليق
باعتبار التعلق. قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث.
اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعني غير ذلول
ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولي والفعلان صفتا ذلول كانه قال لا ذلول
مثيرة وساقية وقري لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا
بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقي. مسلمة. سلمها الله تعالي من العيوب
او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له. لا شية فيها. لا
لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا
خلط لونه بلون آخر. قالوا الان جيت بالحق. اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها
لنا وقري آلآن جيت بالمد علي الاستفهام والان بحذف الهمزة والقا حركتها

على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها
وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور
القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة
وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة
اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا
دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر
الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما
اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل
فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم
بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال
واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير
على تاويل الشخص ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما
حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الاية
ويريكم اياته دلايله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا
ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله
تعالى انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق
الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي
عن عمر رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة بثلاث مائة دينار وان المؤثر في
الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف

اعدي عدوه

الموت

اعدي عدوه الساعي في اماتته الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي
القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة
رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها
بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حياة طيبة وتعرب عما ينكشف الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة
عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم
لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل وجميع ما عدد من الايات
فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها
والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو
اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الحسن بالجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة
والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير
او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل
فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى
الجبل انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر
الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ وان
على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية
ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ونافع
ويعقوب وخلف وابو بكر بالتاء ضما الى ما بعده والباقون بالياء افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوا
او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طايفة من اسلافهم
يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه
وسلم واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين

كم

الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط
والقوم والنحاو والجرو يدخ محل الرفع اي
فريق كائن منهم الخ

المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم
قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا
وان شيتم فلا تفعلوا • من بعد ما عقلوه • اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه
ريبة • وهم يعلمون • انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبار هولاء
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا
وحرفوا فلهم سابقة في ذلك • واذا لقوا الذين امنوا • يعني منافقيهم • قالوا
امنا • بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة • واذا خلا بعضهم الى
بعض قالوا • اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق • اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم • بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين
نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابدائها وجدوا
في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني
انكار ونهي • ليحاجوكم به عند ربكم • ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه
جاء في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او لما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل
عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفا لا يدفعها • افلا تعقلون • اما تمام كلام
اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله
تعالى للمومنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان
لا مطمع لكم في ايمانهم • اولا يعلمون • يعني هولاء المنافقين او اللائمين او كليهما
او اياهم والمحرفين • ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • ومن جملتها اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان واخفا ما فتح الله تعالى عليهم واظهار غيره وتحريف
الكلم عن مواضعه ومعانيه • ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب • جهلة لا يعرفون
الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها او التوراة • الا اماني • استثناء
منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من
منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرا والمعنى ولكن
يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها

منهم

منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة وقيل الا ما يقرءون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله
تمنى كتاب الله اول ليله • تمنى داود الزبور على رسل • وهو لا يناسب وصفهم بانهم
اميون • وان هم الا يظنون • ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق
الظن بازاء العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه
كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة • فويل • اي تحسر وهلك ومن قال انه
واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوا فيها من جعل له الويل ولعله
سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتدا به نكرة
لانه دعاء • للذين يكتبون الكتاب • يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاو   يلات
الزايغة • بايديهم • تاكيد كقولك كتبته بيميني • ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا • كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل
قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدايم • فويل لهم مما كتبت
ايديهم • يعني المحرف • وويل لهم مما يكسبون • يريد الرشا • وقالوا لن تمسنا
النار • المس اتصال الشي بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب
له ولذلك يقال المسه فلا اجده • الا اياما معدودة • محصورة قليلة
روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم
قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما
• قل اتخذتم عند الله عهدا • خبرا ووعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص
باظهار الذال والباقون بادغامه • فلن يخلف الله عهده • جواب شرط
مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل
على ان الخلف في خبره محال • ام تقولون على الله ما لا تعلمون • ام معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كاين على سبيل التقرير للعلم بوقوع
احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع • بلى • اثبات
لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون
كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي • من كسب سيئة • قبيحة

والفرق بينها وبين الخطيئة انها تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قولهم فبشرهم بعذاب اليم • واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شي من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساوا السوى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما • فاولئك اصحاب النار • ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا • هم فيها خالدون • دايمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها • والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه • واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله • اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي • ويدل عليه قراءة الا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب • وبالوالدين احسانا •

متعلق

متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا • وذي القربى واليتامى والمساكين • عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه • وقولوا للناس حسنا • اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد • واقيموا الصلاة واتوا الزكاة • يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم • ثم توليتم • على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه • الا قليلا منكم • يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم • وانتم معرضون • قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض • واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم • على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي • ثم اقررتم • بالميثاق واعترفتم بلزومه • وانتم تشهدون • توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا • ثم انتم هؤلاء • استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا وقوله • تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم • اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى

الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقري تقتّلون على التكثير • تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان • حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقري
باظهارهما وتظهّرون بمعنى تتظهرون • وان ياتوكم اسارى تفادوهم •
روي ان قريظة كانوا حلفا الاوس والنضير حلفا الخزرج فاذا اقتتلا عاون
كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلا اهلها واذا اسر احد من
الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي
الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم
كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى وهو جمع
اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع
اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابن عامر تفدوهم • وهو محرم عليكم اخراجهم • متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره
اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان
افتومنون ببعض الكتاب يعني الفدا وتكفرون ببعض • يعني حرمة
المقاتلة والاجلا • فما جزا من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا •
كقتل قريظة وسبيهم واجلا النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما • ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب • لان عصيانهم اشد • وما الله بغافل عما تعملون • تاكيد للوعيد
اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية
المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون
على ان الضمير لمن • اوليك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة • اثروا الحياة
الدنيا على الاخرة • فلا يخفف عنهم العذاب • بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الاخرة • ولا هم ينصرون • بدفعهما عنهم • ولقد اتينا موسى
الكتاب • اي التوراة • وقفينا من بعده بالرسل • من القفا نحو ذنبه من الذنب

وعاصم في رواية ابي بكر

• واتينا عيسى بن مريم البينات • المعجزات الواضحات كاحيا الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النسا كالزير من الرجال قال رويه
قلت لزير لم تصله مريمه • ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل • وايدناه •
قويناه وقري ايدناه • بروح القدس • بالروح المقدسة كقولك حاتم
الجود ورجل صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام
ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك
اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل
او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان
في جميع القران • افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم • بما لا تحبه يقال
هوي بالكسر هوًى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت
الهمزة بين الفا وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا او تعجيبا
من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفا للعطف على مقدر • استكبرتم •
عن الايمان واتباع الرسل • ففريقا كذبتم • كموسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام والفا للسببية او التفصيل • وفريقا تقتلون • كزكريا ويحيى
وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس
فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول
قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة • وقالوا
قلوبنا غلف • مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جيت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف
والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول ونحن مستغنون
بما فيها عن غيره • بل لعنهم الله بكفرهم • رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله تعالى خذلهم بكفرهم فابطل
استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيها بل لان الله تعالى خذلهم
بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم

دعوى العلم والاستغناء عنك. فقليلاً ما يؤمنون: فإيماناً قليلاً يؤمنون، وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض الكتاب، وقيل أراد بالقلة العدم. ولما جاءهم كتاب من عند الله: يعني القرآن. مصدق لما معهم: من كتابهم، وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف، وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا: أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة، أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبياً يبعث منهم وقد قرب زمانه، والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه. فلما جاءهم ما عرفوا: من الحق. كفروا به: حسداً وخوفاً على الرياسة. فلعنة الله على الكافرين: أي عليهم، وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم، فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولاً أولياً لأن الكلام فيهم. بئسما اشتروا به أنفسهم: ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن، واشتروا صفته، ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا. أن يكفروا بما أنزل الله: هو المخصوص بالذم. بغياً: طلباً لما ليس لهم وحسداً، وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل. أن ينزل الله: لأن ينزل الله أو حسدوه على أن ينزل الله. من فضله: يعني الوحي. على من يشاء من عباده: على من اختاره للرسالة. فباءوا بغضب على غضب: بالكفر والحسد على من هو أفضل الخلق، وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى أو بعد قولهم عزير ابن الله. وللكافرين عذاب مهين: يراد به إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه. وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله: يعم الكتب المنزلة بأسرها. قالوا نؤمن بما أنزل علينا: أي بالتوراة. ويكفرون بما وراءه: حال من الضمير في قالوا، ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه، وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه، ولذلك عد من الأضداد. وهو الحق: الضمير لما وراءه والمراد به القرآن. مصدقاً لما معهم: حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها. قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل

إن كنتم

إن كنتم مؤمنين: اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه، وإنما أسنده إليهم لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه، وقرأ نافع وحده أنبئاء الله بالهمز في كل القرآن. ولقد جاءكم موسى بالبينات: يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات. ثم اتخذتم العجل: أي إلهاً. من بعده: بعد مجيء موسى عليه الصلاة والسلام أو ذهابه إلى الطور. وأنتم ظالمون: حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالإخلال بآيات الله، أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم، ومساق الآية أيضاً لإبطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على أن طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليه الصلاة والسلام لا لتكرير القصة، وكذا الآية التي بعدها. وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا: أي قلنا لهم خذوا ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة. قالوا سمعنا: قولك. وعصينا: أمرك. وأشربوا في قلوبهم العجل: تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن، وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم ناراً. بكفرهم: بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري. قل بئسما يأمركم به إيمانكم: أي بالتوراة، والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاماً عليهم. إن كنتم مؤمنين: تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة، وتقديره إن كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها إيمانكم بها، أو إن كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم به إيمانكم بها لأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به فإذاً لستم بمؤمنين. قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة: خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، ونصبها على الحال من الدار. من دون الناس: سائرهم أو المسلمين، واللام للعهد. فتمنوا الموت إن كنتم صادقين: لأن من أيقن أنه من أهل الجنة

اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا
ابالي سقطت علي الموت او سقط الموت علي وقال عمار رضي الله تعالى عنه
بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر حبيب جاء على
فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها
غيره • ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم • اي موجبات النار كالكفر بمحمد والقران
وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان الة لقدرته بها
عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى
وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا النقل واشتهر فان التمني
ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا ان
تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي • والله عليم بالظالمين • تهديد لهم
وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عن من سواهم ولتجدنهم
احرص الناس على حياة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص
وتنكير حياة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام
• ومن الذين اشركوا • محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين
اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا
الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم
مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار
ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان
يكون خبر مبتدا محذوف صفته • يود احدهم • على انه اريد بالذين اشركوا
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف • لو يعمر الف سنة • حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف
بالله ليفعلن • وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر • الضمير لاحدهم وان
يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه

يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات
وقيل سنهة كجبهة كقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون
والزحزحة التبعيد • والله بصير بما تعملون • فيجازيهم • قل من كان عدوا
لجبريل • نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن من ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه
انزل الله على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله
فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم
عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله تعالى عنه مدارس اليهود
يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه
صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما
منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة
فقال لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان
عدو احدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي
فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثماني لغات
قرئ بهن اربع في المشهور جبريل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبرئيل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية
ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرائل
وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله • فانه نزله • الضمير
البارز الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة
شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره • على قلبك • فانه
القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي ولكنه جاء على
حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به • باذن الله • اي بامره وتيسيره
• مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • احوال من
مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل
فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله

عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم
عليه مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف
مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم
كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب
لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال
كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائل ولقد انزلنا اليك ايات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا
استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا
حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك
من اية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو
على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا
نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال
فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يومنون رد لما يتوهم ان الفريق منهم
هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يومنون به خفاء ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم
بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان
بالرسل المؤيدين بالايات وقيل لما جاءهم الرسول وهو القران وراء ظهورهم

مثل لاعراضهم

تسر ٥ لتوليهم للوكره

مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم
لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم
انه تعالى دل بالايات على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتوراة وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم
لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا
وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها
ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها
حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا
الشياطين عطف على نبذوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقراها
او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده
وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا
اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشى ذلك
في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه يسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم
ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما
عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن
بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال
من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين
مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة
وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام وبهذا تميز الساحر عن النبي
والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية
او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه
من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما
تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه

والتعاون مع

وهما بعضها ويعلمونهم ما انزل عليهما ابو

بالنهر الخ تحت الاقوم طالوت

وما بينهما اعتراض الى ويتبعوا ما انز لح الخ

وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا
لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السما
بما تعلمته منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي
البصاير وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة
• ببابل • ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد
الكوفة • هاروت وماروت • عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة
والعلمية ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية
ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما
هاروت وماروت • وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر •
فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله
تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير
محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا
انا مفتونان فلا تكن مثلنا • فيتعلمون منهما • الضمير لما دل عليه من احد
• ما يفرقون به بين المرء وزوجه • اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما
• وما هم بضارين به من احد الا باذن الله • لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة
بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل
الجار جزءا منه والفصل بالظرف • ويتعلمون ما يضرهم • لانهم يقصدون به
العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا • ولا ينفعهم • اذ مجرد العلم به غير مقصود
ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى • ولقد علموا • اي اليهود • لمن اشتراه •
استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر ان اللام لام
الابتداء علقت علموا عن العمل • ما له في الاخرة من خلاق • نصيب • ولبئس ما
شروا به انفسهم • يحتمل المعنيين على ما مر • لو كانوا يعلمون • يتفكرون فيه
او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا

[margin:] ... لتقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهما نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد التشيا والتي ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت ...

[margin:] وهو بابل العراق وقال ابن مسعود رض بابل ارض كوفة وقيل جبل
ابو السعود

على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب
العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لا يعمل بما
علم كان كمن لم يعلم • ولو انهم امنوا • بالرسول والكتاب • واتقوا • بترك المعاصي
كنبذ كتاب الله تعالى واتباع السحر • لمثوبة من عند الله خير • جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي
جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل
عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء
من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة
وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه • لو كانوا يعلمون •
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم • يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا • الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتان بنا فيما تلقينا
حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه وخاطبوا به مريدين نسبته الى الرعن
او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها بمعنى انظر الينا او انظرنا
من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن
وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب • واسمعوا • واحسنوا
الاسماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع
اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه • وللكافرين
عذاب اليم • يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه • ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين • نزلت تكذيبا لجمع اليهود يظهرون مودة المومنين
ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل
في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب • ان
ينزل عليكم من خير من ربكم • مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون

[margin:] وهي راعينا فنهي المومنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا ع

ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك • والله
يختص برحمته من يشاء • يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء
وليس لاحد عليه حق • والله ذو الفضل العظيم • اشعار بان النبوة من الفضل
وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من
حكمته • ما ننسخ من اية او ننسها • نزلت لما قال المشركون او اليهود الا
ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ
في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب
ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا
وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة
على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها
منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها
اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتُنسَها وننسكها باظهار المفعولين • نأت
بخير منها او مثلها • اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب
وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا • الم تعلم ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على النسخ
والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال
اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت
والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله تعالى ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر
قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب
بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل
ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة
على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض
الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم • الم تعلم • خطاب للنبي

على البناء للمفعول صح

صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته كقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم
ومبدأ علمهم • ان الله له ملك السموات والارض • يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك
العاطف • وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • وانما هو الذي يملك
اموركم ويجريها على مصالحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه
• ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل • ام معادلة للهمزة
في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما
اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه
الصلاة والسلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك
الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا
من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه • ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • ومن ترك
الايمان بالايات البينة وشك فيها واقترح غيرها عليها فقد ضل الطريق
المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا
وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر
بالايمان وقرئ يبدل من ابدل • ود كثير من اهل الكتاب • يعني احبارهم
لو يردونكم • اي يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ • من
بعد ايمانكم كفارا • مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين • حسدا • علة
ود • من عند انفسهم • يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم
وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا
من اصل نفوسهم • من بعد ما تبين لهم الحق • بالمعجزات والنعوت المذكورة في
التوراة • فاعفوا واصفحوا • العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك
تثريبه • حتى ياتي الله بامره • الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية
عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية

النفر

السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق • ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على الانتقام منهم • واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة • عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالقة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر • وما تقدموا لانفسكم من خير • كصلاة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم • تجدوه عند الله • اي ثوابه • ان الله بما تعملون بصير • لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا • وقالوا • عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى • لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى • لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى • تلك امانيهم • اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة • قل هاتوا برهانكم • على اختصاصكم بدخول الجنة • ان كنتم صادقين • في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت • بلى • اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة • من اسلم وجهه لله • اخلص له نفسه او قصده واصله العضو • وهو محسن • في عمله • فله اجره • الذي وعد له على عمله • عند ربه • ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم • ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • في الآخرة • وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء • اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك • وهم يتلون الكتاب • الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل الكتاب والعلم • كذلك • مثل ذلك • قال الذين لا يعلمون مثل قولهم • كعبدة الاصنام والمعطلة • وتحكم

يحي

على المكابرة والتشبيه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلنا لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل • فالله يحكم بينهم • بين الفريقين • يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار • ومن اظلم ممن منع مساجد الله • عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية • ان يذكر فيها اسمه • ثاني مفعولي منع • وسعى في خرابها • بالهدم او التعطيل • اولئك • اي المانعون • ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين • ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المومنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمومنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره • لهم في الدنيا خزي • قتل وسبي وذلة بضرب الجزية • ولهم في الآخرة عذاب عظيم • بكفرهم وظلمهم • ولله المشرق والمغرب • يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا • فاينما تولوا • ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة • فثم وجه الله • اي جهته التي امر بها فان مكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه • ان الله واسع • باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده • عليم • بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة

وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحا مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطى المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة. وقالوا اتخذ الله ولدا:
نزلت لما قال اليهود عزير بن الله والنصارى المسيح بن الله ومشركوا العرب الملايكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو. سبحانه: تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفنا الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنايها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان
والنبات اختيارا او طبعا. بل له ما في السموات والارض: رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملايكة وعزير والمسيح. كل له قانتون: منقادون لا يمتنعون على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه والواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جا بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقها على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما. بديع السموات والارض: مبدعها ونظيره السميع في قوله. امن ريحانة الداعي السميع. يورقني واصحابي هجوع.
او بديع سماواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشيا كلها فاعل على الاطلاق ومنزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشي لا عن شي دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرى بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح. واذا قضى امرا: اي اراد

شيا

شيا واصل القضا اتمام الشي قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشي من حيث انه يوجبه. فانما يقول له كن فيكون: من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايما الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان اصحاب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله تعالى هو الاب الاكبر حتى ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد. وقال الذين لا يعلمون: اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب. لولا يكلمنا الله: هلا يكلمنا كما يكلم الملايكة او يوحي الينا بانك رسوله. او تاتينا اية: حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود انما اتاهم ايات استهانة به وعنادا. كذلك قال الذين من قبلهم: من الامم الماضية. مثل قولهم: فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من السما. تشابهت قلوبهم: قلوب هولا ومن قبلهم في العمى وقرى بتشديد الشين. قد بينا الايات لقوم يوقنون: اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفا الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا. انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا: فلا عليك ان اصروا او كابروا. ولا تسال عن اصحاب الجحيم: ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسال على انه نهي للرسول عن السوال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السوال والجحيم المتاجج من النار. ولن ترضى عنك

اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم
اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك
فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اى ان
هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت
اهواءهم اى آراءهم الزائغة والملة ما شرع الله تعالى لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك
من العلم اى الوحى والدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك
عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مؤمنى اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل
بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول
مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر
به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم
وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم
بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة
القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر
ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما
استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير
لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين
والكلمات قد يطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة
المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر
الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها
فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سنته وبمناسك الحج

وبالكواكب

وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة
المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه
دعا ربه بكلمات مثل رب ارنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى
هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما فى هذه السورة وفى النساء
ثلاثة احرف وهى الاخيرة وفى الانعام الحرف الاخير وفى التوبة الحرفان
الاخيران وفى ابراهيم حرف وفى النحل حرفان وفى مريم ثلاثة احرف وفى
العنكبوت حرف وفى الذاريات حرف وفى النجم حرف وفى الممتحنة الحرف
الاول فذلك ثلاثة وثلاثون حرفا وقرأ ابن ذكوان فى البقرة خاصة
بالوجهين فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه اى اعطاه
جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب
اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى
فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام
وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذى
له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث
بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتى عطف على الكاف
اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من الذر بمعنى
التفريق او فعولة او فعلية قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتى
بالكسر وهى لغة قال لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه
على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله
تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل
على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت
اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه

اعيان الزوار وامثالهم اوموضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقري مثابات
لانه مثابة كل احد وامنا موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالي حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب
ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتي يخرج وهو مذهب ابي حنيفة ٥
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا وعلي ان الخطاب
لامة محمد صلي الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي
فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعى الناس الي الحج
او رفع بنا البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد
عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلي فقال لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتي نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر
انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الي مقام ابراهيم فصلي خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي وللشافعي في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلي ان يدعي
فيها ويتقرب الي الله تعالي وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا
على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون
اليها وعهدنا الي ابراهيم واسماعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا
ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معني القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين
المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع
وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا
ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقوله ليل نايم وارزق اهله
من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض
للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم
الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى على ان الرزق رحمة دنيوية تعم

المومن

المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين ومبتدا تضمن معني الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله
بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الي نيل الثواب ولذلك
عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره
وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقري بلفظ الامر فيهما على انه من دعا ابراهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر
فامتعه من امتع وقري فنمتعه ثم نضطره بلفظ الامر فيهما على انه من دعا ثم نضطره واضطره
بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد
وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس
وبيس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس
صفة غالبة من القعود بمعني الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه
قعدك الله ورفعها البنا عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الي هيئة
الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البنا فان كل ساف قاعدة ما يوضع
فوقه ويرفعها بناوها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه
ودعا الناس الي حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسماعيل
كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البنا عطف عليه وقيل كانا
يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد
قري به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا
واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من استسلم
اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات
عليه وقري مسلمين لك على ان المراد انفسهما وهاجرا وان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما
خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع
وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي

الانفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقا لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين منكم قدم على المبين وفصل
به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا
متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج
لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو
قياما
ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا توبة
استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا
لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة
المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو
المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورويا امي يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحي اليه من دلايل
التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم
استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراي لا يرغب
احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها
قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في
الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل سفه نفسه على الرفع
فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقولجرير ونأخذ بعده
بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع
الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه
في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة

وبيان

وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة
والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر باله
دلايله المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا
عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه
صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
ويعقوب
كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ عطف على
ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقري بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه
نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر
وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسماعيل واسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية
وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر روبين وشمعون ولاوا ويهوذا
ويشسوخور وزبولون وذون ويفتوني وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله
تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال
العبارة
الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم
ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات

فنولت • ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار اي ماكنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غايبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمومنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحي وقري حضر بالكسر • اذ قال لبنيه • بدل من اذ حضر • ما تعبدون من بعدي • اي اي شي تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شي ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلا بمن اذا سيل عن تعيينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب • قالوا نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسمعيل واسحاق • المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابايه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله تعالى عنه هذا بقية ابايي وقري اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفدينا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان • الها واحدا • بدل من اله ابايك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص • ونحن له مسلمون • حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا • تلك امة قد خلت • يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها • لها ما كسبت ولكم ما كسبتم • لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم • ولا تسالون عما كانوا يعملون • ولا تواخذون بسياتهم كما لا تثابون بحسناتهم • وقالوا كونوا هودا او نصارى • الضمير الغايب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى • تهتدوا • جواب الامر • قل بل ملة ابراهيم • اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقريت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه

او نحن

او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته • حنيفا • اي مايلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا • وما كان من المشركين • تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون • قولوا امنا بالله • الخطاب للمومنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به • وما انزل الينا • يعني القران قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره • وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط • الصحف وهي وان نزلت على ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد حفدة يعقوب او ابناه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق • وما اوتي موسى وعيسى • التوراة والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما • وما اوتي النبيون • جملة المذكورين منهم وغير المذكورين • من ربهم • منزلا عليهم من ربهم • لا نفرق بين احد منهم • كاليهود فنومن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين • ونحن له • اي لله • مسلمون • مذعنون مخلصون • فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا • من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيية بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله اي عليه ويشهد له قراة من قرا بما امنتم به او بالذي امنتم به • وان تولوا فانما هم في شقاق • اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر • فسيكفيكهم الله • تسلية وتسكين

للمومنين ووعد لهم بالحفظ والنصر علي من ناواهم وخالفهم • وهو السميع العليم
اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محاله
او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم
عليه • صبغة الله • اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر
الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا
هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة
لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ
الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ما اصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر
موكد لقوله امنا وقيل على الاغرا وقيل على البدل من ملة ابراهيم • ومن احسن
من الله صبغة • لا صبغة احسن من صبغته • ونحن له عابدون • تعريض
بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغرا او البدل ان يضمر قولوا
معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم
فك النظم وسوء الترتيب • قل اتحاجوننا • اتجادلوننا • في الله • في شانه
واصطفايه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبيا كلهم منا
فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت • وهو ربنا وربكم • لا اختصاص له بقوم دون
قوم يصيب برحمته من يشا من عباده • لنا اعمالنا ولكم اعمالكم • فلا يبعد ان
يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة
النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشا والكل فيه سوا واما افاضة حق
على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطايها فلنا ايضا اعمال • ونحن له مخلصون •
موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم • ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى • ام منقطعة والهمزة للانكار
وعلى قراة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتا يحتمل ان تكون معادلة للهمزة

في

في اتجادلوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعا اليهودية او النصرانية على
الانبيا • قل اانتم اعلم ام الله • وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من
بعده وهولاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا • ومن اظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله • يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراة عن
اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا
هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة
الله تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتدا كما في قوله براة من الله
• وما الله بغافل عما تعملون • وعيد لهم وقرئ باليا • تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون • تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالابا والاتكال عليهم
وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذير عن الاقتدا بهم وقيل المراد
بالامة في الاولى الانبيا وفي الثانية اسلاف اليهود والنصارى • سيقول
السفها من الناس • الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض
عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين
وفايدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب • ما ولاهم •
ما صرفهم • عن قبلتهم التي كانوا عليها • يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل
للحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه
للصلاة • قل لله المشرق والمغرب • لا يختص به مكان دون مكان لخاصية
ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان
• يهدي من يشا الى صراط مستقيم • وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى • وكذلك • اي
اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط
المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل • جعلناكم امة وسطا • اي خيارا
او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه

المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحموده لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم • لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا • علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقا على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيوتي بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتي بمحمد فيسال عن امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم • وما جعلنا القبلة التي كنت عليها • اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس • الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه • الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل

عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزا والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمومنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراة ليعلم على البنا للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب • وان كانت لكبيرة • ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرى لكبيرة بالرفع فتكون كان زايدة • الا على الذين هدى الله • الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع • وما كان الله ليضيع ايمانكم • اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت • ان الله بالناس لروف رحيم • فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الروف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر وحفص بالمد والباقون بالقصر • قد نرى • ربما نرى • تقلب وجهك في السما • تردد وجهك في جهة السما تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال • فلنولينك قبلة • فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها • ترضاها • تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله تعالى وحكمته • فول وجهك • اي اصرف وجهك • شطر المسجد الحرام • نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشي من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال وممنوع عن الظلمة

بجانب

ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان في
المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف
القريب وروي انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له
وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا
للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما
يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتا
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة
واللام موطية للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر ساد
مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوا
مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على
قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في
رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما
بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى تستقبل
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا ترجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو
فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي
انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه الاول الاتيان
باللام الموطية للقسم الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق وهي
ان الرابع تركيبه من جملة اسمية الخامس الاتيان باللام في الخبر السادس جعله

من الظالمين

من الظالمين ولم يقل انك ظالم فان في الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع
الظلم السابع التقييد بمجيء العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين
اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن
او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه
كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله تعالى عنه
انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به
مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل
والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص
لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا
خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي
يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت
عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف
اي هذا الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من
الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك
او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه
غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث
لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على
الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب
من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف
اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف
العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا
الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات

من الجهات وهي المسامتة للكعبة . اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . في اي
موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزا ومفترقها يحشركم الله الى المحشر
للجزا او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا
من الجهات المقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة
ان الله على كل شيء قدير . فيقدر على الاماتة والاحيا والجمع . ومن حيث خرجت
ومن اي مكان خرجت للسفر . فول وجهك شطر المسجد الحرام . اذا صليت .
وانه . اي وان هذا الامر . للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون . ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .
كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول
بابتغا مرضاته وجري العادة الالهية ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة
معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلايله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة
لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يوكد امرها ويعاد
ذكرها مرة بعد اخرى . لئلا يكون للناس عليكم حجة . علة لقوله فولوا والمعنى ان
التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورا
قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه
يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته . الا الذين ظلموا منهم . استثنا من
الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما
تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابايه
ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها
مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثنا للمبالغة في نفي الحجة
راسا كقوله . ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم . بهن فلول من قراع الكتايب .
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف
التنبيه . فلا تخشوهم . فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم . واخشوني .
فلا تخالفوا ما امرتكم به . ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون . علة محذوف

اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم او عطف على علة مقدرة
مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة
كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني .
يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم . يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل . ويعلمكم الكتاب والحكمة .
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر . فاذكروني . بالطاعة . اذكركم . بالثواب
واشكروا لي . ما انعمت به عليكم . ولا تكفرون . بجحود النعم وعصيان الامر
يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر . عن المعاصي وحظوظ النفس . والصلاة .
التي هي ام العبادات ومعراج المومنين ومناجاة رب العالمين . ان الله مع
الصابرين . بالنصرة واجابة الدعوة . ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات .
اي هم اموات . بل احيا . بل هم احيا . ولكن لا تشعرون . ما حالهم وهو تنبيه
على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي
امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهدا
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قايمة بانفسها
مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهدا
لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة . ولنبلونكم .
ولنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلا وتستسلمون
للقضا . بشيء من الخوف والجوع . اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما
وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما
يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه
نفوسهم . ونقص من الاموال والانفس والثمرات . عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي

ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث
تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه
تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي صح

رحمه الله تعالى عليه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال
الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا
قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد • وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن يتاتى منه البشارة
والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل
شي يوذي المومن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب
بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى
ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به
محذوف دل عليه قوله • اوليك عليهم صلوات من ربهم • الصلاة في الاصل
الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها
والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع
عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه • واوليك هم المهتدون • للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا
لقضاء الله تعالى • ان الصفا والمروة • هما علما جبلين بمكة • من شعاير الله • من
اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة • فمن حج البيت او اعتمر • الحج لغة
القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المخصوصين • فلا جناح عليه ان يطوف بهما • كان اساف على الصفا ونايلة
على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه
مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال
انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف
لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة

رضي الله

رضي الله تعالى عنه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله تعالى
عليهما انه ركن لقوله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي • ومن تطوع
خيرا • اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله تعالى عليه من حج
او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعديه الفعل
لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسايي ويعقوب يطوع واصله
يتطوع فادغم مثل يطوف • فان الله شاكر عليم • مثيب على الطاعة لا
يخفى عليه • ان الذين يكتمون • كاحبار اليهود • ما انزلنا من البينات • كالايات
الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم • والهدى • وما يهدي الى وجوب
اتباعه والايمان به • من بعد ما بيناه للناس • لخصناه • في الكتاب • في التوراة
• اوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من
الملايكة والثقلين • الا الذين تابوا • عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب
عنه • واصلحوا • ما افسدوا بالتدارك • وبينوا • ما بين الله تعالى في كتابهم
ليتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي
بهم اضرابهم • فاوليك اتوب عليهم • بالقبول والمغفرة • وانا التواب الرحيم •
البالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة • ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار • اي ومن
لم يتب من الكاتمين حتى مات • اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين •
استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته من خلقه وقيل الاول لعنهم احيا
وهذا لعنهم امواتا وقري والملايكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله
تعالى لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل
مقدر نحو وتلعنهم الملايكة • خالدين فيها • اي في اللعنة او في النار واضمارها
قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفا بدلالة اللعن عليها • لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون • لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا
ينظر اليهم نظر رحمة • والهكم اله واحد • خطاب عام اي المستحق منكم العبادة
واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها • لا اله الا هو • تقرير للوحدانية

وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة ◦ الرحمن الرحيم ◦
كالحجة عليها فانه لما كان مولي النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم
عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا
محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية
يعرف بها صدقك فنزلت ◦ ان في خلق السموات والارض ◦ وانما جمع السموات
وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف
الارضين ◦ واختلاف الليل والنهار ◦ تعاقبهما لقوله تعالى جعل الليل والنهار
خلفة ◦ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ◦ اي ينفعهم او بالذي ينفعهم
والقصد به الي الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه
سبب الخوض فيه والاطلاع علي عجايبه ولذلك قدمه علي ذكر المطر والسحاب
لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانها بمعني السفينة
وقري بضمتين علي الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين
◦ وما انزل الله من السما من ما ◦ من الاولي للابتدا والثانية للبيان والسما يحتمل
الفلك والسحاب وجهة العلو ◦ فاحيا به الارض بعد موتها ◦ بالنبات ◦ وبث
فيها من كل دابة ◦ عطف علي انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات
به وبث الحيوانات في الارض او علي احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا والبث النشر والتفريق ◦ وتصريف الرياح ◦ في مهابها واحوالها وقرا
حمزة والكساي علي الافراد ◦ والسحاب المسخر بين السماء والارض ◦ لا ينزل ولا
ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتي ياتي امر الله تعالي وقيل مسخر للرياح تقلبه
في الجو بمشية الله تعالي واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا ◦ لايات
لقوم يعقلون ◦ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلي الله
عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات
علي وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها
امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة والغا مختلفة اذ كان
من الجايز مثلا ان لا تتحرك السموات وبعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها

وبحيث تصير المنطقة دايرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض
اصلا وعلي هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزايها فلا بد لها من موجد قادر حكيم
يوجدها علي ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة
غيره اذ لو كان معه اله يقدر علي ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل
ان كان لهما لزم اجتماع موثرين علي اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد
كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه
علي شرف علم الكلام واهله وحث علي البحث والنظر فيه ◦ ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا ◦ من الاصنام وقيل من الروسا الذين كانوا يطيعونهم لقوله
تعالي اذ تبرا الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالي يحبو
يعظمونهم ويطيعونهم ◦ كحب الله ◦ كتعظيمه والميل الي طاعته اي يسوون بينه
وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم
اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالي ارادة طاعته
والاعتنا بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في
الطاعة وصونه عن المعاصي ◦ والذين امنوا اشد حبا لله ◦ لانه لا تنقطع محبتهم لله
تعالي بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادني سبب
ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الي الله تعالى عند الشدايد ويعبدون
الصنم زمانا ثم يرفضونه الي غيره ◦ ولو يري الذين ظلموا ◦ ولو يعلم هولاء الذين
ظلموا باتخاذ الانداد ◦ اذ يرون العذاب ◦ اذ عاينوه يوم القيامة واجري
المستقبل مجري الماضي لتحققه لقوله تعالي ونادي اصحاب الجنة ◦ ان القوة
لله جميعا ◦ ساد مسد مفعولي يري وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان
القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب
والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يري الذين ظلموا اندادهم لا ينفع ولا
يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو تري علي انه خطاب للنبي اي ولو
تري ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون علي البنا للمفعول ويعقوب

نهم

لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع

ان بالكثرة وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول
اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرا المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرا الاتباع من الروسا وراوا العذاب اي رائين
له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب
يحتمل العطف على تبرا اوراوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت
بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب
الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البنا للمفعول وقال الذين اتبعوا
لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبروا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفا اي ليت
لنا كرة الى الدنيا فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الارا الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يري ان كان من روية
القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى
هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض
اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ
الحلال على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث
وقع بتسكين الطا وهما لغتان في جمع خطوة وهي [illegible] وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطا كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي
المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان
كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياوهم الطاغوت
انما يامركم بالسوء والفحشا بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته
واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم
والسوء والفحشا ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف
الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشا باستقباحه اياه وقيل السوء

ما بين قدمي الخاطي

يعم القبائح والفحشا ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني
ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل
المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع
المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه
كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس
وعدل عن الخطاب عنهم للندا على ضلالتهم كانه التفت الى العقلا وقال لهم
انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران وساير ما انزل
الله تعالى من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طايفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا
تدعوا الى الاسلام اولو كان اباوهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون الواو للحال
او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباوهم
جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل
على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم
بدليل ما انه محق كالانبيا والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد
بل اتباع لما انزل الله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او
مثل الذين كفروا كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد
لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم في ذلك
كالبهايم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالندا ولا تفهم
معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع ابايهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها
كالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعايهم الاصنام
بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهايم وهذا يغني عن الاضمار ولكن
لا يساعده قوله الا دعا ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب

أمنوا

والمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لا تمامه وهو عدم عند عدمه صح

التمثيل المركب صم بكم عمي بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال
بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة
واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات
ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم
اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من
غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف
عنها واستثنا الشرع والحرمة المضافة الى العين يفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما
خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع له
وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله
رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع
الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان
بغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر وقرا عاصم وابو عمرو
وحمزة والكسائي بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير
باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو
ظاهر مذهب الشافعي رحمه الله تعالى عليه وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم
على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه
الاشيا ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اوليك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في
الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني

ان هم يخصون بالعبادة ونخبرونا انه مولى النعم ع

الدية

الدية او في المال اي لا ياكلون يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملا
بطونهم يقال اكله في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم
تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم لا يثني
عليهم ولهم عذاب اليم مولم اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في
الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاعراض الدنيوية
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة
وما تامة مرفوعة بالابتدا وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب
او استفهامية وما بعدها الخبر او موصوله وما بعدها صلته والخبر
محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله
نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في
الكتاب اللام للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم
ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج
المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما انزل
الله فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر
واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل
الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان
البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه
فانه منسوخ ولكن البر ما بينه الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم
وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن
ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب
ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين اي ولكن
البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن او ولكن ذا البر من امن ويويده قراة ولكن
البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران وقرا

نافع وابن عامر بالتخفيف ورفع البر • وآتى المال على حبه • اي على حب المال كما قال
عليه الصلاة والسلام لما سيل اي الصدقة افضل ان توتيه وانت صحيح شحيح
تامل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع
الحال ذوي القربى واليتامى • يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوي القربى لان ايتاهم صدقة وصلة كما قال عليه الصلاة والسلام
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان صدقة وصلة • والمساكين •
جمع المسكين وهو الذي اسكنه الفقر الخلة واصله دايم السكون كالمسكير
للدايم السكر • وابن السبيل • المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي
القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به • والسايلين •
الذين الجاهم الحاجة الى السوال وقال عليه الصلاة والسلام للسايل حق
وان جا على فرسه • وفي الرقاب • وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او الاسارى
او ابتياع الرقاب لعتقها • واقام الصلاة • المفروضة • وآتى الزكاة •
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن
الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداوها والحث عليها ويحتمل
ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى
الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة • والموفون بعهدهم اذا عاهدوا • عطف
على من امن • والصابرين في الباسا والضراء • نصبه على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري الباسا في الاموال كالفقر والضراء
في الانفس كالمرض • وحين الباس • وقت مجاهدة العدو • اولئك الذين صدقوا •
في الدين واتباع الحق وطلب البر • واولئك هم المتقون • عن الكفر وساير الرذايل
والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او
ضمنا لانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين
والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام
الصلاة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده

وبالتقوى

ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك • الوصية للوالدين والاقربين •
مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصا ولذلك ذكر
الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفا كقوله ٥
من يفعل الحسنات الله يشكرها • ورد بانه ان صح فمن ضروريات الشعر
وكان هذا الحكم في بدي الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه الصلاة
والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان
اية المواريث لا تعارضه بل توكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ٥
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى الله تعالى به من توريث الوالدين
والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصا المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم ٥
• بالمعروف • ولا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث • حقا على المتقين • مصدر
موكد اي حق ذلك حقا • فمن بدله • غيره من الاوصيا والشهود • بعد ما سمعه •
وصل اليه وتحقق عنده • فانما اثمه على الذين يبدلونه • فما اثم الايصا المغير
او التبديل الا على مبدليه لانه هو الذي خاف وخالف الشرع • ان الله سميع عليم •
وعيد للمبدل بغير حق • فمن خاف من موص • اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل
السما وقرا حمزة والكساي ويعقوب وابو بكر من موص • جنفا • ميلا بالخطا
في الوصية • او اثما • تعمد الحيف • فاصلح بينهم • بين الموصى لهم باجرايهم على نهج
الشرع • فلا اثم عليه • في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول
• ان الله غفور رحيم • وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون
الفعل من جنس ما يوثم • يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم • يعني الانبيا والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات
فان معظم ما تشتهيه النفس • لعلكم تتقون • المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة التي هي مبداوها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم

فائدته وجاوا لاخلال بالبداية لاصالته وقدمه. ايامًا معدودات. موقتات
بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها
ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه
والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشورا او ثلاثة
ايام من كل شهر او بما كتب على الظرف او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على
السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب
على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم. فمن كان منكم مريضا. مرضا يضره
الصوم ويعسر معه. او على سفر. او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء
اليوم لم يفطر. فعدة من ايام اخر. اي فعليه صوم عدة ايام المرض
او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم
بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة. وعلى الذين يطيقونه. وعلى المطيقين
للصيام ان افطروا. فدية طعام مسكين. نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا
بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرا ابن عامر برواية
هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة
وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى
الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه
بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلها يطيوقونه ويتطيوقونه اي يتكلفونه
او يتقلدونه ويطوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات
يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ
والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم. فمن تطوع خيرا. فزاد في الفدية. فهو. فالتطوع

او الخير

او الخير. خير له. وان تصوموا. ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم
او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر. خير لكم. من الفدية او
تطوع الخير او منهما او من التاخير للقضاء. ان كنتم تعلمون. ما في الصوم من الفضيلة
وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم
من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك. شهر رمضان. مبتدا خبره
ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف
المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا
او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات
والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما
للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف
المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش
او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة. الذي انزل فيه القرآن. اي ابتدي فيه انزاله وكان ذلك
ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في
شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين
والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر
المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى
الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم
فيه. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. حالان من القرآن اي
انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام. فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم
فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف

بالجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر
ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر
والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل
لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر والمرخص بالقضا ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخص لتكملوا العدة الى
اخرها على سبيل اللف فان قوله لتكملوا علة للامر بمراعاة العدد ولتكبروا
الله علة الامر بالقضا وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او الافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله
يريدون ليطفيوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثنا عليه ولذلك
عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر
والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا
سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه
بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم
وليومنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة
الرشد وهو اصابة الحق وقري بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم
بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه
بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعايهم مجازيهم
على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم

في بيان احكام الصوم

اخيه فانما اقضي له قطعة من النار يسالونك عن الاهلة ساله معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سالوا عن
الحكمة في اختلاف القمر وتبدل امره فامره الله تعالى ان يجيب بان الحكمة
الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة تعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه ادا وقضا
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان
المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدايها الى منتهاها والزمان مدة
مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها قرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ولكن البر
من اتقى وقرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم
والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها
مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا
عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السوال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة
عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على ان اللايق بهم ان يسالوا امثال ذلك
ويهتموا بالعلم به او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السوال وتمثيلهم بحال
من ترك باب البيت ودخل من ورايه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسايلكم
ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس
في العدول بر وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض
على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل
الله جاهدوا لاعلا كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه
الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان

والرهابنة والنسا او الكفرة كلهم فانه نسخ بعده قتال المسلمين على قصدك ويويد
الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا وخاف
المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم وكرهوا ذلك فنزلت. ولا تعتدوا
بابتدا القتال او بقتال المعاهد والمفاجات به من غير دعوة والمثلة وقتل من
نهيتم عن قتله من النسا والصبيان. ان الله لا يحب المعتدين. لا يريد بهم الخير
. واقتلوهم حيث ثقفتموهم. حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف
الحذق في ادراك الشي علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل
فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود. واخرجوهم من
حيث اخرجوكم. اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح. والفتنة اشد من
القتل. اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل
لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد
من قتلكم اياهم فيه. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه. لا تفاتحو
بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام. فان قاتلوكم فاقتلوهم. فلا تبالوا
بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد
. كذلك جزا الكافرين. مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا. فان انتهوا
عن القتال والكفر. فان الله غفور رحيم. يغفر لهم ما قد سلف. وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة. شرك. ويكون الدين لله. خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب
. فان انتهوا عن الشرك. فلا عدوان الا على الظالمين. فلا تعتدوا على المنتهين
اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزا الظلم باسمه
للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين
صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفا الاولى للتعقيب والثانية للجزا
. الشهر الحرام بالشهر الحرام. قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق
خروجهم لعمرة القضا فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل هذا الشهر

بذاك

بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به. والحرمات قصاص. احتجاج عليه اي كل حرمة
وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال
. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وهو فذلكة التقرير. واتقوا الله. في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم
. واعلموا ان الله مع المتقين. فيحرسهم ويصلح شانهم. وانفقوا في سبيل الله. ولا
تمسكوا كل الامساك. ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة. بالاسراف وتضييع وجه
المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على
هلاككم ويويده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله تعالى
الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
او بالامساك وحب المال فانه يودي الى الهلاك المويد ولذلك سمى البخل هلاكا
وهو في الاصل انتها الشي في الفساد والالقا طرح الشي وعدي بالى لتضمن
معنى الانتها والبا مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك
والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في
الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم
اليها فحذف المفعول. واحسنوا. اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج
. ان الله يحب المحسنين. واتموا الحج والعمرة لله. ايتوا بهما تامين مستجمعي
المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويويده قراة من
قرا واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر
رضي الله تعالى عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله
اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال
على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما
ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده

لهما لا شوبهما بغرض دنيوي او ان يكون للنفقة حلالا • فان احصرتم • منعتم
يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد
حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية
ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنه لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو
او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من
كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به
لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم
محلي حيث حبستني • فما استيسر من الهدي • فعليكم ما استيسر او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل
تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر
لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة
رضي الله تعالى عنه يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم
وظن انه ذبح تحلل لقوله • ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله • اي لا تحلقوا
حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر
فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان
او حرما واقتصاصه على الهدي دليل على عدم القضا وقال ابو حنيفة تجب
القضا والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي
وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية • فمن كان منكم مريضا • مرضا
يحوجه الى الحلق • او به اذى من راسه • كجراحة وقمل • ففدية • فعليه فدية ان حلق
• من صيام او صدقة او نسك • بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه
عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم
يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلاثة اصع • فاذا امنتم • الاحصار او كنتم في حال سعة
وامن • فمن تمتع بالعمرة الى الحج • فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة
قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته

باستباحة

باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج • فما استيسر من الهدي • فعليه
دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه
وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه انه دم نسك فهو كالاضحية • فمن لم يجد
اي الهدي • فصيام ثلاثة ايام في الحج • في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل
التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم في سابع
ذي الحجة [illegible] وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند
الاكثر • وسبعة اذا رجعتم • الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رضي الله تعالى
عنه او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابو حنيفة وقرئ سبعة
بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام • تلك عشرة • فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم
العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد
بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما • كاملة • صفة موكدة تفيد
المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به
ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة يفيد كمال بدليتها من الهدي • ذلك • اشارة
الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية • لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام • وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في
حكمه ومن مسكنه ورا الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك
• واتقوا الله • في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج • واعلموا ان الله
شديد العقاب • لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان • الحج اشهر • اي وقته
كقولك البرد شهران • معلومات • معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع
من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه
وذو الحجة كله عند مالك وبنا الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت
اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره
العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد

استكرهه وانما سمّي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد • فمن فرض فيهن الحج • فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي
رضي الله تعالى عنه ان من احرم بالحج لزمه الاتمام • فلا رفث • فلا جماع او فلا
فحش من الكلام • ولا فسوق • ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب
المحظورات • ولا جدال • ولا مرا مع الخدم والرفقة • في الحج • في ايامه نفي الثلاث
على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها
مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب
بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا
ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكوننّ رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفا الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا ان يقفوا ايضا
بعرفة • وما تفعلوا من خير يعلمه الله • حث على الخير عقيبه النهي عن الشر
ليستبدل به ويستعمل مكانه • وتزودوا فان خير الزاد التقوى • وتزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا
الابرام في السوال والتثقيل على الناس • واتقون يا اولي الالباب • فان قضية
اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو
الله تعالى فيتبرأ من كل شي سواه وهو مقتضى العقل المعرّى عن شوايب الهوى
فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب • ليس عليكم جناح ان تبتغوا • في ان
تبتغوا اي تطلبوا • فضلا من ربكم • عطا ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان
عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت
معايشهم منها فلما جا الاسلام تاثموا منه فنزلت • فاذا افضتم من عرفات •
دفعتم منها بكثرة من افضت الما اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف
المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون

دكرو

وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن
ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم
الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتا المذكورة وهي
ليست تا التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث او بتا مقدرة
كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها
لاختصاصها بالمونث كتا بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم
عليه الصلاة والسلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر
فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون
فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسما المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف
وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها
بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب
بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب
مقدمته والامر به غير مطلق • فاذكروا الله • بالتلبية والتهليل والدعا وقيل
بصلاة العشاين • عند المشعر الحرام • جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح
وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه
الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب
منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر • واذكروه كما هداكم •
كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها
وما مصدرية او كافة • وان كنتم من قبله • اي الهدى • لمن الضالين • الجاهلين
بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين • ثم افيضوا من حيث افاض
الناس • اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع
وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا ان يساووهم وثم

فون

لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس
بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة
شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك
ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم
مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباكم
فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم
ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا
على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما
اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف
على اباكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكور من ابائكم او بمضمر
دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس من يقول
تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله تعالى الا الدنيا ومكثر يطلب به
خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب وحظ
لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا
حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب
والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله تعالى عنه
الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء
وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب
النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد
بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا
اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به
نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب

النصيب الكامل

يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة
ويحاسب الناس فبادروا الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في
ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار
وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر
والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع
الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر
في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى
عنه يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير
التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من
اثم المتاخر لمن اتقى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه
الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بتركه ما يهمه منهما
واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء
بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك
ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه
في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش
او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك قوله
في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة
والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف
ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة
والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان
حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا
غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما
فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله

اي يعجبك

ولاة السوء بالقتل والاتلاف او الظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك
الحرث والنسل • والله لا يحب الفساد؛ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه
• واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم؛ حملته الانفة وحمية الجاهلية
على الاثم الذي يومر باتقايه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه
والزمته اياه • فحسبه جهنم؛ كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهي في الاصل مرادف للنار وقيل معرب • ولبيس المهاد؛ جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب • ومن
الناس من يشري نفسه؛ يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل • ابتغا مرضات الله؛ طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب
ابن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا
ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوه منه واتى المدينة • والله روف بالعباد؛ حيث ارشدهم الى مثل
هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهدا • يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم كافة؛ السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لانه يكف الاجزا من التفرق حال من الضمير او السلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم توخذ منها ما رضيت به • والحرب تكفيك من انفاسها
جرع • والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمومني اهل الكتاب
فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها
بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب
الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشي والخطاب للمسلمين • ولا تتبعوا
خطوات الشيطان؛ بالتفرق والتفريق • انه لكم عدو مبين؛ ظاهر العداوة
• فان زللتم؛ عن الدخول في السلم • من بعد ما جاتكم البينات؛ الايات والحجج
الشاهدة على انه الحق • فاعلموا ان الله عزيز؛ لا يعجزه الانتقام • حكيم؛ لا ينتقم

الا بحق

الا بحق • هل ينظرون؛ استفهام في معنى النفي ولذلك جا بعده • الا ان ياتيهم
اي ياتيهم امره او باسه كقوله تعالى او ياتي امر ربك فجاهم باسنا او ياتيهم
الله تعالى بباسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم
• في ظلل؛ جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقري في ظلال كقلال • من الغمام؛
السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جامنه
العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير • والملايكة؛ فانهم الواسطة في اتيان امره
او الاتون على الحقيقة بباسه وقري بالجر عطفا على ظلل او الغمام • وقضي
الامر؛ اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه
وتيقن وقوعه وقري وقضا الامر عطفا على الملايكة • والى الله ترجع الامور؛
قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون على البنا
للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقري ايضا بالتذكير
وبنا المفعول • سل بني اسرايل؛ امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السوال
تقريعهم • كم اتيناهم من اية بينة؛ معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة
على الحق والصواب على ايدي الانبيا وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها
النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا على حذف العايد من الخبر واية
مميزها ومن للفصل • ومن يبدل نعمة الله؛ اي ايات الله تعالى فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتاويل الزايغ • من بعد ما جاته؛ من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها
وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها
ومن يبدل • فان الله شديد العقاب؛ فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب
اشد جريمة • زين للذين كفروا الحياة الدنيا؛ حسنت في اعينهم واشربت
محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة
هو الله تعالى اذ ما من شي الا وهو فاعله ويدل عليه قراة زين على البنا
للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله تعالى فيهما من

الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض • ويسخرون من الذين امنوا • ان
يريد فقرا المومنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزءون بهم
علي رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتدا كانهم جعلوا مبدا السخرية
مبتدية منهم • والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة • لانهم في عليين وهم في
اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم
فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من
الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم للتقوى • والله يرزق من
يشا • في الدارين • بغير حساب • بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة
وابتلا اخرى • كان الناس امة واحدة • متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس
او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس
او نوح • فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين • اى اختلفوا فبعث
الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد
الانبيا مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر
والمذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون • وانزل معهم الكتاب • يريد
به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم
كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم • بالحق • حال من الكتاب
اي متلبسا بالحق شاهدا به • ليحكم بين الناس • اى الله او النبي المبعوث
او كتابه • فيما اختلفوا فيه • في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
• وما اختلف فيه • في الحق او الكتاب • الا الذين اوتوه • اي الكتاب المنزل
لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا
لاستحكامه • من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم • حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا • فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه • اى للحق الذي اختلف فيه
من اختلف • من الحق • بيان لما اختلفوا فيه • باذنه • بامره او بارادته ولطفه
• والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم • لا يضل سالكه • ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة • خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم

على الانبيا

على الانبيا بعد مجي الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها للانكار • ولما ياتكم • ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها
توقع ولذلك جعل مقابل قد • مثل الذين خلوا من قبلكم • حالهم التي هي مثل في الشدة
• مستهم الباسا والضرا • بيان له على الاستيناف • وزلزلوا • وازعجوا ازعاجا
شديدا مما اصابهم من الشدايد • حتى يقول الرسول والذين امنوا معه • لتناهي
الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع على
انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه • متى نصر الله • استبطاله
لتاخره • الا ان نصر الله قريب • استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم
ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى
الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد
والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات • يسالونك ماذا ينفقون • عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عمرو
ابن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من
اموالنا واين نضعها فنزلت • قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل • سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم
فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سوال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية
واقتصر في بيان المنفق على ما يتضمنه قوله ما انفقتم من خير • وما تفعلوا من
خير • في معنى الشرط • فان الله به عليم • جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم
كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينتسخ به • كتب
عليكم القتال وهو كره لكم • شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به
للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرى بالفتح على انها لغة فيه كالضعف
والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم
مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها • وعسى ان تكرهوا
شيا وهو خير لكم • وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم
وسبب فلاحهم • وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم • وهو جميع ما نهوا عنه

فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسالونك عن الشهر
الحرام روي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية
في جمادي الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله
الحضرمي وثلاثة نفر معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها
تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادي فقالت
قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى
الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام والسايلون
هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه
كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم خلافا لعطا وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع
دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز
مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد
الى الله تعالى من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف
اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا
يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف
على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم
النبي والمومنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطا وبنا على الظن وهو خبر
عن الاشيا الاربعة المعدودة من كباير قريش وافعل من يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمونث والفتنة اكبر من القتل اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك

فلا يكون كرها عليها بل مستلذة به ٤

افظع

افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى
للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان
بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاوليك حبطت
اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي
والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا
لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوايد الدنيوية والاخرة
بسقوط الثواب واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة
ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم
الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجا اوليك يرجون رحمة
الله ثوابه اثبت لهم الرجا اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة
سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطا وقلة احتياط رحيم
باجزال الاجر والثواب يسالونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها
ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة
للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن
ابن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
ابن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد
سعد شعرا فيه هجا الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى رسول
صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما
الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في
الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلى

لانه تخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كلما
اسكر عند اكثر العلما وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب
ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي
به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعني يسالونك عن
تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يودي الى
الانتكاب عن الامور وارتكاب المحظور وقرا حمزة والكسائي اى كثير ومنافع للناس
من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع
الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشا منها اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان
المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس
كذلك لما مر ويسالونك ماذا ينفقون قيل سايله ايضا عمرو بن الجموح سال
اولا عن المنفق والمصرف ثم سال ثانيا عن كيفية الانفاق قل العفو العفو
نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا
يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض الغنايم فقال خذها مني
صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا
لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرا ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله
لكم الايات اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام
والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف تبيينا مثل هذا التبيين وانما
وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في
الدلايل والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع
بها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسالونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح
اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم
اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد
واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شا الله لاعنتكم اي لو شا الله اعنا
لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم
ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة
وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يومن اي ولا تتزوجوهن
وقري بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات يعم الكتابيات
لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير بن الله وقالت
النصارى المسيح بن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه الصلاة والسلام
بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت
هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فنزلت ولامة مومنة خير من مشركة اي ولامراة مومنة حرة
كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماوه ولو اعجبتكم بحسنها وشمايلها
والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا
ولا تزوجوا منهم المومنات حتى يومنوا وهو على عمومه ولعبد مومن خير من
مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المومنين
اوليك اشارة الى المذكور من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي
الكفر المودي الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي اولياوه
يعني المومنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم
يدعوا الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم
الاحقا بالمواصلة باذنه اى بتوفيق الله تعالى وتيسيره او بقضايه وارادته

ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم
التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسالونك عن المحيض
روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس
واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت
والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسالونك بغير
واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاث
الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض
مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النسا في المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفا اشعارا بانه العلة ولا
تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد
الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش
حتى يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضي الله
تعالى عنه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى
الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في
غير المأتى نساوكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في
ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث
وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم
روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر
لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب

عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق
على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله تعالى عنها او في عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة تطلق على ما يعرض دون الشيء والمعرض للامر
ومعنى الاية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير
فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام
لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لايمانكم
لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل وتتعلق ان بالفعل او
بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني
ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف
بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم
وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم
عليم بنياتكم لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا
يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم
به جاهلا لمعناه اوكقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن
يواخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا
قصد معه ولكن يواخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها
قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب
والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب
فيها والله غفور حيث لم يواخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمواخذة على

يمين الحنث تربصا للتوبة. للذين يؤلون من نسايهم. اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلا الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر. مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص
الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في
هذه المدة بفي ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا ايلا الا
في اكثر من اربعة اشهر ويويده. فان فاوا. اي فان رجعوا في اليمين بالحنث. فان
الله غفور رحيم. للمولي اثم حنثه اذا كفروا وما توخي بالايلا من ضرار المراة
ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة. وان عزموا الطلاق. اي وان صمموا قصده. فان
الله سميع. لطلاقهم. عليم. بعرضهم فيه وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه
الايلا في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فا في المدة بالوطي ان قدر وعلى
ان عجز صح الفي ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب
بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم. والمطلقات. يريد بها
المدخول بها الممتنع خولتهن يتربصن من ذوات الاقرا لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن
خلاف ما ذكر. يتربصن. خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر
عنه كقولك في الدعا رحمك الله وبناوه على المبتدا يزيد فضل تاكيد. بانفسهن.
تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النسا طوامح الى الرجال فامرن ان
يقمعنها ويحملنها على التربص. ثلثة قروء. نصب على الظرف او المفعول به
اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة
والسلام دعي الصلاة ايام اقرايك وللطهر الفاصل بين حيضتين لقول الاعشى
مورثة مالا وفي الحي رفعة. لما ضاع فيها من قروء نسايكا. واصله الانتقال من
الطهر الى الحيض وهو المراد في الاية لانه الدال على براة الرحم لا الحيض كما قاله ابو
حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق
المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه الصلاة والسلام طلاق الامة
تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر

مرة

فلا يطالب

مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا امسك بعد
وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وكان
القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقرا ولكنهم يتسعون في ذلك
فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات
ذوات الاقرا تضمن معنى الكثرة فحسن بناوها. ولا يحل لهن ان يكتمن ما
خلق الله في ارحامهن. من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك. ان كن يومن بالله واليوم الاخر. ليس
المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان
المومن لا يجتري عليه ولا ينبغي له ان يفعل. وبعولتهن. اي ازواج المطلقات
احق بردهن. الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية
التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر
وخصصه والبعولة جمع بعل والتا لتانيث الجمع كالعمومة والخؤلة او مصدر
من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي
واهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل. في ذلك. اي في زمان التربص
ان ارادوا اصلاحا. بالرجعة لا لاضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد
الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار. ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف. اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب
واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس. وللرجال عليهن درجة. زيادة في
الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن
في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق. والله عزيز. يقدر
على الانتقام ممن خالف الاحكام. حكيم. يشرعها بحكم ومصالح. الطلاق مرتان
اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام سيل ابن
الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وقيل معناه
التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية

الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن
المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان
لا يراجعها حتى يتبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب به تعليمهم
كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات
روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن
قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسه
وراسي شيء والله لا اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام [فنزلت]
واسناد الاخذ والايتا اليهم لانهم الامرون بها عند الترافع وقيل انه خطاب
للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو مشوش النظم على القراة المشهورة الا
ان يخافا اي الزوجان وقري يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما
حدود الله ترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا
على البنا للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقري تخافا وتقيما
بتا الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في
اعطايه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا
تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون تعقيب
للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز
من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد ويؤيد
ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس
فحرام عليها رايحة الجنة وما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة اتردين
عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام اما
الزايد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على
فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتدا واختلف في انه اذا جرى بغير

لفظ

لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها
فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان تكون طلقة رابعة لو كان
الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان
اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى
والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى
تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الا [صابة]
لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب [قالت نعم فقال]
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان
يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة
في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رضي الله
تعالى عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل
له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي يرجع كل من
المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج الثاني ان ظنا ان يقيما حدود الله
ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله تعالى وشرعه من حقوق الزوجية
وتفسير الظن بالعلم ها هنا غير سديد لان عواقب الامور غيب يظن ولا
يعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي
العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون
يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر
عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت
الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ

هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح
ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك
بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن
من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا
ولا تراجعوهن ارادة للاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف
الاجل ثم يراجعها ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة
ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن
بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييد
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات
الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في
الامر انما انت هازئ فانه نهي عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل
يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله
عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام
بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر
اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل
شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت
في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف
فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي
معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل
الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن
عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون

به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع
وتستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير
كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل
او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة
على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان
منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى
ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع
والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيختص بما اذا لم
يرتضع الصبي الا من امه او لم توجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن
حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم
الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او
متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع
له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد
فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي
لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن
واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت
زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه
لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف

ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الآخر
ما ليس في وسعه ولا يضار بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضارّ بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراتين لا تضارر بالكسر
على البنا للفاعل او الفتح على البنا للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون
بمعنى تضر والبا من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر
فيما ينبغي له وقري لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع
التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى
استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق ولا ينبغي ان يضرا به او ان يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل
ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل
معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من
ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رضي الله تعالى
عنه اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن
ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه
قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور
بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والشورة والمشورة استخراج
الراي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر
تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض
او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع لاولادكم
يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي
واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغنا عنه فلا جناح عليكم
فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع

اذا سلمتم

اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاه لقوله تعالى اذا قمتم الى
الصلاة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقري اوتيتم
اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالقول
المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى
والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال
والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين
يتوفون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن
منوان بدرهم وقري يتوفون بفتح اليا اي يستوفون آجالهم وتانيث
العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير
في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم
الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب
الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا او لاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي
رضي الله تعالى عنه والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس
اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد
باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا
جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من
التعريض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا
ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان
قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النسا التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم

يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السايل جيتك لاسلم عليك والكناية هي
الدلالة على الشي بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير
الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غيران المضمومة
خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنسا المعتدات
للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي
ان اتزوج ونحو ذلك • او اكننتم في انفسكم • او اضمرتم في قلوبكم فلا تذكروه
تصريحا ولا تعريضا • علم الله انكم ستذكرونهن • ولا تصبرون على السكوت
عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ • ولكن لا تواعدوهن سرا •
استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا
تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر ثم عن العقد
لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في
السر المواعدة بما يستهجن • الا ان تقولوا قولا معروفا • وهو ان تعرضوا
ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثنا منقطع من سرا وهو
ضعيف لادايه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه
دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة
واختلف في معتدة الفراق الباين والاظهر جوازه • ولا تعزموا عقدة النكاح
وذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقدة عقد النكاح وقيل
معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع • حتى يبلغ الكتاب
اجله • حتى ينتهي ما كتب من العدة • واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم • من العزم
على ما لا يجوز • فاحذروه • ولا تعزموه • واعلموا ان الله غفور • لمن عزم ولم يفعل
خشية من الله • حليم • لا يعاجلكم بالعقوبة • لا جناح عليكم • لا تبعة من
مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى
الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي • ان طلقتم
النسا ما لم تمسوهن • اي تجامعوهن وقرا حمزة والكساي تماسوهن بضم

النسا

التا ومد الميم في جميع القران • او تفرضوا لهن فريضة • الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة بالنصب على المفعولية
فعيلة بمعنى مفعول والتا لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل
المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة
غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر
المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية
ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخير
• ومتعوهن • عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب
المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويويده
قوله • على الموسع قدره وعلى المقتر قدره • اي على كل من الذي له سعة والمقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام
• لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان تمسها متعها بقلنسوتك وقال
ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة
للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رضي الله تعالى عنه في احد
قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا
حمزة والكساي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال • متاعا • تمتيعا • بالمعروف •
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة • حقا • صفة لمتاعا او مصدر
موكد اي حق ذلك حقا • على المحسنين • الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال والى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا • وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم • اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم
المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن
وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه
قسيمها • الا ان يعفون • اي المطلقات فلا ياخذن شيا والصيغة

تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يوثر ان ههنا
ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك
لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر
بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض
اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت
المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يويد
الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون
المهر الى النسا عند التزوج فمن طلق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر
بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده
فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل
لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا
ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم
واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم
عنها والصلاة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلاة العصر
لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة
العصر ملا الله تعالى بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها
واجتماع الملايكة وقيل صلاة الظهر لانها وسط النهار وكانت اشق الصلوات
عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها
وقيل الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما
ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء
لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
انه عليه الصلاة والسلام كان يقرا والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون

اي واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها واتمام اركانها

صلاة

صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقري بالنصب
على الاختصاص والمدح وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام
والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت
في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين وراكبين
ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة
حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي
والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله
صلوا صلاة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع
وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم
على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله
تعالى عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويويد ذلك قراة كتب
عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير
ووصية الذين يتوفون او حكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب
عليهم وصية او عليهم وصية وقري متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراة من قراه لانه بمعنى التمتيع
غير اخراج بدل منه او مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من
ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا
قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان
ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان
متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن
منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الايمة فيما فعلن في انفسهن من
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه

لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين
الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها. والله عزيز: ينتقم ممن خالفه
منهم حكيم: راعى مصالحهم. وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين:
اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام
بالحكم لا تخصصه الا اذا جوز تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها
ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم
المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد
او لتكرير القصة. كذلك: اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد.
يبين الله لكم اياته: وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون
اليه معاشا ومعادا. لعلكم تعقلون: لعلكم تفهمونها فتستعملون
العقل فيها. الم تر: تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب
التواريخ وقد تخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب. الى الذين
خرجوا من ديارهم: يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون
بينهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا
ان لا مفر من قضا الله تعالى وقدره او قوما من بني اسرايل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم. وهم الوف:
اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متالفون
جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال. حذر الموت: مفعول له. فقال
لهم الله موتوا: اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا
ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تعالى ومشيته وقيل ناداهم به
ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا. ثم احياهم: قيل مر حزقيل
على داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى
الله تعالى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فقاموا فنادي يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين
على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء. ان

الله لذو فضل على الناس: حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم
لتستبصروا. ولكن اكثر الناس لا يشكرون: اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز
ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار. وقاتلوا في سبيل الله: لما بين ان
الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدور لا محالة واقع امرهم بالقتال
اذ لو جا اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب. واعلموا ان الله سميع: لما
يقوله المتخلف والسابق. عليم: بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء. من ذا
الذي يقرض الله: من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتدا وذا خبره
والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به
ثوابه. قرضا حسنا: اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس
او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل
الله تعالى. فيضاعفه له: فيضاعف جزاه اخرجه على صورة المبالغة
وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي
يقرض في معنى ايقرض الله تعالى احد وقرا ابن كثير يضعّفه بالرفع وابن
عامر ويعقوب بالنصب. اضعافا كثيرة: كثرة لا يقدرها الا الله تعالى
وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير
المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر
على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع. والله يقبض ويبسط: يقتر
على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم لئلا يبدل حالكم وقرا نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله
في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة. واليه ترجعون: فيجازيكم على ما
قدمتم. الم تر الى الملا من بني اسرايل: الملا جماعة يجتمعون للتشاور
ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض. من بعد موسى: اي
من بعد وفاته ومن للابتدا. اذ قالوا لنبي لهم: هو يوشع او شمعون او اشموئيل.
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله: اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال
يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرى بالرفع على انه

حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب
والوصف لملكا ❊ قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ❊ فصل
بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم على القتال ان كتب عليكم ❊
فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا
وقرا نافع عسيتم بكسر السين ❊ قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا ❊ اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما
يوجبه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
فظهروا على بني اسرايل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من
ابنا الملوك اربعمائة واربعين ❊ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
ثلاث مائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر ❊ والله عليم بالظالمين ❊ وعيد لهم
على ظلمهم في ترك الجهاد ❊ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ❊
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روي ان نبيهم عليه الصلاة والسلام لما دعى الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت ❊ قالوا انى يكون له الملك علينا ❊
من اين يكون له ذلك ويستاهل ❊ ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة
من المال ❊ والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقا او دباغا
من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي
ابن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير ❊ قال
ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه من
يشا والله واسع عليم ❊ لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد
عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفا الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على

مقاومة

مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تعالى فيهما وكان
الرجل القايم بمدتيك فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على
الاطلاق فله ان يوتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير
ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره ❊ وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ❊ ان اية
ملكه ان ياتيكم التابوت ❊ الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالها فلعله
ابدله كما ابدل من تا التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة بريد به
صندوق التوراة وكان من خشب الشمسار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة
اذرع في ذراعين ❊ فيه سكينة من ربكم ❊ الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون
لكم وطمانينة او للتابوت اي يودع فيه ما يسكنون اليه وهو التوراة
وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرايل
ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب
كراس الهرة وذنبها وجناحان فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد
صلوات الله وسلامه عليهم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه
من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم
يكن ❊ وبقية مما ترك ال موسى وال هارون ❊ رضاض الالواح وعصى موسى عليه
الصلاة والسلام وثيابه وعمامة هارون وال هما ابناؤهما او انفسهما والال
مقحمة لتفخيم شانهما او انبيا بني اسرايل لانهم ابنا عمهما ❊ تحمله الملايكة ❊
قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عليه الصلاة والسلام فنزلت به الملايكة
وهم ينظرون اليه وقيل بعده كان مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا
فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم
ببلا حتى هلكت خمس مداين فتشاموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملايكة الى طالوت ❊ ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين ❊ يحتمل ان يكون

يحتمل ان يكون تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتدا الخطاب من الله تعالى
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل
نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج
معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان
الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال ان
الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه
فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم
يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه
الصلاة والسلام الا من اغترف غرفة بيده استثنا من قوله فمن شرب وانما
قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابيون على الخبر في قوله
ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرا
ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل
في الشرب ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثنا او افرطوا في
الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في
معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة
الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم
يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا
لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه
قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقا
الله تعالى وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله
وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين
عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل

او كه فان شئت حرمت النار سواكم

الاستفهام

الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة والفئة الفرقة من الناس من
فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع
الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا
لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين التجاوا الى الله تعالى بالدعا وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا
افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض
الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم
باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين بنصره اياهم اجابة لدعايهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشي في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل
جالوت فطلبه من ابيه فجا وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك
بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته
واتاه الله الملك اي ملك بني اسرايل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة
النبوة وعلمه مما يشا كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه
يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا
وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشومه تلك ايات الله اشارة الى
ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام
الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت
بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا
بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله
تفصيل له وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو ومحمد عليهما الصلاة والسلام
كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى

حيث قال وانا اخترتك فاستمع لما يوحى

وبينهما بون بعيد وقرى كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من
وجوه متعددة ومراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة
العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب
الدهر والفضايل العلمية والعملية الفايتة للحصر والابهام لتفخيم شانه
كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم
خصصه بالخلة التي هي اعلا المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه
مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه
بروح القدس خصصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وجعل
معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شا الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
الرسل من بعد ما جاتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين
وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيقه التزام دين
الانبيا تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شا الله ما اقتتلوا
كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشا فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والاية دليل على ان الانبيا متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل
بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث
بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا يها الذين امنوا
انفقوا مما رزقناكم مما اوجب عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما
فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون
به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاكم او يسامحوكم به ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعا يشفعوا لكم في حط
ما في ذممكم وانما ارتفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب
هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل

والكافرون

والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم
او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه
تغليظا وتهديدا كقوله تعالى ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك
الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة
الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة
خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي
يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدايم بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ
القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال
ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم والنوم حال
يعرض للحيوان من استرخا اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه
وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه
حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ماوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل الذي بعده له ما في السموات وما في
الارض تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما
ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله
لله ملك السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان
لكبريا شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة
واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او
امور الدنيا والاخرة او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلا او لما دل عليه من ذا من
الملايكة والانبيا ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شا ان يعلموا
وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته

وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ
من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك يسمى كرسي محيط
بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك
الفلاة على فضل تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو
في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب
الى الكرس وهو الملبد • ولا يوده • ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج
حفظهما • اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
• وهو العلي • اي المتعالي عن الانداد والاشباه • العظيم • المستحقر بالاضافة
اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة
على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته
موجب لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ
عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك
الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا
يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع
الملك والقدرة كلما يصح ان يملك او يقدر عليه لا يوده شاق ولا يشغله
شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي من يقراها بعث الله تعالى ملكا
يكتب من حسناته ويمحوا من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية
الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب
عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله • لا اكراه في الدين • اذ الاكراه في الحقيقة الزام
الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن • قد تبين الرشد من الغي • تميز الايمان

من الكفر

من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى
السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين
له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى
الاكراه والالجا وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام
منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت • فمن يكفر بالطاغوت • بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من
دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه • ويومن
بالله • بالتوحيد وتصديق الرسل • فقد استمسك بالعروة الوثقى • طلب
الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك
المحق من النظر الصحيح والراي القويم • لا انفصام لها • لا انقطاع لها يقال فصمته
فانفصم اذا كسرته • والله سميع • بالاقوال • عليم • بالنيات ولعله تهديد على
النفاق • الله ولي الذين امنوا • محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه
وثبت في علمه انه يومن • يخرجهم • بهدايته وتوفيقه • من الظلمات • ظلمات
الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المودية الى الكفر • الى النور •
الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر
او من الموصول او منهما او استينافا مبين او مقرر للولاية • والذين كفروا
اولياوهم الطاغوت • اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان
وغيرهما • يخرجونهم من النور الى الظلمات • من النور الذي منحوه بالفطرة
الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات
الى ظلمات الشكوك والشبهات وقد نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد
الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى
وارادته به • اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون • وعيد وتحذير ولعل عدم مقا
بلته
بوعد المومنين تعظيم لشانهم • الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه • تعجيب

من محاجة نمرود وحماقته. ان اتاه الله الملك: لان اتاه اي ابطره ايتا الملك
واورثه الكبر والعتو فحاج كذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على
طريقه العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك
وهو حجة على من منع ايتا الله الملك لكافر من المعتزلة. اذ قال ابراهيم: ظرف لحاج
او بدل من ان اتاه على الوجه الثاني. ربي الذي يحيي ويميت: بخلق الحياة والموت
في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف اليا. قال انا احيي واميت: بالعفو عن
القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف. قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب: اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة ٥
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهي في
الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان
بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله
الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته
او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه. فبهت الذي كفر: فصار مبهوتا
وقري فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر. والله لا يهدي القوم الظالمين: الذين
ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج
او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة. او كالذي مر على قرية: تقديره او
رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان
المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه ٥
معطوف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي وقيل انه من كلام
ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحيي كاحيا الله الذي
مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود ٥
والقرية هي بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها
الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع. وهي خاوية على عروشها:

خاوية

خاوية ساقطة حيطانها على سقوفها. قال انى يحيي هذه الله بعد موتها: اعترافا
بالقصور عن معرفة طريق الاحيا واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القايل
مومنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او
على بمعنى كيف. فاماته الله مائة عام: فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله تعالى
فلبث ميتا مائة عام. ثم بعثه: بالاحيا. قال كم لبثت: القايل هو الله تعالى
وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل
ملك او نبي. قال لبثت يوما او بعض يوم: كقول الظان وقيل انه مات ضحى
وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب. قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه: لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا
وقيل اصله لم يتسنن من الحما المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة
كتقضى البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل
كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله. وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا
ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال ٥
واوفق لما بعده. ولنجعلك اية للناس: اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي
انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التوراة من الحفظ ولم ٥
يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله
كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام: يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشزها: كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب
بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقري ننشرها من نشر
بمعنى انشر. ثم نكسوها لحما فلما تبين له: فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده ٥

تقديره فلما تبين له ان الله على كل شي قدير قال اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة
والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق
التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير
علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احيا الله تعالى برد
الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى
تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان سيل عنه
مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحيا باعادة التركيب والحياة
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس بالايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون
غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكني سالت لازيد بصيرة
وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من
الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام
وفيه ايما الى ان احيا النفس بالحياة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات
والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة
النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم
بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير
مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك ○
لتتاملها وتعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحيا وقرا حمزة والكسائي
فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال
وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح (اي تميل) وقرى
فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الرا من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن
من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم
جزئهن وفرق اجزاهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة
وقرا ابو بكر جزؤا وجزؤ بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن قل لهن ○
تعالين باذن الله تعالى ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او

او مشيا

او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك روسها
ويخلط ساير اجزايها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل
كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى روسهن
وفيه اشارة الى ان من اراد احيا نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على
القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعه
مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على
فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويمن الضراعة في الدعا وحسن الادب
في السوال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه
عزيرا بعد ان اماته ماية عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم
ذو الحكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة اسند الانبات
الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والما والمنبت على الحقيقة
هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منه ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها
سنبلة فيها ماية حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة ○
والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشا
بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه
جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه
اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه
على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم
للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون لعله لم تدخل الفا فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى

والجملة حال لامنه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداته
الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقري
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم
به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقري الفقر بالضم والسكون وبضمتين
وبفتحتين ويامركم بالفحشا ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا
وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة
ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع
اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يوتي الحكمة تحقيق العلم واتقان
العمل من يشا مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يوت الحكمة
بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يوته الله فقد
اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ
بما قص من الايات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله تعالى في قلبه
من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوايب
الوهم والركون الى متابعة الهوي وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة
سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة
او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون
في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور
من انصار من ينصرهم من الله تعالى ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات
فنعما هي فنعم شيا ابداوها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر
العين على الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين
وروي عنهم بكسر النون واخفا حركة العين وهو اقيس وان تخفوها و
تؤتوها الفقرا اي تعطوها مع الاخفا فهو خير لكم فالاخفا خير لكم وهذا
في التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابدا الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن

ابن عباس

ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمس وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من
سياتكم قراه ابن عامر وعاصم في رواية حفص باليا اي والله يكفر او الاخفا
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا
على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفا اي ونحن
نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفا وما بعده وقري
بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب
في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهتدين
وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبايح كالمن والاذي
وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشا صريح بان الهداية من الله تعالى
وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم ولا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث
وما تنفقون الا ابتغا وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا لابتغا وجه الله تعالى وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس
نفقتكم الا لابتغا وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي
في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد
للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفقين استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار
ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي
لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقرا متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقرا او
اجعلوا ما تنفقونه للفقرا او صدقاتكم للفقرا الذين احصروا في سبيل الله
احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا في
الارض للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربع مائة من فقرا المهاجرين
يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون

بالغزو والجهاد اقول
فيها الكسب والتجارة اقول
بالجهاد اقول

في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم • يحسبهم الجاهل • بحالهم • اغنيا
من التعفف • من اجل تعففهم عن السوال • تعرفهم بسيماهم • من الضعف ورثاثة
الحال والخطاب للرسول ولكل احد • لا يسالون الناس الحافا • الحاحا وهو ان
يلازم المسوول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل
ما عنده والمعنى انهم لا يسالون وان سالوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي
للامرين كقوله على لاحب لا يهتدي بمناره • ونصبه على المصدر فانه كنوع من
السوال او على الحال • وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • ترغيب في الانفاق
وخصوصا على هولاء • الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية •
اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق تصدق باربعين
الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانيه ۞
وقيل في علي عليه السلام ولم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا
ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانيه وقيل في ربط الخيل في سبيل الله
والانفاق عليها • فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • خبر
الذين ينفقون والفا للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم
الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية • الذين ياكلون الربا • اي الاخذون
له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربا شايع في المطعومات
وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض
بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على
لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع • لا يقومون • اذا بعثوا من قبورهم
• الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان • الا قياما كقيام المصروع وهو وارد
على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير
اتساق كخبط العشواء • من المس • اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه
فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكل الربا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من

الربا فاثقلهم • ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا • اي
ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضايهما الى الربح
فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم
جعلوا الربا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم
ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها
او توقع رواجها يجبر هذا الغبن • واحل الله البيع وحرم الربا • انكار لتسويتهم
وابطال للقياس لمعارضته النص • فمن جاءه موعظة من ربه • فمن بلغه وعظ
من الله تعالى وزجر كالنهي عن الربا • فانتهى • فاتعظ وتبع النهي • فله ما سلف
تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من
موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد
على ما قبله • وامره الى الله • يجازيه على انتهايه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه • ومن عاد • الى تحليل الربا اذ
الكلام فيه • فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • لانهم كفروا به • يمحق الله
الربا • يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه • ويربي الصدقات • يضاعف
ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل
الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكاة من مال قط ۞
• والله لا يحب • لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين • كل كفار • مصر على تحليل
المحرمات • اثيم • منهمك في ارتكابه • ان الذين امنوا • بالله ورسوله وبما جاءهم
منه • وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة • عطفهما على ما يعمهما
لانافتهما على ساير الاعمال • لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم • من ات
• ولا هم يحزنون • على فايت • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا • واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا • ان كنتم مومنين • بقلوبكم
فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش
فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت • فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله • اى فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به وقرا حمزة وعاصم

في رواية ابن عياش فأذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه
من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد
الاستتابة حتى يفي الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قال
ثقيف لا يدي لنا بحرب من الله ورسوله • وان تبتم • من الارتبا واعتقاد حله
• فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون • باخذ الزيادة • ولا تظلمون • بالمطل والنقصان
ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر
على التحليل مرتد وماله فيء • وان كان ذو عسرة • وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ
ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة • فنظرة • فالحكم او فعليكم نظرة او فلتكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي المستحق ناظره بمعنى منتظره
او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة • الى ميسرة •
يسار وقرا نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشروقة وقرئ بهما مضافين
بحذف التا عند الاضافة كقوله • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وان تصدقوا •
بالابرا وقرا عاصم بتخفيف الصاد • خير لكم • اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون
بمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة • ان كنتم
تعلمون • ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل • واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله •
يوم القيامة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح
التا وكسر الجيم • ثم توفى كل نفس ما كسبت • ما عملت من خير او شر • وهم لا
يظلمون • بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها
جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل
سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات • يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين • اذا
داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة
ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال
وانه الباعث الى الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه • الى اجل مسمى • معلوم بالايام

والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج • فاكتبوه • لانه اوثق وادفع للتنازع والجمهور
على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح
السلف • وليكتب بينكم كاتب بالعدل • من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص
وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجي مكتوبه
موثوقا به معدلا بالشرع • ولا يأب كاتب • ولا يمتنع احد من الكتاب • ان يكتب
كما علمه الله • مثل ما علمه من كتبة الوثايق او لا يأب احد ان ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك • فليكتب • تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف
بالامر فيكون النهي عن الامتناع عنها مطلقة ثم الامر بها مقيدة • وليملل الذي
عليه الحق • وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد
• وليتق الله ربه • اي المملي او الكاتب • ولا يبخس • ولا ينقص • منه شيئا • اي من
الحق او مما املى عليه • فان كان الذي عليه الحق سفيها • ناقص العقل مبذرا • او ضعيفا •
صبيا او شيخا مختلا • او لا يستطيع ان يمل هو • او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لخرس او جهل باللغة • فليملل وليه بالعدل • اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من
قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل
جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل • واستشهدوا
شهيدين • واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان • من رجالكم • من رجال المسلمين
وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلما وقال ابو حنيفة تسمع
شهادة الكفار بعضهم على بعض • فان لم يكونا رجلين • فان لم يكن الشاهدان رجلين
• فرجل وامراتان • فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص
بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة • ممن ترضون من
الشهداء • لعلمكم بعدالتهم • ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى • علة اعتبار
العدد اي لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى
والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم
اعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان يذكر احداهما الاخرى

ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على
الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ❊ ولا ياب
الشهدا اذا ما دعوا ❊ لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهدا تنزيلا لما يشارف بمنزلة
الواقع وما مزيدة ❊ ولا تساموا ان تكتبوه ❊ ولا تملوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوا
الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام لا يقول المومن كسلت ❊ صغيرا او كبيرا ❊ صغيرا كان الحق
او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعًا ❊ الى اجله ❊ الى وقت حلوله الذي اقر به المديون
❊ ذلكم ❊ اشارة الى ان تكتبوه ❊ اقسط عند الله ❊ اكثر قسطا ❊ واقوم للشهادة ❊ واثبت
لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى
ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده ❊ وادنى ان
لا ترتابوا ❊ واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو
ذلك ❊ الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها ❊
استثنا من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين او دين وادارتها
بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لبعده
من التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا
ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله ❊ بني اسد هل تعلمون بلادنا ❊ اذا كان يوما
ذا كواكب اشنعا ❊ ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة
❊ واشهدوا اذا تبايعتم ❊ هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ❊ ولا
يضار كاتب ولا شهيد ❊ يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرى ولا يضارر بالكسر والفتح
وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي
عن الاضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مونة مجيئه حيث كان ❊ وان تفعلوا ❊ الضرار وما نهيتم عنه
❊ فانه فسوق بكم ❊ خروج عن الطاعة لاحق بكم ❊ واتقوا الله ❊ في مخالفة امره ونهيه
❊ ويعلمكم الله ❊ احكامه المتضمنة لمصالحكم ❊ والله بكل شي عليم ❊ كرر لفظة الله في

الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه
والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية ❊ وان كنتم
على سفر ❊ اي مسافرين ❊ ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ❊ فالذي يستوثق به
رهان او فعليكم رهان او فليوخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر
في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك ولانه عليه الصلاة والسلام رهن
درعه في المدينة عند يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة
التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها
والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف
وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرى باسكان الها على التخفيف ❊ فان امن
بعضكم بعضا ❊ اى بعض الداينين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان
❊ فليود الذي اوتمن امانته ❊ اى دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرى الذي تمن بقلب الهمزة يا والذي تمن بادغام اليا في التا وهو خطا
لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا يدغم ❊ وليتق الله ربه ❊ في الخيانة وترك
انكار الحق وفيه مبالغات ❊ ولا تكتموا الشهادة ❊ ايها الشهود والمديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ❊ ومن يكتمها فانه اثم قلبه ❊ اي ياثم قلبه او قلبه ياثم
والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره
العين زانية والاذن زانية او للمبالغة لانه رئيس الاعضا وافعاله اعظم
الافعال وكانه قيل متمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزايه وفاق ساير
ذنوبه وقرى قلبه بالنصب كحسن وجهه ❊ والله بما تعملون عليم ❊ تهديد
❊ لله ما في السموات وما في الارض ❊ خلقا وملكا ❊ وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه ❊ يعني ما فيها من السو والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه
❊ يحاسبكم به الله ❊ يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
❊ فيغفر لمن يشا ❊ مغفرته ❊ ويعذب من يشا ❊ تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب
التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون
عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فا جعلها بدلا منه بدل البعض عن الكل

او الاشتمال كقوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
وادغام الراي في اللام لحن اذ الرا لا تدغم الا في مثله • والله على كل شي قدير • فيقدر على
الاحيا والمحاسبة • امن الرسول بما انزل اليه من ربه • شهادة وتنصيص من الله
تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه • والمومنون
كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله • لا يخلو من ان يعطف المومنون على
الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمومنين
او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمومنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر
المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة ۞
وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسايي وكتابه يعني
القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع
في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب • لا نفرق بين احد من رسله •
اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقري
لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه
في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد
نفي الفرق بالتصديق والتكذيب • وقالوا سمعنا • اجبنا • واطعنا • امرك ۞
غفرانك ربنا • اغفر غفرانك او نطلب غفرانك • واليك المصير • المرجع بعد
الموت وهو اقرار منهم بالبعث • لا يكلف الله نفسا الا وسعها • الا ما تسعه قدرتها
فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها وتيسر عليها
كقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال ولا يدل على امتناعه • لها ما كسبت • من خير • وعليها ما اكتسبت • من شر
لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب
بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت
اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير • ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا •
اي لا تواخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة او
بانفسهما اذ لا يمتنع المواخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها

يودي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العذاب
وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه فضلا ورحمة ويجوز ان يدعو
الانسان استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويويد ذلك مفهوم قوله صلى الله
عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان • ربنا ولا تحمل علينا اصرا • عبا ثقيلا
يا صر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقري ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة • كما حملته على الذين من قبلنا • حملا مثل حملك اياه من قبلنا
او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف بني اسرايل
من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف
ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدايد والمحن • ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به • من البلا والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو
يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سيل التخلص عنه والتشديد ههنا
لتعدية الفعل الى مفعول ثان • واعف عنا • وامح ذنوبنا • واغفر لنا • و
استر عيوبنا ولا تفضحنا بالمواخذة • وارحمنا • وتعطف بنا وتفضل علينا • انت
مولانا • سيدنا • فانصرنا على القوم الكافرين • فان من حق المولى ان ينصر مواليه
على الاعدا والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعي ۞
بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله تعالى ايتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد
العشا الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا الايتين
من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استنكر ان يقال سورة
البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة
والسلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة ال عمران مدنية وايها مايتان • بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو • انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء
حركة الهمزة عليها لتدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف

وذكر [illegible] فرض عليهم خمسين صلاة [illegible]
[illegible] وقطعها [illegible] اصاب
[illegible] وذنبه [illegible] الاقفال
على بابه [illegible]
والاغلال [illegible] عطا [illegible]
[illegible]

لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال
لا لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه
وعنت الوجوه للحي القيوم • نزل عليك الكتاب • القران نجوما • بالحق • بالعدل او
بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال • مصدقا
لما بين يديه • من الكتب • وانزل التوراة والانجيل • جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما
من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد
ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب • من قبل • تنزيل
القران • هدى للناس • على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا
فالمراد به قومهما • وانزل الفرقان • يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة
بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال
وانزل ساير ما يفرق به بين الحق والباطل والزبور او الفرقان وكرر ذكره
بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه
وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات • ان الذين
كفروا بايات الله • من كتبه المنزلة وغيرها • لهم عذاب شديد • بسبب كفرهم
• والله عزيز • غالب لا يمنع من التعذيب • ذو انتقام • لا يقدر على مثله منتقم
والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير
التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن
الاعراض عنه • ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء • اي شيء كاين في
العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا
يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلا ولان المقصود بالذكر
ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله • هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء • اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم
باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته

لا اله

• لا اله الا هو • اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله • العزيز الحكيم •
اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا
فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها
الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم • هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات • احكمت عبارتها بان حفظت عبارتها
من الاحتمال • هن ام الكتاب • اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على
تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة • واخر متشابهات • محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم
المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرايح في استخراج
معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله
كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ
واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او من الخر من
• فاما الذين في قلوبهم زيغ • عدول عن الحق كالمبتدعة • فيتبعون ما تشابه منه •
فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل • ابتغاء الفتنة • طلب ان يفتنوا الناس
عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه • وابتغاء تاويله • وطلب
ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين
او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلايم الجاهل • وما يعلم
تاويله • الذي يجب ان يحمل عليه • الا الله والراسخون في العلم • اي الذين ثبتوا
وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع
على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد • يقولون امنا به • استيناف
موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا • كل من عند ربنا • اي كل

من المتشابه والمحكم من عنده ، وما يذكر الا اولوا الالباب ، مدح للراسخين بجودة
الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتدا الى تاويله وهو تجرد
العقل عن غواشي الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح
بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث
النصاري بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا بانه مصور الاجنة كيف يشا فيصور
من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور
، ربنا لا تزغ قلوبنا ، من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعني لا تزغ قلوبنا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام
قلب بن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شا اقامه على الحق وان شا
ازاغه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ، بعد اذ هديتنا ، الى الحق والايمان
بالقسمين وبعد منصوب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل
لانه بمعنى ان ، وهب لنا من لدنك رحمة ، تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب ، انك انت الوهاب ،
لكل سول وفيه دليل على ان الهدي والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم
على عباده لا يجب عليه شي ، ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزايه
، لا ريب فيه ، في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزا نبهوا به على ان معظم غرضهم
من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال ، ان الله لا يخلف الميعاد ،
فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به
الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلايل منفصلة
كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ، ان الذين كفروا ، عام في الكفرة وقيل المراد
به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب ، لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيا ، اي من رحمته او من طاعته على معنى البدلية او من عذابه
، واوليك هم وقود النار ، حطبها وقري بالضم بمعني اهل وقودها ، كداب ال فرعون ،
متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اوليك او توقد بهم كما توقد باوليك

او استيناف

واجيب ع

او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هولاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو
مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان ، والذين من قبلهم ، عطف
على ال فرعون وقيل استيناف ، كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم ، حال باضمار
قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم ، والله شديد
العقاب ، تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة ، قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم ، قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود
فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل
بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لين
قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلا
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلايل النبوة وقرا حمزة
والكساي باليا فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه ، وبيس
المهاد ، تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بيس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم ، قد كان لكم اية ، الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمومنين ، في فيتين
التقتا ، يوم بدر ، فية تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم ، يري
المشركون المومنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين
وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترءوا
عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى
للمومنين او يري المومنون المشركين مثلي المومنين وكانوا ثلاث امثالهم ليثبتوا
لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله تعالى به في قوله ان تكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين ويويده قراة نافع ويعقوب بالتا وقري بهما على البنا للمفعول
اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفية بالجر على البدل من فيتين والنصب
على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا ، راي العين ، روية ظاهرة معاينة
، والله يويد بنصره من يشا ، نصره كما نصر اهل بدر ، ان في ذلك ، اي التقليل والتكثير
او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة اية ايضا
تحتملهما وتحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول ، لعبرة لاولي الابصار ، لعظة لذوي

الابصار وقيل لمن ابصرهم • زين للناس حب الشهوات • اي المشتهيات سماها شهوات
مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير ن
والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه
يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب
التعيش وبقا النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين
المباح والمحرم • من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث • بيان الشهوات والقنطار المال الكثير وقيل
مائة الف دينار وقيل ملا مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال ن
والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة
من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام
الابل والبقر والغنم • ذلك متاع الحياة الدنيا • اشارة الى ما ذكر • والله عنده
حسن الماب • اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية
الابدية بالشهوات المخدجة الفانية • قل اونبئكم بخير من ذلكم • يريد به تقرير ان ثواب
الله خير من مستلذات الدنيا • للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها • استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير
ويرتفع جنات على هو جنات ويويده قراة من جرها بدلا من خير • وازواج مطهرة •
مما يستقذر من النسا • ورضوان من الله • قراة عاصم بضم الراء وهما لغتان • والله
بصير بالعباد • اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا
فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها
رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها • الذين يقولون
ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • صفة للمتقين او للعباد
او مدح منصوبا او مرفوع وفي ترتيب السوال على مجرد الايمان دليل على انه
كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها • الصابرين والصادقين ن
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار • حصر لمقامات السالك
على احسن الترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل

برواية ابي بكر وحده

اما بالنفس

اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن
وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة ن
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد
منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعا فيها
اقرب الى الاجابة لان العبادة حينيذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع
سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون
• شهد الله انه لا اله الا هو • بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها
وانزال الايات الناطقة بها • والملايكة • بالاقرار • واولوا العلم • بالايمان بها
والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد • قايما
بالقسط • مقيما بالعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده
بها ولم يجز جا زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب
نافلة او عن هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قايما او احقه لانها حال موكدة او
على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا
جعلته صفة او حالا عن الضمير وقري القايم بالقسط على البدل من هو او الخبر
لمحذوف • لا اله الا هو • كرره للتاكيد ومزيد الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله • العزيز الحكيم • فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من
الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة والسلام ن
قال يجا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا
وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله • ان الدين عند الله الاسلام • جملة مستانفة موكدة للاولى اي لا دين
مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جا به محمد
صلوات الله تعالى عليه وسلامه وقرا الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل
الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة

[هامش: النفس بكلية]

وقري انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الثاني واعتراض ما بينهما او اجرا شهد
مجري قال تارة وعلم اخري لتضمنه معناهما • وما اختلف الذين اوتوا الكتاب •
من اليهود والنصاري او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم
انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد
فثلث النصاري وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسي اختلفوا بعده
وقيل هم النصاري اختلفوا في امر عيسي • الا من بعد ما جاهم العلم • اي بعد ما علموا
حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج • بغيا بينهم • حسدا بينهم ۵
وطلب الرياسة لا لشبهة وخفا في الامر • ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب • وعيد لمن كفر منهم • فان حاجوك • في الدين اي جادلوك فيه بعد ما
اقمت الحجج • فقل اسلمت وجهي لله • اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره
وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الايات والرسل وانما عبر
بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضا الظاهرة ومظهر القوي والحواس • ومن
اتبعني عطف على التا وحسن للفصل او مفعول معه • وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين • الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب • ااسلمتم • كما اسلمت لما وضحت
لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالي فهل انتم منتهون وفيه
تعيير لهم بالبلادة والمعاندة • فان اسلموا فقد اهتدوا • فقد نفعوا انفسهم
بان اخرجوها من الضلال • وان تولوا فانما عليك البلاغ • اي فلم يضروك اذ
ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت • والله بصير بالعباد • وعد ووعيد • ان الذين
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم • هم اهل الكتاب الذين في عصره [هامش: عليهم السلام]
قتل اولوهم الانبيا ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله ۵
عليه وسلم والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وقرا حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفا في خبر ان كليت
ولعل ولذلك قيل الخبر • اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة • كقولك
زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معني الابتدا بخلافهما • وما لهم من ناصرين •

يدفع

يدفع عنهم العذاب • الم تر الي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • اي التوراة او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم
والتحقير • يدعون الي كتاب الله ليحكم بينهم • الداعي محمد صلى الله عليه وسلم
وكتاب الله تعالي القران او التوراة لما روي انه عليه الصلاة والسلام
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال
على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الي التوراة ۵ [هامش: بينكم]
فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقري على البنا للمفعول
فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في
الاصول • ثم يتولي فريق منهم • استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
• وهم معرضون • وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ ۵
لتخصيصه بالصفة • ذلك • اشارة الي التولي والاعراض • بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات • بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم بهذا
الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ • وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • من ان النار
لن تمسهم الا اياما قلايل او ان اباهم الانبيا يشفعون لهم او انه تعالى وعد
يعقوب عليه الصلاة والسلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم • فكيف
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه • استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب
لقولهم لن تمسنا النار الا اياما ما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على روس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار
• ووفيت كل نفس ما كسبت • جزا ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها
فاذن هي بعد الخلاص منها • وهم لا يظلمون • الضمير لكل نفس على المعني لانه في
معني كل انسان • قل اللهم • الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص
هذا القسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتا القسم وقيل اصله
يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف الندا ومتعلقات الفعل وهمزته • مالك
الملك • تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو ندا ثان عند سيبويه

قال الحليم عنده تمنع الوصفية. تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا تعطي منها
ما تشا من تشا وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم. وتعز من تشا وتذل من تشا في الدنيا او في
الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان. بيدك الخير انك على
كل شي قدير. ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض
اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان
الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه الصلاة والسلام لما خط الخندق وقطع لكل
عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها
المعاول فوجهوا سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فجا فاخذ المعول
منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضا ما بين لابتيها لكان مصباحا
في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضات لي منها قصور الحيرة كانها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضات لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضات لي قصور صنعا واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة
على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانكم انما تحفرون الخندق من
الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شي قدير. تولج الليل
في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق
من تشا بغير حساب. عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز
وايتا الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما
في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشا
الحيوانات من موادها واماتتها او انشا الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل
اخراج المومن من الكافر والكافر من المومن وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر
الميت بالتخفيف. لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا. نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة

بهم في الغزو وساير الامور الدينية. من دون المومنين. اشارة الى انهم الاحقا
بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة. ومن يفعل ذلك. اي اتخاذ
اوليا. فليس من الله في شي. اي من ولايته في شي يصح ان يسمى ولاية فان ولاية
المتعاديين لا يجتمعان قال. تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك
بعازب. الا ان تتقوا منهم تقاة. الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاوه او
اتقا والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية
منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار
الموالاة حينيذ جايز كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه والى الله المصير. فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة
اعدايه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر
منه عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر من الكفرة. قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله. اي انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان
تخفوها او تبدوها. ويعلم ما في السموات وما في الارض. فيعلم سركم وعلنكم
والله على كل شي قدير. فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان
لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم
ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا
على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها. يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا.
يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزا اعمالها من
الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او مضمر نحو
اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت
من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون
شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه. كرره للتوكيد والتذكير. والله رؤف بالعباد. اشارة الى
انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة

مغفرة وذو اعقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشي لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من
الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة
فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في
عبادته والحرص على مطاوعته • يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم • جواب للامر
اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب
عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة
• والله غفور رحيم • لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت
اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل
المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا
يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه
الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمومنين • ان الله اصطفى ادم ونوحا
وال ابراهيم وال عمران على العالمين • بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية
ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة
لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم
على الملايكة وال ابراهيم اسماعيل واسحاق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله
عليه وسلم وال عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعازار بن ابي يود
ابن ابي ايل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا ابن اموزد بن ميشكن بن حازقا بن احاد
ابن يوثام بن عوزيا بن يوزام بن سافط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود
ابن ايشي بن عويد بن سلمون بن ناعز بن نحسون بن عمياد بن رام بن حصروم بن
فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة • ذرية

بعضها

بعضها من بعض • حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد
والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها واوا ثم قلبت الواو ياء وادغمت
• والله سميع عليم • باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او
سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها • اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني • فتنتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى
وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد زوجته
ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع اخت
مريم وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا
هي في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم
ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها
بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا • محررا • معتقا لخدمته لا اشغله بشي او مخلصا
للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني • ما نذرته • انك انت السميع العليم • لقولي
ونيتي • فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى • الضمير لما في بطنها وتانيثه
لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا منه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا او تحزنا الى
ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره • والله اعلم بما وضعت •
اي بالشي الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها
وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها
اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقري وضعت على خطاب الله تعالى لها
• وليس الذكر كالانثى • بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي
وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان
فيما نذرت فيكون اللام للجنس • واني سميتها مريم • عطف على ما قبلها من مقالها وما
بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى

يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم
والمسمى والتسمية امور متغايرة • واني اعيذها بك • اجيرها بحفظك • وذريتها
من الشيطان الرجيم • المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم
وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغوا كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها
فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة • فتقبلها ربها • فرضي بها في النذر
مكان الذكر • بقبول حسن • بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر
او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرايل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا
ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي
قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى كتقضي وتعجل فاخذها في اول امرها حين ولدت
بقبول حسن • وانبتها نباتا حسنا • مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
• وكفلها زكريا • شدد الفا حمزة والكساى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية
ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب • اي الغرفة
التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس • وجد عندها رزقا • جواب كلما وتنا
روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد
وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتا وبالعكس • قال يا مريم انى لك هذا • من
اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز
الكرامة للاوليا وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه • قالت هو
من عند الله • فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها

استعمل

ينزل

ينزل عليها من الجنة • ان الله يرزق من يشا بغير حساب • بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق
تفضلا منه وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله
عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال
هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال اني لك هذا قالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة نسا بني اسرايل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام
كما هو فاوسعته على جيرانها • هنالك دعا زكريا ربه • في ذلك المكان او الوقت اذ
يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة الله تعالى مريم ومنزلتها عند الله
تعالى • قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة • كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل
لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال
هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة ولا بالاسباب المعهودة • انك
سميع الدعا • مجيبه • فنادته الملايكة • اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان
المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكساي فناديه بالامالة والتذكير وهو
قايم يصلي في المحراب • اي قايما في الصلاة ويصلي صفة قايم او خبر او حال اخر
او حال عن الضمير في قايم • ان الله يبشرك بيحيى • اي بان الله وقرا حمزة وابن
عامر بالكسر على ارادة القول او لان الندا نوع منه وقرا حمزة والكساي
يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
• مصدقا بكلمة من الله • اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب
فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته • وسيدا • يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا للناس كلهم في انه ما هم
بمعصية • وحصورا • مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه
مر بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت • ونبيا من الصالحين • ناشيا
منهم او كاينا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة • قال رب انى يكون لي غلام
استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا واستفهاما عن كيفية حدوثه
• وقد بلغني الكبر • ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته

ثمان وتسعون • وامراتي عاقر • لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من
الاولاد • قال كذلك الله يفعل ما يشاء • اي يفعل ما يشا من العجايب مثل ذلك الفعل
وهو انشا الولد من شيخ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر
يفعل ما يشا من خلق الولد وكذلك الله مبتدا وخبر او خبر اي الله على مثل هذه
الصفة ويفعل ما يشا بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل
ما يشا بيان • قال رب اجعل لي اية • علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة
والشكر وتريح مشقة الانتظار • قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام • ان لا
تقدر على تكلم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر
الله وشكره قضا لحق النعمة وكانه قال ايتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر ولحسن
الجواب ما اشتق عن السوال • الا رمزا • اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك
ومنه الراموز للبحر والاستثنا منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على
الضمير وقري الا رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن
الناس بمعنى مترامزين • كقوله متى ما يلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا • واذكر ربك كثيرا • في ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه
وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار • وسبح بالعشي • من الزوال الى
الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل • والابكار • من طلوع
الفجر الى الضحى وقري بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار • واذ قالت الملايكة يا مريم
ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين • كلموها شفاها
كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كان معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى
فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة • وما ارسلنا قبلك الا رجالا • وقيل
الهموها والاصطفا الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة
واغناوها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها عما يستقذر من النسا
والثاني هدايتها وارسال الملايكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد
من غير اب وتبريتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين
• يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين • امرت بالصلاة في الجماعة بذكر

لقوله

اركانها

اركانها مبالغة في المحافظة عليها وتقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم
او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان
بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة
كقوله تعالى امن هو قانت انا الليل ساجدا وقايما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى
وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات • ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك •
اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي • وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم • اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون
بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة
الوقايع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون
الاتهام لاحتمال العيان ولا يظن به عاقل • ايهم يكفل مريم • متعلق بمحذوف عليه
يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل • وما كنت لديهم اذ يختصمون •
تنافسا في كفالتها • اذ قالت الملايكة • بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض
او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا • يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم •
المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما
طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو
بياض تعلوه حمرة ونحوه تكلف لا طايل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز
تمييز الاسما نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس
مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم
علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف
وابن مريم صفة وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب
اذ الاولاد تنسب الى الابا ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب • وجيها في الدنيا
والاخرة • حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره وتذكير
الضمير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة • ومن المقربين • من

الله تعالى وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ۝
ويكلم الناس في المهد وكهلا ای يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير
تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد
كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية
ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او من ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى
يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه
يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القايل جبريل او الله تعالى
وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى
انه كما يقدر ان يخلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة
من غير ذلك ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا
لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على
يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان ۝
لفضلهما وقرا نافع وعاصم ويعلمه باليا ورسولا الى بني اسرايل انى قد جيتكم
باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني
قد جيتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا
باني قد جيتكم وتخصيص بني اسرايل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه
مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد
جيتكم او جر بدل اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيا مثل
صورة الطير وقرا نافع اني بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله تعالى نبه به على ان احياه
من الله تعالى لا منه وقرا نافع هنا وفي المايدة طايرا بالالف والهمزة وابرئ
الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه كان ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي
زمن الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان
الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله رفعا

لوهم

لوهم الالوهية فان الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية وانبيكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او ۝
مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على
رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جيتكم اي وجيتكم مصدقا
ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله اني قد جيتكم باية او معطوف على
معنى مصدقا كقولهم جيتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم
اي في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام كالشحوم والثروب والسماك ولحوم
الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل
ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض
وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجيتكم باية من
ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي جيتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق
المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او جيتكم باية من ربكم اي ۝
جيتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى
الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جيتكم باية بعد
اخرى بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون في
فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي ۝
وربكم وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي هو غاية
التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة
التي هي الاتيان بالاوامر والانتها عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه
الصلاة والسلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله تعالى
او ذاهبا اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اى من الذين

على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جيتكم باية

اونا تام

يضيفون انفسهم الى الله تعالى في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في واللام • قال
الحواريون • حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص
نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض استنصر بهم عيسى
من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها • نحن انصار الله • اي
انصار دينه • امنا بالله واشهد بانا مسلمون • لتشهد لنا يوم القيامة حين
تشهد الرسل لقومهم وعليهم • ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين • اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبيا الذين يشهدون
لاتباعهم او لامة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهدا على الناس • ومكروا • اي الذين
احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة • ومكر الله • حين رفع
عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج
• والله خير الماكرين • اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
• اذ قال الله • ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك • يا عيسى اني
متوفيك • اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم
او قابضك من الارض من توفيت مالي ومتوفيك نايما اذ روي انه رفع نايما او مميتك
عن الشهوات العايقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السما واليه ذهب النصارى • ورافعك الي • الى محل كرامتي ومقر
ملايكتي • ومطهرك من الذين كفروا • من سوء جوارهم او قصدهم • وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة • يغلبونهم بالحجة او السيف في غالب الامر
ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة • ثم الي مرجعكم • الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر
به وغلب المخاطبين على الغايبين • فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون • من امر
الدين • فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين • واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم • تفسير للحكم وتفصيل

له وقرا حفص فيوفيهم بالياء • والله لا يحب الظالمين • تقرير لذلك • ذلك • اشارة
الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره • نتلوه عليك • وقوله • من الايات •
حال من الها ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان
يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه • والذكر الحكيم • المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل اللوح • ان
مثل عيسى عند الله كمثل ادم • ان شانه الغريب كشان ادم • خلقه من تراب • جملة
مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم
من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد
الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب • ثم قال له كن • اي انشاه بشرا لقوله تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان تكون ثم
لتراخي الخبر لا لتراخي المخبر • فيكون • حكاية حال ماضية • الحق من ربك • خبر
محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى
• فلا تكن من الممترين • خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق التهييج لزيادة
الثبات او لكل سامع • فمن حاجك • من النصارى • فيه • في عيسى • من بعد ما جاءك
من العلم • اي من البينات الموجبة للعلم • فقل تعالوا • هلموا بالراي والعزم
• ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم • اي يدع كل منا ومنكم
نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على
النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم • ثم نبتهل • اي نتباهل
بان يلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم
بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار • فنجعل لعنة الله على الكاذبين • عطف فيه بيان
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا
الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتى محتضنا الحسين
اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت

فآمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصاري اني لاري وجوها لو سالوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم
وبذلوا له الجزية الفي حلة حمرا وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة
والسلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستاصل الله تعالي نجران واهله حتي الطير علي الشجر وهو دليل
علي نبوته وفضل من اتي بهم من اهل بيته • ان هذا • اي ما قص من نبا عيسي ومريم
• لهو القصص الحق • بجملته خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسي ومريم
حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الي المبتدا من الخبر
واصلها ان تدخل علي المبتدا • وما من اله الا الله • صرح فيه بمن الزايدة للاستغراق
تاكيدا للرد علي النصاري في تثليثهم • وان الله لهو العزيز الحكيم • لا احد سواه
يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية • فان تولوا
فان الله عليم بالمفسدين • وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل علي ان
التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المودي الي فساد
النفس بل الي فساد العالم • قل يا اهل الكتاب • يعم اهل الكتابين وقيل يريد
به وفد نجران او يهود المدينة • تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم • لا يختلف فيها
الرسل والكتاب وتفسيرها ما بعدها • الا نعبد الا الله • اي نوحده بالعبادة
ونخلص فيها • ولا نشرك به شيئا • ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد • ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله • ولا نقول
عزير بن الله ولا المسيح بن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم
لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك • فان تولوا •
عن التوحيد • فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا
مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت
عليه الرسل تنبيه انظر الي ما راعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن

الترتيب

الترتيب في الحجاج بين اولا احوال عيسي وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية
ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راي عنادهم ولجاجهم دعاهم الي المباهلة
بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد اليهم بالارشاد
وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الي ما وافق عليه عيسي والانجيل وساير
الانبيا والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني
عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون • يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم
وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده • تنازعت اليهود والنصاري في ابراهيم
وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت والمعني
ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل علي موسي وعيسي عليهما
الصلاة والسلام وكان ابراهيم قبل موسي بالف سنة وعيسي بالفين فكيف
يكون عليهما • افلا تعقلون • فتدعون المحال • ها انتم هولاء حاججتم فيما لكم به
علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم • ها حرف تنبيه نبهوا بها علي حالتهم التي
غفلوا وانتم مبتدا وهولاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولي اي انتم
هولاء الحمقي وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة
والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في
كتابكم من دين ابراهيم وقيل هولاء بمعني الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم
اصله أانتم علي الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة ها وقرا نافع وابو
عمرو ها انتم حيث وقع بالمد اقل مدا وقيل بالهمز من غير الف بعد الها والباقون
بالمد والهمز والبزي بقصر المد علي اصله • والله يعلم • ما حاججتم فيه • وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون به • ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا • تصريح بمقتضي ما قرره
من البرهان • ولكن كان حنيفا • مائلا عن العقايد الزايغة • مسلما • منقادا لله
وليس المراد به انه كان علي ملة الاسلام والا لاشترك الالزام • وما كان من
المشركين • تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء
المشركين انهم علي ملة ابراهيم • ان اولي الناس بابراهيم • ان احصهم به واقربهم
منه من الولي وهو القرب • للذين اتبعوه • من امته • وهذا النبي والذين امنوا •

عليه

لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصاله وقرى والنبي بالنصب عطفًا على الهآ
في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم • والله ولي المومنين • ينصرهم ويجازيهم
الحسنى لايمانهم • ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم • نزلت في اليهود
لما دعوا حذيفة وعمارًا ومعاذًا الى اليهودية ولو بمعنى ان • وما يضلون الا انفسهم
وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما
يضلون به الا امثالهم • وما يشعرون • وزره واختصاص ضرره بهم • يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله • بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • وانتم تشهدون • انها ايات الله او بالقران
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق • يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل • بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في
الميز بينهما وقرى تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح البا اي تلبسون الحق
بالباطل كقوله كلابس ثوبي زور • وتكتمون الحق • نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته • وانتم تعلمون • عالمين بما تكتمون • وقالت طايفة من اهل الكتاب
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار • اي اظهروا الايمان بالقران اول
النهار • واكفروا اخره لعلهم يرجعون • واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم
ظنًّا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك
ابن الضيف قالا لاصحابهما لما حولت القبله امنوا بما انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره
لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر
تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولون اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماونا فلم نجد محمدًا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه
ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا
تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم • قل ان
الهدى هدى الله • يهدي من يشا الى الايمان ويثبته عليه • ان يوتى احد مثل
ما اوتيتم • متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يوتى احد والمعنى ان

الحسد

الحسد حملكم على ذلك او بلا تومنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يوتى احد مثل ما
اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين ليلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين
ليلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم
لا يجدي بطايل وخبر ان على ان هدى الله بدل عن الهدى وقراة ابن كثير
ءان يوتى على الاستفهام للتقريع يويد الوجه الاول اي الان يوتى احد
دبرتم وقرى ان على انها النافية فيكون من كلام الطايفة اي ولا تومنوا الا
لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يوتى احد مثل ما اوتيتم • او يحاجوكم عند ربكم •
عطف على ان يوتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند
ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير
اتباعهم • قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم • ردوا ابطال لما زعموه بالحجة الواضحة • ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك • كعبد الله بن سلام استودعه
قرشي الفا ومايتي اوقية ذهبا فاداه اليه • ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده
اليك • كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل الخيانة
المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانه والخاينون في القليل
اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرا حمزة وابو بكر وابو عمرو يوده اليك ولا
يوده اليك باسكان الها وقالون باختلاس كسر الها وكذا روي عن هشام
والباقون باشباع الكسرة • الا ما دمت عليه قايما • الا مدة دوامك قايما
على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة • ذلك •
اشارة الى ترك الادا المدلول عليه بقوله لا يوده • بانهم قالوا • بسبب قولهم • ليس علينا
في الاميين سبيل • اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا في
ديننا عتاب وذم • ويقولون على الله الكذب • بادعايهم ذلك • وهم يعلمون •
انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم نجعل لهم في التوراة
حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط
حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا
الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر. بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم
سبيل. من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين. استيناف مقرر للجملة
التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من
الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي. ان الذين يشترون. يستبدلون. بعهد الله. بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات. وايمانهم. بما حلفوا به من قولهم
والله لنؤمنن به ولننصرنه. ثمنا قليلا. متاع الدنيا. اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة ولا يكلمهم الله. بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة
او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيامة. فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن
التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه. ولا
يزكيهم. ولا يثني عليهم. ولهم عذاب اليم. على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار
حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما
واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد
اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في
بير او ارض وتوجه الحلف على اليهودي. وان منهم لفريقا. يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي. يلوون السنتهم بالكتاب. يفتلونها بقراءته فيميلونها عن
المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو
المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها. لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب. الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ
ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين. ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا
لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله
تعالى. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على

الله

الله تعالى والتعمد فيه. ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله. تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع
القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ
الله ان يعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد
لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن كونوا ربانيين. ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل. بما كنتم
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس. ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا. نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب
عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما
كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته
ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون
على الاستيناف ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو على اصله من رواية الدوري باختلاس
الضم. ايامركم بالكفر. انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله. بعد اذ انتم
مسلمون. دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا
له. واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم
الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين و
اممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق اضافته الى الفاعل

والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبيا على اممهم وقيل المراد اولاد
النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرايل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا
يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في
لما موطية للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية
ولتومنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر
على ان ما مصدرية اي لاجل ايتايي اياكم بعض الكتاب ثم لمجي رسول الله صلى الله
عليه وسلم مصدق اخذ الله الميثاق لتومنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى
اخذه للذي اتيتكموه وجاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق له وقرى
لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى
الميمات الثلاث استثقالا وقرا نافع اتيناكم بالنون والالف جمعا قال
اقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد وقرى
بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال
فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملايكة
وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد
وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار بالشهادة
فاوليك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون
عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره
ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار
والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتا
عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
اي طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجي الى
الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملايكة
والمومنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم
واليه ترجعون وقرى بالبا على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما
انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى

والنبيون

والنبيون من ربهم امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه
بالايمان والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا
المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك
اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق
عليه
وانما قدم المنزل على المنزل على ساير الرسل لانه المعرف له والعيار له لا نفرق
بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون
في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله
تعالى فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين اي الواقعين في الخسران
والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران
بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان
هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول
كل ما يغايره ولعل الدين ايضا الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحايد
عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له
وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين
دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اوليك جزاوهم ان عليهم لعنة الله
والملايكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز
لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما
يوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المومنون او العموم فان
الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين
فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي

ممنوعون

من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا
في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث
ابن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه
اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود الذين كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم
ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا بمحمد بعد ما امنوا
به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم
لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل
الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم
في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
ادخل الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر
تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى
به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى به من العذاب في الاخرة بمثله لقوله
تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير
والاقناط لان ما لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين
في رفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة
البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى

تنفقوا

تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن
في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او
رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال
هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال
زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه الصلاة والسلام ان الله قد قبلها منك
وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم
الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض
ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان
ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد
اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل
يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم
ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة
الاطباء واحتج به من جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد وللمانع ان يقول
ذلك باذن الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها
مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود
في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتان بان قالوا لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى
الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على الذين من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في
دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليل لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم
عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم
ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيها دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب

ابتدعه الله تعالى بزعمهم انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم • من بعد ذلك • من بعد ما لزمهم الحجة • فاولئك هم الظالمون • الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح • قل صدق الله • تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون • فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا • اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه • وما كان من المشركين • فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود • ان اول بيت وضع للناس • اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قري على البنا للفاعل • للذي ببكة • للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه الصلاة والسلام سيل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسيل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم عليه الصلاة والسلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملايكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السما الرابعة تطوف به ملايكة السموات وهو لا يلايم ظاهر الاية وقيل المراد به الاول في الشرف لا بالزمان • مباركا • كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف • وهدي للعالمين • لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال • فيه ايات بينات • كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسو قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى • مقام ابراهيم • مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف

بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصما وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وابقايه دون اثار الانبيا وحفظه مع كثرة اعدايه الوف سنة ويويده انه قري اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه • ومن دخله كان امنا • جملة ابتدايية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيها ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما عن الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقا الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا وعند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن يلجا الى الخروج • ولله على الناس حج البيت • قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسايي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهي لغة نجد • من استطاع اليه سبيلا • بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يويد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رضي الله تعالى عنه انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رضي الله عنه انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشي فهو سبيله • ومن كفر فان الله غني عن العالمين • وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شا يهوديا وان شا نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة

وذكر الاستغنا فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
بدل عنه لما فيه من مبالغة التعبير والدلالة على الاستغنا عنه بالبرهان والاشعار
بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف
المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الاية
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب
عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مومنون
بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه
شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل
يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه
مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام
قيل كانوا يفتنون المومنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم
عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المومنين لتختلف كلمتهم ويختل امر
دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند
اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما
تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به
ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية صدهم المومنين
عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

نزلت

نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شماس بن قيس
اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل
فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من
القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به
عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله
تعالى ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار
وتعجيب لكفرهم في حال اجتمعت لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة
عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره
فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل
هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر
تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء
كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى
حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه
بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك
النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام
القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة
عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد

عليه والاعتصام ترشيح للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب
بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله
عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل
اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم
بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله تعالى وقيل كان الاوس
والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مايه
وعشرين سنة حتى اطفاها الله تعالى بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم
اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير
للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة
فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في
المذكر وحذفت في المونث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلايله
لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط
لا تشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل
حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض
كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف والدعا الى الخير يعم الدعا الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان
بفضله واوليك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلاة
والسلام سيل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به والنهى

عن

عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان
ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب
الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في
التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص
بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة
ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر
واحد واوليك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه
بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار

ظهور

اذكر وبياض الوجه واسوداده كنايتان عن بهجة السرور وكابة الخوف فيه
وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور
بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين
اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلايل والايات فذوقوا
العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزا لكفركم واما
الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك
بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة

تقدم ذكرهم ع

الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المومنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد
كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك ايات الله الواردة
في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله
يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شي فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شي فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات

وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعدله واوعدله كنتم خير امة
دل على خيريتهم فيما مضي ولم يدل على انقطاع طرا كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما
وقيل كنتم في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين المتقدمين اخرجت للناس
الامم صح
اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير
خير امة او خبر ثان لكنتم وتومنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن
به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يومن به وانما
اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان
الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام
فيها للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل
الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في
الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم
الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا
ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع
باسكم عنهم نفي اضرارهم سوي ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال
كانت الدايرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقري لا ينصروا
عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم
وهذه الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير
وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او
ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من
الناس استثنا من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا
معتصمين او متلبسين بذمة الله تعالى او كتابه الذي اتاهم او ذمة المسلمين
او بدين الاسلام واتباع سبيل المومنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين
له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله

واليهود

واليهود في غالب الامر فقرا مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا
بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبيا ذلك اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدايهم حدود الله فان
الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يودي الى الكفر
وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل
بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدايهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع ايضا ليسوا سوا في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة قايمة استيناف لبيان نفي الاستوا والقايمة المستقيمة العادلة
من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله انا الليل وهم يسجدون
يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي
انه عليه الصلاة والسلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يومنون
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في
الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون
عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون
اليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطيون عن الخيرات
واوليك من الصالحين اي الموصوفين بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله
تعالى واستحقوا ثناه ورضاه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع
ولا ينقص ثوابه البته سمي ذلك كفرا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته
الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكساي فلن يكفروه
بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا
الخير وحسن العمل وان الفايز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا من العذاب او من الغنا فيكون

مصدرا، واولئك اصحاب النار، ملازموها، هم فيها خالدون مثل ما ينفقون،
مثل ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون ريا وخوفا، في هذه
الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر، برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر
فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم، بالكفر والمعاصي فاهلكته، عقوبة لهم لان
الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوه في ضياعه بحرث كفار
ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا ولا في الاخرة
وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث، وما ظلمهم الله ولكن انفسهم
يظلمون، اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها
او ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقو
وقري ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا
يحذف الا في الشعر كقوله، ولكن من يبصر جفونك يعشق، يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا بطانة، وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس
دثار، من دونكم، من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة
بطانة اي بطانة كاينة من دونكم، لا يالونكم خبالا، لا يقصرون لكم في الفساد
والالو التقصير واصله ان يعدي بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا الوك
نصحا على تضمين معنى المنع او النقص، ودوا ما عنتم، تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر
والمشقة وما مصدرية، قد بدت البغضاء من افواههم، اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون
انفسهم لفرط بغضهم، وما تخفي صدورهم اكبر، مما بدا لان بدوه ليس عن روية
واختيار، قد بينا لكم الايات، الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المومنين
ومعاداة الكافرين، ان كنتم تعقلون، ما بين لكم والجمل الاربع جات مستانفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة، ها انتم اولا
تحبونهم ولا يحبونكم، اي انتم اولاء الخاطيون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا

تحبونهم

تحبونكم بيان لخطايهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولا والجملة خبر انتم كقولك
انت زيد تحبه او صلة او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب
اولا بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا، وتؤمنون بالكتاب كله، بجنس
الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم
ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يومنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم، واذا لقوكم قالوا امنا، نفاقا وتغريرا، واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ، من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا، قل
موتوا بغيظكم، دعا عليهم بدوام الغيظ وزيادته لتضاعف قوة الاسلام واهله
حتى يهلكوا به، ان الله عليم بذات الصدور، فيعلم ما في صدوركم من البغضاء والحنق
وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من
عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي
اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمايرهم، ان تمسسكم حسنة تسوهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها، بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من
خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة، وان
تصبروا، على عداوتهم او على مشاق التكاليف، وتتقوا، موالاتهم او ما حرم الله
عليكم، لا يضركم كيدهم شيا، بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقا والصبر يكون قليل الانفعال جريا على
الخصم وضمة الرا للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا
يضركم من ضاره يضيره، ان الله بما تعملون، من الصبر والتقوى وغيرهما، محيط
اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقري بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عالم
فيعاقبكم عليه، واذ غدوت، اي واذكر اذ غدوت، من اهلك، من حجرة
عايشة، تبوي المومنين، تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويويده القراءة باللام
مقاعد للقتال، مواقف للقتال واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى
المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك
والله سميع، لاقوالكم، عليم، بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا

ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا عدو الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا
قاتلهم الرجال ورماهم النسا والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين
واشار بعضهم بالخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في منامي
بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم احد
اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على
مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت
ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله
بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا • اذ همت • متعلق
بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت • طايفتان منكم • بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الاوس وكانوا جناحي العسكر • ان تفشلا • ان تجبنا وتضعفا روي انه
عليه الصلاة والسلام خرج في زها الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا
الشوط انخذل ابن ابي في ثلاث مائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم
قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله • والله وليهما • اي
عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان
• وعلى الله فليتوكل المؤمنون • اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم
كما نصرهم ببدر • ولقد نصركم الله ببدر • تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر
ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به • وانتم اذلة • حال من الضمير

وانما

وانما قال اذلة ولم يقل ذلايل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب
والسلاح • فاتقوا الله • في الثبات • لعلكم تشكرون • ما انعم عليكم بتقواكم
من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه
سببه • اذ تقول للمؤمنين • ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله
لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنايم
وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملايكة • الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الاف من الملايكة منزلين • انكار انه لا يكفيهم ذلك وانما جي بلن
اشعارا بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم
وقيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملايكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا
خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد [للتكثير] او للتدريج • بلى • ايجاب لما بعد لن اي
بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلو[بهم]
فقال • ان تصبروا وتتقوا وياتوكم • اي المشركون • من فورهم هذا • من ساعتهم
هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق
للحالة التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال • يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملايكة • في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير • مسومين • معلمين
من التسويم الذي هو اظهار سيما الشي لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه
تسوموا فان الملايكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو • وما جعله الله • وما [بالملايكة]
جعل امدادكم • الا بشرى لكم • الا بشارة لكم بالنصر • ولتطمين قلوبكم به • ت
ولتسكن اليه من الخوف • وما النصر الا من عند الله • لا من العدة والعدد وهو تنبيه
على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على
قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن
تاخر عنهم • العزيز • الذي لا يغالب في اقضيته • الحكيم • الذي ينصر ويخذل
بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة • ليقطع طرفا من الذين كفروا • ن
متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض

واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع لا
للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء
اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تعالى
مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان
يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم ومن التوبة عليهم
او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان
يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب عليهم فتسر به
او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر
رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من
يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح
في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور
رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا
اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع
اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء
الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة
واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه
على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا
بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام

والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل
او كثير والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة
من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله تعالى قلبه امنا وايمانا والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله
يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هولاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده وحكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم
المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا
ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصر
من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم
يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة
لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة
للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين

جزاؤهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصّل ايتهم بان بيّن انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصّل اية هؤلاء بقوله • ونعم اجر العاملين • لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزا بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات • قد خلت من قبلكم سنن • وقايع سنها الله تعالى في الامم المكذبة لقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس فضلا مثل فضلكم • ولا ارى مثله في سالف السنن •
• فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم • هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين • اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين • او الى ما يخص من امر المتقين والتايبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران • ولا تهنوا ولا تحزنوا • تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم • وانتم الاعلون • وحالكم انكم اعلا منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة • ان كنتم مومنين • متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق بالله او بالاعلون
• ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله • قرا حمزة والكسايي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم

لحفص

ترجون

ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول • وتلك الايام نداولها بين الناس • نصرفها بينهم نديل هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى كقوله • فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر • والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة
• وليعلم الله الذين امنوا • عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وانما يصيب المومن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثال ذلك ونقايضه ليس الى اثبات علمه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزا وهو العلم بالشيء موجودا • ويتخذ منكم شهدا • ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهدا احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدايد • والله لا يحب الظالمين • الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلا للمومنين • وليمحص الله الذين امنوا • ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم • ويمحق الكافرين • ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • بل احسبتم ومعنا الانكار • ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم • ولما تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرى يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون • ويعلم الصابرين • نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرى بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون • ولقد كنتم تمنون الموت • اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهدا بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج • من قبل ان تلقوه • من قبل

والقصد

وفيه دليل على انه فرض كفاية صح

ان تشاهدوه وتعرفوا شدته • فقد رايتموه وانتم تنظرون • اي فقد رايتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الموت
وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة
الكفار • وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل • فسيخلو كما خلوا بالموت
او القتل • افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم • انكار لارتدادهم وانقلابهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا
به وقيل الفا للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب
ابن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل
الرسول يدعوا الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من الصحابة وحموه حتى كشفوا عنه
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي
سفيان وقال اناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم
وقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا
يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقولون وابرا منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت
• ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا • بارتداده بل يضر نفسه • وسيجزي الله
الشاكرين • على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه • وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله • الا بمشيئة الله تعالى وباذنه لملك الموت في قبض
روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض
وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل • كتابا • مصدر مؤكد
اذ المعنى كتب الموت كتابا • موجلا • صفة له او موقتا لا يتقدم ولا يتاخر
• ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها • تعريض بمن شغلتهم الغنايم يوم احد فان

عن الدين

المسلمين

المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك
اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورايهم
فهزموهم • ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها • اي من ثوابها • وسنجزي الشاكرين
الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد • وكاين • اصله اي دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرا
ابن كثير وكاين ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في
لعمري فصار كيين ثم حذفت اليا الثانية للتخفيف ثم ابدلت اليا
الاخرى الفا كما ابدلت من طاي • من نبي • بيان له • قتل معه ربيون كثير •
ربانيون علما اتقيا او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة
وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده
الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويويد الاول انه قرى بالتشديد
وقرى ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر
• فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله • فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من
قتل النبي او بعضهم • وما ضعفوا • عن العدو او في الدين • وما استكانوا •
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه
ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه
يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله صلى الله عليه وسلم • والله يحب الصابرين • فينصرهم ويعظم قدرهم
• وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين • اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في
الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى
انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم
طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة
فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته
• على جهة النسبة وزمان الحدث • فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة

والله يحب المحسنين • فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجا الى الله تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله • يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين • نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفار والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم • بل الله مولاكم • وهو خير الناصرين • ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم • فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره • سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب • يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شا الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القران • بما اشركوا بالله • بسبب اشراكهم به • ما لم ينزل به سلطانا • اي الهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • واصل السلطنة القوة ومنه التسليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان • وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين • اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل • ولقد صدقكم الله وعده • اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم • اذ تحسونهم باذنه • تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه • حتى اذا فشلتم • جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل • وتنازعتم في الامر • يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ها هنا وقال اخرون لا نخالف امر رسول الله فثبت مكانه اميرهم في

نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله • وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون • من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذ محذوف وهو امتحنكم • منكم من يريد الدنيا • وهم التاركون المركز للغنيمة • ومنكم من يريد الاخرة • وهم الثابتون محافظة على امر الرسول • ثم صرفكم عنهم • ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم • ليبتليكم • على المصايب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها • ولقد عفا عنكم • تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة • والله ذو فضل على المومنين • يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سوا ادال لهم او عليهم اذ الابتلا ايضا رحمة • اذ تصعدون • متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة • ولا تلوون على احد • لا يقف احد لاحد ولا ينتظره • والرسول يدعوكم • كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة • في اخراكم • في ساقتكم وجماعتكم الاخرى • فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم • عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله تعالى على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدايد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فايت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة • والله خبير بما تعملون • عالم باعمالكم وبما قصدتم بها • ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا • انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة

وقري امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طايفة منكم اي النعاس
وقرأ حمزة والكساي بالتا ردا على الامنة والطايفة المؤمنون حقا وطايفة
هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم
انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى
لطايفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر
والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى
انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل
يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة
الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضا له يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتدا يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم
مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في
انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان
له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان
لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا ما غلبنا و لما
قتل من قتل منا هاهنا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ
الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها
في سابق قضايه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم
ويظهر سرايرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك
ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضا او لمصالح جمة وللابتلا او على
قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوسوا س

والله

والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه غني عن الابتلا وانما فعل ذلك لتمرين المومنين واظهار حال المنافقين
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب
منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة
فمنعوا التاييد وقوة القلب لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل استزلال
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي تجر
بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا ان
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم
لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء
على حكاية الحال الماضية او كانوا غزا جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك
القول والاعتقاد ليجعل حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك
القول والاعتقاد ليجعل حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك
القول والاعتقاد ليجعل حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفا
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه

تعالي قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد • والله بما تعملون بصير •
تهديد للمومنين علي ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكساي باليا علي انه وعيد
للذين كفروا • ولين قتلتم في سبيل الله او متم • اي متم في سبيله وقرا نافع وحمزة
والكساي بكسر الميم من مات يمات • لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون • جواب
القسم وهو ساد مسد الجزا والمعني ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت
ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت
خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرا حفص باليا • ولين متم او قتلتم
علي اي وجه اتفق هلاككم • لالي الله تحشرون • لالي معبودكم الذي توجهتم
اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الي غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاكم
ويعظم ثوابكم وقرا حمزة ونافع والكساي متم بالكسر • فبما رحمة من الله لنت لهم •
اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والتنبيه والدلالة علي ان لينه لهم ما كان الا برحمة
من الله وهو ربطه علي جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتي اغتنم لهم بعد ان خالفوه • ولو
كنت فظا • سيي الخلق جافيا • غليظ القلب • قاسيه • لانفضوا من حولك • لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك • فاعف عنهم • فيما يختص بك • واستغفر لهم • فيما لله •
وشاورهم في الامر • اي في امر الحرب فان الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه
استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيد سنة المشاورة للامة • فاذا
عزمت • فاذا وطنت نفسك علي شي بعد المشورة فتوكل في امضا امرك علي
ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقري فاذا عزمت علي التكلم اي فاذا عزمت
لك علي شي او عينته لك فتوكل علي الله ولا تشاور فيه احدا • ان الله يحب
المتوكلين • فينصرهم ويهديهم الي الصلاح • ان ينصركم الله • كما نصركم يوم بدر • فلا
غالب لكم • فلا احد يغلبكم • وان يخذلكم • كما خذلكم يوم احد • فمن ذا الذي ينصركم
من بعده • من بعد خذلانه او من بعد الله اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه
علي المقتضي للتوكل وتحريض علي ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه • وعلي الله فليتوكل المومنون • فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر
سواه وامنوا به • وما كان لنبي ان يغل • وما صح لنبي ان يخون في الغنايم فان النبوة

تنافي

تنافي الخيانة يقال غل شيا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما براة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمرا فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به
الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشي ان يقول رسول الله صلي
الله عليه وسلم من اخذ شيا فهو له ولا يقسم الغنايم واما المبالغة في النهي
للرسول علي ما روي انه بعث طلايع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم
علي من معه ولم يقسم علي الطلايع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين
غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكساي ويعقوب
ان يغل علي البنا للمفعول والمعني وما صح له ان يوجد غالا وان ينسب الي
الغلول • ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة • يات بالذي غله يحمله علي عنقه
يوم القيامة كما جا في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه • ثم توفي كل نفس ما
كسبت • يعطي جزا ما كسبت وافيا وكان اللايق لما قبله ان يقال ثم يوفي ما
كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان علي المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان
كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولي • وهم لا يظلمون • فلا ينقص
ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم • افمن اتبع رضوان الله • بالطاعة
كمن باء • رجع • بسخط من الله • بسبب المعاصي • وماواه جهنم وبيس المصير • الفرق
بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولي ولا كذلك المرجع • هم
درجات عند الله • شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات • والله بصير بما يعملون • عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم علي حسبها • لقد من الله علي المومنين • انعم علي من امن مع الرسول
من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقري لمن
من الله علي انه خبر محذوف مثل منه او بعثه • اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين علي
حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقري من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه
الصلاة والسلام كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم • يتلوا عليهم اياته •

اي القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع
وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان
كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما
سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى
اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم
ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك
المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة
وعن علي رضي الله تعالى عنه باختياركم الفدا يوم بدر ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم
التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كاين
بقضايه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المومنين وليعلم
الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هولا وكفر هولا
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في
سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او
للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد
المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس
بقتال بل القا بالانفس الى التهلكة او ولو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوا دغلا
واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمومنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون
خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول للافواه
تاكيد وتصغير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه

وكلامهم هذا فانهما اولا امارات ظهرت منهم
موذنة بكفرهم وقيلهم لاهل الكفر اقرب نصرة
لاهل الايمان اذ كان انخزالهم . صح صح

يعلمه

يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو
يكتمون او نصب على الذم والوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم
احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن
القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقراها شم ما قتلوا
بتشديد التا قل فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عن من كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه
فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان
القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهدا احد وقيل في شهدا
بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقراها شم باليا
وبالتا ايضا كالباقين على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين
قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جاز الحذف عند القرينة
وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احيا اي بل هم احيا وقري
بالنصب على بل احسبهم احيا عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة
وهو تاكيد لكونهم احيا فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة
والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون
يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المومنين الذين لم
يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من
امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا
احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل
على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب
البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويويد ذلك قوله تعالى
في ال فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روي بن عباس انه عليه الصلاة

والسلام قال ارواح الشهدا في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا
قال هم احيا يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احيا بالذكر
او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة
واحماد لمن تمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمومنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول
لحال اخوانهم وهذا لحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة
عليه لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله
لا يضيع اجر المومنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي
بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر
بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح صفة للمومنين او نصب على المدح او مبتدا خبره
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر
الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحا ندموا وهموا بالرجوع فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن
معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمرا
الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم
حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين
قال لهم الناس يعني الركب الذي استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود
الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال واطلق عليه الناس لانه من
جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه
روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت
فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل

مر الظهران

مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد القيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن
مسعود وقد قدم معتمرا فساله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم
فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد
اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي
نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا
الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به
نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل
ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية
عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين
يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا
من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة
تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا
فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل
ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم
سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير
الدارين بجراتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراة
على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع من ضمان الاجر حتى انقلبوا
بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما
فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون
الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس

يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو
سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاوليا على
الثاني وخافوني في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مومنين فان
الايمان يقتضي ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم
ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله
انهم لن يضروا الله شيا اي لن يضروا اوليا الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيا يحتمل المفعول والمصدر وقرا نافع يحزنك بضم اليا وكسر الزا
حيث وقع ما خلا قوله في الانبيا لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه على فتح اليا وضم
الزاي فيه والباقون كذلك في الكل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة
نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر
وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا
يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون
لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد وتعميم
للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول ولكل من يحسب
والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل
على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملا
خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملا خير لانفسهم وما مصدرية
فكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير
وابو عمرو وعاصم والكساي ويعقوب باليا على ان الذين فاعل وان مع ما في
حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة والاملا
الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املا لفرسه اذا ارخى له الطول

ليرعى كيف شا انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها
وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرى انما بالفتح
وبكسر الاولى ولا يحسبن باليا على معنى ولا تحسبن الذين كفروا ان املانا لهم
لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض
معناه ان املانا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم
عذاب مهين ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المسلمين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي
الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبرون عليها ولا يذعن لها
الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فيختبر به
بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وقرا حمزة والكساي حتى يميز هنا وفي
الانفال بضم اليا وفتح الميم وكسر اليا وتشديدها والباقون بفتح اليا وكسر الميم
وسكون اليا وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشا وما
كان الله ليوتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكنه يجتبي
لرسالته من يشا فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها
فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموا انه وحده مطلعا على الغيب
وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى ولا يقولون الا ما اوحي
اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر
فنزلت وعن السدي انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على امتي واعلمت من
يومن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يومن به ومن يكفر
ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تومنوا حق الايمان وتتقوا النفاق
فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم القراات فيه ما سبق من قرا باليا قدر مضافا ليطابق مفعولاه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا باليا ان جعل الفاعل

ضمير الرسول ومن يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة
يبخلون عليه اي ولا تحسبن البخلا خلهم هو خيرا لهم • بل هو • اي البخل • شر لهم
لاستجلاب العقاب عليهم • سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة • بيان لذلك
والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام
ما من رجل لا يودي زكاة ماله الا جعل الله تعالى له شجاعا في عنقه يوم القيامة
• ولله ميراث السموات والارض • وله ما فيهما مما يتوارث فما لهولا يبخلون
عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة • والله بما تعملون • من المنع
والاعطا • خبير • فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
بالتا على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد • لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنيا • قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
روي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتا الزكاة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو
بكر في وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه
اعد لهم العقاب عليه • سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا بغير حق • اي سنكتبه
في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر
بالله او استهزا بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبيا وفيه تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترا على قتل الانبيا لم يستبعد منه
امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب باليا وضمها وفتح التا وقتلهم بالرفع
ويقول باليا • ونقول ذوقوا عذاب الحريق • اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى
الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه

لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك اكثر ذكر الاكل مع المال
• ذلك • اشارة الى العذاب • بما قدمت ايديكم • من قتل الانبيا وقولهم هذا
وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن • وان الله ليس
بظلام للعبيد • عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي
الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسي • الذين قالوا
هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا • ان الله عهد
الينا • امرنا في التوراة واوصانا • ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار • بان لا نومن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي
كانت لانبيا بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعوا
فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم
واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو
وساير المعجزات شرع في ذلك • قل قد جاكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي
قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين • تكذيب والزام بان رسلا جاوهم
قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن
الايمان لاجله فما لهم لم يومنوا بمن جا به في معجزات اخر واجترءوا على قتله
• فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات والزبر والكتاب
المنير • تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرت الشي اذا حسنته والكتاب في عرف القران
ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جا الكتاب والحكمة متعاطفين في
عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا
ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة
للبينات بالذات • كل نفس ذائقة الموت • وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وقرى ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه لقوله ولا ذاكر الله الا
قليلا • وانما توفون اجوركم • تعطون جزا اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا

يوم القيامة، يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبور روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار، فمن زحزح عن النار، بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة، وادخل الجنة فقد فاز، بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله وباليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه، وما الحياة الدنيا، اى لذاتها وزخارفها، الا متاع الغرور، شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى تشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار، لتبلون، اى والله لتختبرن، في اموالكم، بتكليف الانفاق وما يصيبه من الافات، وانفسكم، بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب، ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا، من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال فيستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها، وان تصبروا، على ذلك، وتتقوا، مخالفة امر الله، فان ذلك، يعني الصبر والتقوى، من عزم الامور، من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله تعالى عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الامر لامضائه، واذ اخذ الله، اى اذكروا وقت اخذه، ميثاق الذين اوتوا الكتاب، يريد به العلماء، لتبيننه للناس ولا تكتمونه، حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب، فنبذوه، اي الميثاق، وراء ظهورهم، فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه، واشتروا به، واخذوا بدله، ثمنا قليلا، من حطام الدنيا واعراضها، فبئس ما يشترون، يختارون

لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما اخذ الله تعالى على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا، لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا تحسبن بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوف دل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول، ولهم عذاب اليم، بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة، ولله ملك السموات والارض، فهو يملك امرهم، والله على كل شيء قدير، فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير، ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب، لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم

في هذه الاية

ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم • اي يذكرونه
دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين ومضطجعين وعنه صلى الله عليه وسلم
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وقيل معناه يصلون على
الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن
حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب توميا
وهو حجة الشافعي رضي الله تعالى عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه
الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه • ويتفكرون في خلق السموات والارض •
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا
عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة
والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال
اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهو دليل
واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله • ربنا ما خلقت هذا باطلا • على ارادة القول
اي يتفكرون قايلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد
به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته
عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال
الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك • سبحانك • تنزيها لك
من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض • فقنا عذاب النار • للاخلال بالنظر فيه
والقيام بما يقتضيه وفايدة الفا هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات
والارض حملهم على الاستعاذة • ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته • فقد اخزيته
غاية الاخزا ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل
المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب
الروحاني افظع • وما للظالمين من انصار • اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في
الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصر نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر • ربنا اننا

افظع

سمعنا مناديا ينادي للايمان • اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة
وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي
واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القران والدعا
والندا ونحوهما يعدي بالى واللام لتضمنهما معنى الانتها والاختصاص • ان امنوا
بربكم فامنا • اي بان امنوا فامتثلنا • ربنا فاغفر لنا ذنوبنا • كبايرنا فانها
ذات تبعة • وكفر عنا سياتنا • صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن
مجتنب الكباير • وتوفنا مع الابرار • مخصوصين بصحبتهم معدودين في
زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقا الله تعالى ومن احب لقا الله احب
الله لقاه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب • ربنا واتنا ما وعدتنا
على رسلك • اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله
لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعو
دين بسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على
بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه
على السنة رسلك • ولا تخزنا يوم القيامة • بان تعصمنا عما يقتضيه
• انك لا تخلف الميعاد • باثابة المومن واجابة الداعي وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال
والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى مما يخاف • فاستجاب لهم ربهم • الى طلبتهم
وهو اخص من اجاب وتعدي بنفسه الى مفعولين وباللام • اني لا اضيع
عمل عامل منكم • اي باني لا اضيع وقري بالكسر على ارادة القول • من ذكر او
انثى • بيان عامل • بعضكم من بعض • لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او
لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في
الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النسا مع الرجال فيما وعد للعمال
روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت • فالذين هاجروا • الى اخره تفصيل

لاعمالهم وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين
هاجروا الشرك والاوطان والعشاير للدين • واخرجوا من ديارهم واوذوا في
سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله • وقاتلوا الكفار • وقتلوا في الجهاد
وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل اولان
المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر
قتلوا للتكثير • لاكفرن عنهم سياتهم • لامحونها • ولادخلنهم جنات تجري من
تحتها الانهار ثوابا من عند الله • اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا
منه فهو مصدر موكد • والله عنده حسن الثواب • على الطاعات قادر عليه
• لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد • الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او
لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة
المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر
بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض
المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما
نري من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت • متاع قليل • خبر مبتدا
محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين
قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في
اليم فلينظر بم يرجع • ثم ماواهم جهنم وبيس المهاد • اي ما مهدوا لانفسهم
• لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند
الله • النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي
• وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • وانتصابه
على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير نزلوها
نزلا • وما عند الله • لكثرته ودوامه • خير للابرار • مما يتقلب فيه الفجار
لقلته وسرعة زواله • وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله • نزلت في ابن سلام
واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشه وثمانية من

الروم

الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين
ان بالظرف • وما انزل اليكم • من القران • وما انزل اليهم • من الكتابين • خاشعين
لله • حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار المعنى • لا يشترون بايات الله ثمنا
قليلا • كما يفعله المحرفون من احبارهم • اولئك لهم اجرهم عند ربهم • ما خص
بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين • ان الله
سريع الحساب • لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزا واستغنايه عن
التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة
الحساب تستدعي سرعة الجزاء • يا ايها الذين امنوا اصبروا • على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدايد • وصابروا • وغالبوا اعدا الله في الصبر على
شدايد الحروب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته • ورابطوا • ابدانكم وخيولكم في الثغور
مترصدين للعدو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من
الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر رمضان لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة

وقيامه

• واتقوا الله لعلكم تفلحون • فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية
الفلاح واتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المترتبة
التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة
السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة
والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها
امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التي يذكر
فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملايكته حتى تحجب الشمس

سورة النسا

مدنية وهي مايه وخمسة وسبعون اية • بسم الله الرحمن الرحيم
• يا ايها الناس • خطاب يعم بني ادم • اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة •

هي ادم وخلق منها زوجها عطف علي خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه
امكم حوي من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها
زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان
لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها
بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا علي الجمع وترتيب الامر بالتقوى علي هذه
القصة لما فيها من الدلالة علي القدرة الظاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل
بحقوق اهل منزله وبني جنسه علي ما دل عليه الايات التي بعدها وقرى وخالق
وباث علي حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به
اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التا
الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكساي بطرحها والارحام بالنصب
عطف علي محل الجار والمجرور لقولك مررت بزيد وعمرا او علي الله اي اتقوا الله
واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا علي الضمير المجرور
وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقري بالرفع علي انه مبتدا محذوف الخبر تقديره
والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه
علي ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا
حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي
مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما علي انه لما جرى مجرى
الاسما كفارس وصاحب جمع علي يتايم ثم قلب فقيل يتامى او علي انه جمع علي يتمى
كاسرى لانه من باب الافات ثم جمع يتمى علي يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه علي الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود في
الاية اما للبلغ علي الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا الي ان يدفع
اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد

ولذلك

[illegible]

ولذلك امر بابتلايهم صغارا او لغير البلوغ والحكم مقيد وكانه قال وآتوهم اذا
بلغوا ويويد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم
فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام
من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اكل الاموال بالامر الطيب
الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانه
[illegible] التبدل والتبديل بمعنى والتبدل معا ولا تاكلوا اموالهم الي اموالكم ولا تاكلوها
مضمومة الي اموالكم اي ولا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذلك
حرام وهو فيما زاد علي قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل
كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقري حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا
وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان
خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من
غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع
عنده منهن عدد ولا يقدر علي القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا
يمكنكم الوفا بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها علي ما
روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من
تكثير النسا واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا
يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا
فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الي الصفة واجرايهن مجرى غير العقلا
لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقري تقسطوا بفتح التا علي
ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة من اعداد
مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع غير منصرف للعدل والصفة
فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل للتكرير والعدل فانها
معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة علي الحال من فاعل طاب ومعناها

الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت
كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب
تجويز الاختلاف في العدد • فان خفتم ان لا تعدلوا • بين هذه الاعداد ايضا
فواحدة • فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل
محذوف او خبر تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة • او ما ملكت
ايمانكم • سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن
وعدم وجوب القسم بينهن • ذلك • اي التقليل منهن او اختيار الواحدة
او التسري • ادنى ان لا تعولوا • اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال
الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر
عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المون على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله
ولعل المراد بالعيال الازواج وان يريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة
الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيهن كتزوج الواحدة بالاضافة الى
تزوج الاربع • وآتوا النساء صدقاتهن • مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون
الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة • نحلة • عطية يقال نحله كذا
نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بعض بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في
معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او
منحولة وقيل المعنى نحلة من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من
الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول
له او حال من الصدقات اي دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم • فان طبن لكم عن شيء منه نفسا •
الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله

كانه

كانه في الجلد توليع البهق • او ردت كان ذلك وقيل للآيتا ونفسا تمييز لبيان الجنس
ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة
طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن
على تقليل الموهوب • فكلوه هنيئا مريئا • فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء
والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما
او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما تحمد عاقبته وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته
شيئا مما ساق اليها فنزلت • ولا تؤتوا السفهاء اموالكم • نهي للاولياء عن ان يؤتوا
الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في
تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل
احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى
ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا بجعلهم قواما على
انفسهم وهو اوفق لقوله • التي جعل الله لكم قياما • اي تقومون بها وتتعيشون
وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما
للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقوم به • وارزقوهم
فيها واكسوهم • واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا
من نفعها ما تحتاجون اليه • وقولوا لهم قولا معروفا • عدة جميلة تطيب بها
نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما
لقبحه • وابتلوا اليتامى • اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين
والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند
ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه • حتى اذا بلغوا النكاح • حتى اذا بلغوا
حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة
والسلام اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وما عليه واقيمت
عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ
لانه يصلح للنكاح عنده • فان آنستم منهم رشدا • فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ

احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم
الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلا
وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم مالم يونس منهم الرشد وقال
ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير
الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويومر بالعبادة دفع المال اليه وان لم يونس الرشد
ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او
لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان
فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلاة
والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير
متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل
على انه نهي للاوليا ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب
الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار
عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا
تخالفوا ما امرتم به ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين
بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على المصدرية موكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا
نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على
ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت
الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة
او قتادة وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر
ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله تعالى قد جعل
لهن نصيبا ولم يبين حتى تبين يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم وهو دليل جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولو
القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا
من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة
وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا
عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصيا
بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصا بان يخشوا ربهم او ان
يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم ولا يتركوه
ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفا
الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم
ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي
ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا
الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو نهاية الخشية بعد
ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم
ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم في الشفقة وحسن الادب او للمريض
ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضر القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية
ما لا يودي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما

خالدين او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم ملئ بطونهم نارا ما يجر الى النار
ويؤول اليها وعن ابي بردة انه قال عليه الصلاة والسلام يبعث الله تعالى قوما من
قبورهم تاجج افواههم نارا قيل من هم قال الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم اليا مخففا وقرئ
به مشددا تقول صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته
فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم
ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر
بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف
للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
للعلم به فان كن نسا اي ان كان الاولاد نسا خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنسا اي
نسا زايدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان
كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على ان
كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى
جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين
ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان
فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله
فان كن نسا فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع
اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثان بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت
لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفايدته التنصيص على استحقاق كل منهما
السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد السدس مما ترك ان كان له ولد ذكر
او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا

بمعنى

التنصيص

بالفريضة

بالعصوبة

بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما
لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم
ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث
معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله
ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس فاطلاقه يدل على
ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس
انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد
ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال
ابن عباس رضي الله عنهما لا تحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات
الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة
التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
كلها اي هذه الانصبا للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي
للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة
مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة
بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي
ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع
بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضا وصيته او من
لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض موكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة
من الله مصدر موكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم
ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث

من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان
لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق
الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في
الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي
الواحدة والعدد منهن في الثمن والربع وان كان رجل اي ميت يورث اي يورث
منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير
فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة
الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس
بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني
الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به
وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فَاٰلَيْتُ لَا اَرْثِي لَهَا مِن كَلَالَةٍ
فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف
بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة
عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على
تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك
وله اخ او اخت من الام وانه ذكر اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة
الكل وهو لا يليق باولاد الام وانما قدرها هنا فرض الام فناسب ان يكون
لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث
سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية
انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار
لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار
بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصي المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه
بقوله يوصي على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم

وصية

وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ
غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه
بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب
والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام
التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي
كالحدود المحدودة التي لا يجوز مخالفتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله
وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا
صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها
وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين
تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت
واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او
يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد
ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كي لا يجري
عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله
الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني
عن السفاح واللذان ياتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرا ابن كثير واللذانّ
بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما
بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما
فاقطعوا عنهما الايذاء واعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا

مجاوزتها

وكان عقوبة الزناة الاذي ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في
اللواطين والزانية والزاني في الزناة • انما التوبة على الله • اي ان قبول التوبة
كالمحتوم على الله بقضا وعده ومن تاب الله عليه اذا قبل توبته • للذين يعملون السوء
بجهالة • ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل
من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته • ثم يتوبون من قريب • من زمان قريب
اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه
الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة
قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يتشرب في قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من
الزمان القريب الذي هو قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او قرين السوء ۞
فاولئك يتوب الله عليهم • وعد بالوفا لما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما
التوبة على الله • وكان الله عليما • فهو يعلم باخلاصهم في التوبة • حكيما • والحكيم لا
يعاقب التائب • وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار • سوى بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة
للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولاء وعدم توبة
هولاء سوا وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار
• اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما • تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعدد لهم
لا يعجزه عذابهم متى شا والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تا • يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها • فان
الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شا تزوجها
بصداقها الاول وان شا زوجها غيره واخذ صداقها وان شا عضلها لتفتدي بما
ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث
فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم

في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه • ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن • عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن
من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب
مع الازواج كانوا يحبسون النسا من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن
بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
• الا ان ياتين بفاحشة مبينة • كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف
والاستثنا من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتدا
الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقرا
ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة في الاحزاب والطلاق بفتح اليا والباقون
بكسرها فيهن • وعاشروهن بالمعروف • بالانصاف في الفعل والاجمال في
القول • فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا • اي
فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب
ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل
علة الجزا فاقيم مقامه والمعنى ان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا
وهو خير لكم • وان اردتم استبدال زوج مكان زوج • تطليق امراة وتزوج
اخرى • واتيتم احداهن • اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج
الجنس • قنطارا • مالا كثيرا • فلا تاخذوا منه شيا • اي من القنطار • اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا • استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين
ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب
بهتانهم واقترافهم الماثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته
بفاحشة حتى يلجيها الى الافتدا منه بما اعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة
فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل
في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم • وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض • انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر • واخذن منكم ميثاقا غليظا • عهدا وثيقا وهو حق الصحبة

والممازجة اوما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان اوما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله • ولا تنكحوا ما نكح اباوكم • ولا تنكحوا التي نكحها اباوكم
وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من
المصدر • من النسا • بيان ما نكح على الوجهين • الا ما قد سلف • استثنا من المعني
اللازم للنهي وكانه قيل يستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباوكم الا ما قد سلف قبل نزول الاية
اومن اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتايب • والمعنى لا تنكحوا حلايل ابايكم الا ما قد سلف
ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثنا منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه
لا مواخذة عليه لا انه مقرر • انه كان فاحشة ومقتا • علة للنهي اي ان نكاحهن
كان فاحشة عند الله تعالى ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات
ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي • وسا سبيلا • سبيل من يراه ويفعله
• حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت • ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد
منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة
ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم بعم من ولدتك او ولدت من ولدك
وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم
الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد
ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى • وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة • نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما
والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي
در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
واستثنا اخت ابن الرجل وام اخته من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في
النسب بالمصاهرة دون النسب • وامهات نسايكم وربايبكم اللاتي في حجوركم

من نسايكم اللاتي دخلتم بهن • ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة
كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربايب
جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب
الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التا لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة
لها مفيدة اللفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات
ايضا لان من اذا علقتها بالربايب كانت ابتدايية فان علقتها بالامهات لم يجز
ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسايكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند
جمهور الادبا اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله • فاني لست منك ولست مني
على معنى ان امهات النسا وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه
وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا
باس ان تتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلما غير انه
روي عن علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول
الثاني صفة للنسايين لان عاملهما مختلف وفايدة قوله في حجوركم تقوية
العلة وتكميلها والمعنى ان الربايب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم
او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقا بان تجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلما وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه
جعله شرطا والامهات والربايب متنا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم
بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويوثرها اليس زنا كالوطي بشبهة
او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول • فان لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم • تصريح بعد اشعار دفعا للقياس • وحلايل ابنايكم • زوجاتهم
سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج • الذين من اصلابكم • احتراز عن
المتبنيين لا عن ابنا الولد • وان تجمعوا بين الاختين • في موضع الرفع عطفا على
المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة
كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي
الله تعالى عنهما حرمتهما اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما

ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان اية التحريم
مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا
غلب الحرام • الا ما قد سلف • استثنا غير لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد
سلف مغفور لقوله • ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النسا • ذوات
الازواج لحصنهن التزويج او الازواج وقرا الكساي بكسر الصاد في جميع القران
عن هذا الحرف لانهن احصن فروجهن • الا ما ملكت ايمانكم • يريد ما ملكت
ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع
بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع
عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه
عنى الفرزدق بقوله • وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق •
وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية
والحديث حجة عليه • كتاب الله عليكم • مصدر موكد اي كتب الله عليكم تحريم
هولا كتابا وقري كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وكتب الله
بلفظ الفعل • واحل لكم • عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا
حمزة والكساي وحفص عن عاصم على البنا للمفعول عطفا على حرمت • ما وراء ذلكم •
ما سوي المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كساير محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها • ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين • مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا
باموالكم الصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين
ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قال ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين
غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر
لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن
اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه • فما
استمتعتم به منهن • فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من
جماع او عقد عليهن • فاتوهن اجورهن • مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع

فريضة

فريضة • حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتا مفروضا
او مصدر موكد • ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة • فيما تزاد على
المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او من مقام او من فراق
وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي
انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم
بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح
الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها
بما يعطي وجوزها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع عنه • ان الله كان عليما •
بالمصالح • حكيما • فيما شرع من الاحكام • ومن لم يستطع منكم طولا • غنا واعتلا
واصله الفضل والزيادة • ان ينكح المحصنات المومنات • في موضع نصب بطولا
او بفعل يقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعلي نكاح المحصنات او ومن
لم يستطع غنا يبلغ به نكاح المومنات يعني الحراير لقوله • فمما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المومنات • يعني الاما المومنات وظاهر الاية حجة للشافعي رضي
الله تعالى عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح
الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه طول المحصنات بان
يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل
كما حمل عليه في قوله المحصنات المومنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد
وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المومنة حذرا من مخالطة
الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان
حق الزوج • والله اعلم بايمانكم • فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسراير
او بتفاضل ما بينكم من الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا
فضل الايمان لا فضل النسب والمراد هنا تانيسهم بنكاح الاما ومنعهم عن
الاستنكاف عنه ويويده • بعضكم من بعض • انتم وارقاوكم متناسبون نسبكم
من ادم ودينكم الاسلام • فانكحوهن باذن اهلهن • يريد اربابهن واعتبار اذنهم
مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية

وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره
او الي مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان
يودي اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الي الظاهر بالمعروف بغير مطل
واضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح
ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر وحمزة
والكساي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة
زنا فعليهن نصف ما علي المحصنات يعني الحراير من العذاب من الحد لقوله
وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين وهو يدل علي ان حد العبد نصف حد
الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاما لمن خشي العنت
منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار
لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من موافقة الاثم بالحش القبايح وقيل المراد
به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاما وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح
الاما متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحراير صلاح البيت والاما
هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم
به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين
مفعول يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في
قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود
وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن
الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب
عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الي ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم علي التوبة
او الي ما يكون كفارة لسياتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان
يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني
الفجرة فان اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الي ميل
من اقترف خطيئة علي ندور وغير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك
شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال

لا تمادي لها والمتعاطي لما سوغه الشرع
منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة
لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم
يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا
ميلا بموافقتهم علي اتباع الشهوات صح صح

نكاح

نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
الطاعات وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ثماني ايات في سورة النساء هن
خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن
يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم استثنا منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا
كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين
وتخصيص التجارة من الوجوه التي يحل بها تناول مال الغير لانها اغلب وارفق
لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع
عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون
تجارة بالنصب علي كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة
تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقا النفس الي
التهلكة ويويده ما روي ان عمرو بن العاصي تاوله في التيمم لخوف البرد فلم
ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يودي الي قتلها او باقتراف
ما يذلها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان
من اهل دينهم فان المومنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال
الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقا لهم ريثما تستكمل النفوس
وتستوفي فضايلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما
اي امر ما امر ونهي ما نهي لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما
لما امر بني اسرايل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الي القتل
او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا
بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي علي الغير وبالظلم ظلم النفس
بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقري بالتشديد
من صلي وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير

بقوله لا تاكلوا اموالكم

س

ولذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه
ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله
ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سياتكم نغفر لكم صغائركم
ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
حدا وصرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل
مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هاهنا انواع
الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر
الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر
الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران
منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر ما ارتكبه
لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص
والاحوال الا يرى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره
خطيئة فضلا ان يواخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب
او ادخالا مع كرامة وقرا نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان
والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه
والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي
معربة عن عدم الرضى بما قسم الله تعالى وانه تشبه بحصول الشي له من غير
طالب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له
بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال
والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا
بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد
نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على

حسب

حسب ما اعترف له من حاله الموجب للزيادة والنقص كالمكتسب له واسالوا الله
من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله تعالى مثله من خزائنه التي لا تنفد
وهو يدل على ان المنهي عنه هو الحسد او لا تتمنوا واسالوا الله من فضله بما
يقربه ويسوقه اليكم وقرا ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم
فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو وفا بغير همز
وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شي عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة
قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا
كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل
تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل
او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث
وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه
خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل
قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي
صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين
عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رضي الله تعالى
عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او
الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فاتوهم
نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف
على الوالدين وقوله فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة موكدة لها والضمير
للموالي وقرا الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف المعهود
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان
الله كان على كل شي شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء
يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال

بما فضل الله بعضهم علي بعض بسبب تفضيله الرجال علي النسا بكمال العقل وحسن
التدبير ومزيد القوة في الاعمال الطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولا
واقامة الشعاير والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما
والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من
اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقبا الانصار
نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها
الي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكي فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله تعالي امرا والذي اراد الله
تعالي خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قايمات بحقوق الازواج
حافظات للغيب لمواجب الغيب اي تحفظن في غيبة الازواج ما تجب حفظه
في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النسا امراة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا
الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر علي حفظ الغيب
والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من
المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقري بما حفظ الله بالنصب
علي ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم تكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي
حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون
نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن اطاعة الازواج من النشز فعظوهن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يدرج فيها فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذا والمعنى فازيلوا عنهن التعرض
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان
عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم علي من تحت ايديكم او انه علي علو شانه
يتجاوز عن سياتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالي ويتكبر

ان يظلم

ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها
اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الي الظرف
اما لاجرايه مجري المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك
صايم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه
عليكم حالهما ليتبين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح
من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا
علي وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات
واستدل به علي جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين
الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا
ان وجد الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين
الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما
ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع
الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله
تعالي مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا صنما او غيره او شيا من الاشراك
جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربي
وبصاحب القرابة واليتامي والمساكين والجار ذي القربي الذي قرب جواره
وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقري بالنصب علي الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة
والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق
الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو
المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل
المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاما ان الله لا يحب من كان

مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم • فخورا يتفخر
عليهم • الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل • بدل من قوله من كان او نصب على
الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما
منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكساي هاهنا وفي الحديد بالبخل
بفتح الحرفين وهي لغة • ويكتمون ما اتاهم الله من فضله • الغنى والعلم فهما بكل
ملامة • واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان
من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله تعالى ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفا والاية نزلت في طايفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين
يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم • والذين ينفقون اموالهم ريا الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط
سوا في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله •
ومن يكن الشيطان • ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر • ليتحروا بالانفاق
مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون • ومن يكن الشيطان
له قرينا فسا قرينا • تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم
لقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة
والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار • وما
ذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله • اي وما الذي عليهم
او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على
الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشي على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر
لطلب الجواب لعله يودي بهم الى العلم بما فيه من الفوايد الجليله والعوايد الجميلة
وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا
تضمن المنافع وانما قدم الايمان هاهنا واخره في الاية الاخرى لان القصد
بذكره الى التخصيص هاهنا والتعليل ثمة • وكان الله بهم عليما • وعيد لهم • ان الله

لا يظلم

لا يظلم مثقال ذرة • لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شي كالذرة وهي
النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهبا والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره
ايما الى انه وان صغر قدره عظم جزاوه • وان تك حسنة • وان تك مثقال
الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مونث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العله وقرا ابن كثير ونافع حسنة
بالرفع على كان التامة • يضاعفها • يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى • ويوت من لدنه • ويعط صاحبها من عنده على
سبيل التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل • اجرا عظيما • عطا جزيلا وانما
سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه • فكيف • فكيف حال هولا الكفرة من اليهود
وغيرهم • اذا جينا من كل امة بشهيد • يعني نبيهم يشهد على فساد عقايدهم
وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم
الشان • وجينا بك • يا محمد • على هولا شهيدا • تشهد على صدق هولا الشهدا
لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هولا اشارة الى
الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المومنين لقوله لتكونوا شهدا على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا • يوميذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو
تسوى بهم الارض • بيان لحالهم حينيذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى
او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سوا • ولا يكتمون الله حديثا •
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم وتشهد
عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع
وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التا في السين وحمزة والكساي
تسوى على حذف التا الثانية يقال سويته فتسوى • يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون • اي لا تقربوا اليها وانتم سكارى

من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف
صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاءت وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي فقرأ اعبد ما تعبدون
فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران
عن قربان الصلاة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهي السد
وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى
وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة
في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا
استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر
وذلك اذا لم يجد الماء ويتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا
اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة
بمواضعها فسر عابري السبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال
الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يجوز له المرور
في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القرب حال
الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي
نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى تخافون معه من استعمال الماء فان الواجد
له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء
احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع
المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه
استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن
وقرا حمزة والكسائي هاهنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من
الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه
هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية في غالب
الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر

وذلك

ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات او ما يحدث بالعرض واستغني عن تفصيل
احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او
على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض
طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به
اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من للابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم
من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلاة
والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد
هاهنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب
وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون
الرشا ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل
الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هولاء وما يريدون بكم فاحذروهم
فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه
واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما
اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم
منه او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم
يحرفون الكلم اي يميلونها عن مواضعها التي وضعها الله تعالى فيها بازالتها عنها
واثبات غيرها فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله فيه وقرئ
الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت

اي الامم

اواسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبوا عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا ♦ وراعنا ♦ انظرنا نكلمك او ما نفهم كلامك ♦ ليا بالسنتهم ♦ فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المتشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعا والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا ♦ وطعنا في الدين ♦ استهزا به وسخرية ♦ ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ♦ ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه ♦ لكان خيرا لهم واقوم ♦ لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ♦ ولكن لعنهم الله بكفرهم ♦ ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدي بسبب كفرهم ♦ فلا يومنون الا قليلا ♦ الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى للمهم يصيبه ♦ او الا قليلا منهم امنوا او سيومنون ♦ يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها ♦ من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفا او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جات منه وهي اذرعات الشام يعني اجلا بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الروسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغا الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة ♦ او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ♦ او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجها وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد

به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طايفة ♦ وكان امر الله ♦ بايقاع شي او وعيده او ما حكم به وقضى به ♦ مفعولا ♦ نافذا او كاينا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تومنوا به ♦ ان الله لا يغفر ان يشرك به ♦ لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ♦ ويغفر ما دون ذلك ♦ اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا ♦ لمن يشا ♦ تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشا وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشا وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعلق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ♦ ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ♦ ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب والافترا كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ♦ الم تر الى الذين يزكون انفسهم ♦ يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابنا الله واحباوه وقيل ناس من اليهود جاوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هولا ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها ♦ بل الله يزكي من يشا ♦ تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المومنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ♦ ولا يظلمون ♦ بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق ♦ فتيلا ♦ ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة ♦ انظر كيف يفترون على الله الكذب ♦ في زعمهم انهم ابنا الله وازكيا عنده ♦ وكفى به ♦ بزعمهم هذا او بالافترا ♦ اثما مبينا ♦ لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم ♦ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا

فتراء

من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة
الاصنام ارضي عند الله تعالي مما يدعونا اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي
ابن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الي مكة يحالفون قريشا
علي محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب واقرب الي محمد
منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمين اليكم ففعلوا والجبت
في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو
الذي لا خير فيه فقلبت سينه تا والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره
ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هولاء اشارة اليهم اهدى من الذين
امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من
الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يوتون الناس نقيرا اي لو
كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في
ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك
فما ظنك بهم اذا كانوا اذلا متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك علي الكناية وانهم لا يوتون الناس شيا واذا اذا وقع بعد
الواو والفا لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغا والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا
يوتوا علي النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد
الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر
الرذايل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابراهيم الذين
هم اسلاف محمد وابنا عمه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد
ان يوتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم من اليهود من امن به بمحمد او بما ذكر من حديث ال
ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يومن به وقيل معناه فمن ال ابراهيم من امن به

ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هولا امرك وكفى بجهنم
سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم
من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير
لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه
على صورة اخرى لقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود
احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق
له مكانه جلد اخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها
فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المومنين ووعدهم لان الكلام فيهم
وذكر المومنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا
لا جوب فيه ودايما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الي النعمة التامة الدايمة
والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى
ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علي يده
واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله تعالى ان
يرده اليه فامر عليا بان يرده اليه ويعتذر اليه فصار ذلك سببا لاسلامه ونزل
الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي
وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم
شيا يعظكم به او نعم الشي الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او
مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات
والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون

في الامانات • يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم • يريد
بهم امرا المسلمين في عهد الرسول وبعده فيندرج فيهم الخلفا والقضاة وامرا السرية
امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على وجوب طاعتهم ما داموا
على الحق وقيل علما الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم • فان تنازعتم • انتم واولوا الامر منكم • في شي • من امور
الدين وهو يويد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف
الروس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات • فردوه الى الله •
فراجعوا فيه الى كتابه • والرسول • بالسوال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته
بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب
والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون
بالتمثيل والبنا عليه وهو القياس ويويد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله
وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس • ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر • فان
الايمان يوجب ذلك • ذلك • اي الرد • خير • لكم • واحسن تاويلا • عاقبة او احسن
تاويلا من تاويلكم بلا رد • الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت • عن ابن عباس ان منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن
الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض
المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يرض بقضايه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد
وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضا الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة
والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب
ابن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويوثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه
او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل

عليه كما قال • وقد امروا ان يكفروا به • ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا • وقري
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى اولياوهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول • وقري تعالوا بضم اللام على انه حذف
لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير • رايت المنافقين يصدون عنك
صدودا • هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه
غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال • فكيف • يكون حالهم
اذا اصابتهم مصيبة • كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى • بما قدمت ايديهم •
من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك • ثم جاوك • حين يصابون للاعتذار
عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض • يحلفون بالله • حال
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا • ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جا اصحاب القتيل طالبين
بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين
خصمه • اوليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم • من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان
والحلف الكاذب من العقاب • فاعرض عنهم • اي عن عقابهم لمصلحة في استبقايهم
او عن قبول معذرتهم • وعظهم • بلسانك وكفهم عما هم عليه • وقل لهم في انفسهم •
اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع • قولا بليغا • يبلغ منهم
ويوثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة بالترغيب والترهيب
وذلك مقتضى شفقة الانبيا وتعليق الظرف ببليغا في انفسهم موثرا فيها
ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي
يطابق مدلوله المقصود به • وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله • بسبب
اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بانهم يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان
الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان
ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالة
ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل • ولو انهم اذ ظلموا انفسهم • بالنفاق
او التحاكم الى الطاغوت • جاوك • تايبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به

فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من
حق الرسول ان يقبل اعتذار التايب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان
يشفع في كباير الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا
عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدل منه او حالا ان
من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتوكيد القسم لا لتظاهر لا
في قوله لا يومنون لانها تزاد ايضا في الاثبات لقوله تعالى فلا اقسم بهذا البلد
حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من
حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا
لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا
بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرايل وان مصدرية او مفسرة لان
كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل
وقرا ابن عامر ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا
بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرا عاصم
وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم
لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير
للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب
على الاستثنا او على معنى الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من
متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم
واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب
اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة
كانا يستقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب

لان كان ابن عمتك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم
احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من
لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت
فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا
مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه
الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ومن يطع الله
والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد
عليها مرافقة اكرم الخلايق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب
منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبيا الفايزون
بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين
صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية
والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشيا واخبروا عنها على ما هي
عليها ثم الشهدا الذي ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا
مهجهم في اعلا كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته
واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهولا اما
ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاولون اما ان ينالوا مع القرب بحيث يكونوا كمن يرى الشي قريبا وهم الانبيا
او لا فيكونون كمن يرى الشي من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون
عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلما الراسخون الذين هم شهدا الله في ارضه
واما ان يكون بامارات واقناعات تطمين اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن
اوليك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه
يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي
ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك

واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت • ذلك • اشارة الى ما للمطيعين من
الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هولا المنعم عليهم ومزيتهم
• الفضل • صفته • من الله • خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى
الاشارة • وكفى بالله عليما • بجزاء من اطاعه ومقادير الفضل واستحقاق اهله
• يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم • تيقظوا واستعدوا للاعدا والحذر والحذر
كالاثر والاثر وما يحذر به كالحزم والسلاح • فانفروا • فاخرجوا الى الجهاد
• ثبات • جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت
متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه • او انفروا
جميعا • مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق
لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات • وان
منكم لمن ليبطئن • الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنين
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطا بمعنى
ابطا وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطا منقولا من
بطو كثقل من ثقل واللام الاولى للابتدا دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن • فان اصابتكم مصيبة • كقتل وهزيمة
• قال • اي المبطئ • قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا • حاضرا فيصيبني ما اصابهم
• ولئن اصابكم فضل من الله • كفتح وغنيمة • ليقولن • اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ
بالضم اللام اعادة للضمير على معنى من • كان لم تكن بينكم وبينه مودة • اعتراض
بين الفعل ومفعوله وهو • يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما • للتنبيه على
ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون
معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين
محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل
بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل بعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى
وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص
عن عاصم وورش عن يعقوب تكن بالتا لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني
محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب
التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت
• فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة • اي الذين يبيعونها
بها والمعنى ان بطا هولا عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في
طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون
والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم • ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نوتيه اجرا عظيما • وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال
وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب
تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين
بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلا الحق واعزاز
الدين • وما لكم • مبتدا وخبر • لا تقاتلون في سبيل الله • حال والعامل فيها ما في
الظرف من معنى الفعل • والمستضعفين • عطف على اسم الله اي وفي سبيل
المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف
المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان
سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واخصها • من الرجال والنسا والولدان • بيان للمستضعفين وهم
المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث
بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعا حتى
شاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاما
وهو جمع وليد • الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها

واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاهم بان يسر
لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى
الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم
حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه
فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على
حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يبلغ بهم الى الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين
ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شي واوهنه الم تر
الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واشتغلوا
بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله اي
يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة
جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى
المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل
اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته
مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف
على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل
الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية
الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت
ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل
سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شي
من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا
يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفا كما
في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون

ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت
على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفها بوصف
فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما
تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما
المراد في الاية وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية
كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد
المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله اي يبسط ويقبض
حسب ارادته فمال هولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به فانهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله تعالى او حديثا ما كبهايم
لا افهام لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيه ليعلموا ان القابض والبا
سط هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله اي تفضلا منه
فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا
انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها
لاجتلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى كل من عند الله فان الكل منه ايجادا
وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت
عايشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة
فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار
بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله
شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في
الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني
فقد احب الله تعالى ومن اطاعني فقد اطاع الله تعالى فقال المنافقون لقد قارف

لقد قارف الشرك وهو نبي عنه ما بريئا لا ان تتخذه ربا كما اتخذت النصارى ۞

عيسى فنزلت • ومن تولى عن طاعته • فما ارسلناك عليهم حفيظا • تحفظ عليهم

اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف

• ويقولون • اذا امرتهم بامر • طاعة • اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب

على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات • فاذا برزوا من عندك • خرجوا • بيت

طائفة منهم غير الذي تقول • زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول

وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت

الشعر او من البيت المبنى لانه يسوي ويدبر وقرا حمزة وابو عمرو بيت طائفة

بالادغام لقربهما في المخرج • والله يكتب ما يبيتون • يثبته في صحائفهم للمجازاة

او جملة ما يوحي اليك لنطلع على اسرارهم • فاعرض عنهم • قلل المبالاة بهم او تجاف

عنهم • وتوكل على الله • في الامور كلها سيما في شانهم • وكفى بالله وكيلا • يكفيك

معرتهم وينتقم لك منهم • افلا يتدبرون القران • يتاملون في معانيه ويتبصرون

ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء • ولو كان من عند غير الله • اي لو كان من كلام

البشر كما تزعم الكفار • لوجدوا فيه اختلافا كثيرا • من تناقض المعنى وتفاوت

النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته وبعضه

تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل

لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقرا لنقصان القوة البشرية ۞

ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في

الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح • واذا جاءهم امر من الامن او الخوف • مما

يوجب الامن او الخوف • اذاعوا به • افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين

اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه

من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم

مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث • ولو ردوه • اي لو ردوا

ذلك الخبر • الى الرسول والى اولى الامر منهم • اي رايه او الى راي كبار الصحابة البصراء

بالامور او الامراء • لعلمه • على اي وجه يذكر • الذين يستنبطونه منهم • يستخرجون

• تدابيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها

فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم

وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى

الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي

يخرج من البئر اول ما تحفر • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بارسال الرسول

وانزال الكتب • لاتبعتم الشيطان • بالكفر والضلال • الا قليلا • الا قليلا منكم

تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة

الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور

• فقاتل في سبيل الله • ان تثبطوا وتركوك وحدك • لا تكلف الا نفسك • الا فعل

نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك

احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه الصلاة والسلام دعى الناس في بدر

الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولم

يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون وعلى بناء الفاعل اي لا نكلف

نكلفك الا فعل نفسك فلا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم لانا لا نكلف احدا

الا نفسك بقوله • وحرض المؤمنين على القتال • اذ ما عليك في شانهم الا التحريض

• عسى الله ان يكف باس الذين كفروا • يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم

الرعب حتى رجعوا • والله اشد باسا • من قريش • واشد تنكيلا • تعذيبا منهم

وهو تقريع وتهديد لمن يتبعه • من يشفع شفاعة حسنة • راعى بها حق مسلم

ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم

قال عليه الصلاة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له

الملك ولك مثل ذلك • يكن له نصيب منها • وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى

الخير الواقع بها • ومن يشفع شفاعة سيئة • يريد بها محرما • يكن له كفل منها •

نصيب من وزرها مساو لها في القدر • وكان الله على كل شيء مقيتا • مقتدرا من

اقات على الشيء اذا اقتدر قال • وذي ضغن كففت الضغن عنه • وكنت على مساءته

مقيتا • اي شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه

وإذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه ولتجب في السلام
ويدل ذلك على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله
المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر
السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما
قال الله تعالى وتلى الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله
وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وحصول
المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان
يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في
الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وقضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل
مصدر حياك الله على الاخبار عن الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل
دعاء فعلت في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على
المتهب وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالى عنه ان الله كان على كل شيء حسيبا
يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر
ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة
او مفضين اليه او في يوم يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم
او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون
احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله
تعالى محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين
ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين
يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتذرين باجتواء المدينة والاشتياق الى

الوطن

الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او
عاملها معنى الفعل كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم
او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرا
حمزة والكسائي باشمام الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم
الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان
تهدوا من اضل الله اي تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى
الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا كما كفروا فتكونون سواء
فتكونون معهم في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا
ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان
تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم
راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة
والسلام وادع وقت خروجه الى مكة ابا عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
من لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد بن مناة او جاءوكم عطف
على الصلة اي الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم
وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين
او على صفة قوم وكانه قال الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن
القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه
صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار
قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاءوكم وقيل صفة
محذوف اي جاءوكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا

قومهم اي عن ان اولان او كراهة ان يقاتلوكم • ولو شاء الله لسلطهم عليكم • بان قوى
قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم • فلقاتلوكم • ولم يكفوا عنكم • فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم • فان لم يتعرضوا لكم • والقوا اليكم السلم • الاستسلام والانقياد
• فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم • ستجدون اخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم • هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا • كلما ردوا الى الفتنة • دعوا الى الكفر
او الى قتال المسلمين • اركسوا فيها • عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب • فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم • وينبذوا اليكم العهد • ويكفوا ايديهم • عن قتالكم • فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم • حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض
• واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا • حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي
لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم • وما
كان لمؤمن • وما صح له وليس من شانه • ان يقتل مؤمنا • بغير حق • الا خطا • فانه على
عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطا او
لا يقتله للعلة الا للخطا او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطا وقيل ما
كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر
والخطا ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا
او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل
غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش
ابن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن ابي انيس في طريق وكان قد اسلم
ولم يشعر به عياش فقتله • ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة • اي فعليه او فواجبه
تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم
موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس
• مؤمنة • محكوم باسلامها وان كانت صغيرة • ودية مسلمة الى اهله • مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة

فان

فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله • الا ان يصدقوا • يتصدقوا عليه بالدية
سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او
الاهل او الظرف • فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة • اي ان كان
المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله
الكفارة دون الدية لاهله لانه لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون • وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة • وان كان
من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الدية والكفارة
ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم • فمن لم يجد • رقبة بان
لم يملكها وما لا يتوصل به اليها • فصيام شهرين متتابعين • فعليه او فالواجب
عليه صيام شهرين • توبة • نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب
الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف
اي فعليه صيام شهرين ذا توبة • من الله • صفتها • وكان الله عليما • بحاله • حكيما •
فيما امر في شانه • ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله
عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما • لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه
مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه
هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او
المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلايل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم • يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله • سافرتم وذهبتم للغزو
فتبينوا • فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا
في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبت • ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام • لمن حياكم

روى من الاخبار الشدايد كقوله عليه السلام والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وتمسك بذلك من القواطع الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لانها قيل من انها في حق المستحل كما هو راى عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روى عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد وعليه يحمل ما روى عن انس ان النبي عليه السلام قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس ان رجلا ساله الا لقاتل المؤمن توبة قال لا وساله آخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا وللاخر كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت له ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت كيلا يقنط

لما بين حكم القتل خطا عقب ذلك ببيان حكم القتل عمدا خلا ان حكمه لم يشرع كما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روى ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله عليه السلام وذكر له القصة فارسل معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم ان يسلم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه مائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة ابو السعود

[illegible]

بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي السلم بغير الف اي الاستسلام
والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مومنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ
مومنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله
الذي هو حطام سريع النفاذ وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل
لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله
كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت
بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار
بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما
فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف
كافر اهون عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب
الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا
تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى
عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول
الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد
مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله
وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي
القاعدون عن الحرب من المومنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي
فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم فوصف
به وقرا نافع والكسائي وابن عامر بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر
على انه صفة للمومنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي
الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال
اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل
الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته

تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة من انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة
لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي
بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او على الحال
بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة
الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل
المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب
على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد
منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا
واجرا على الحال عنها فقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما
جعل لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلهم عند الله تعالى
وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من
جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط
منه رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ
توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك
الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا
مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن
اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض

الله واسعة فتهاجروا فيها الي قطر اخر كما فعل المهاجرون الي المدينة والحبشة فاوليك
ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبران والفا فيه لتضمن
الاسم معني الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملايكة باضمار قد او الخبر فالواو
العايد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة علي الجملة قبلها مستنتجة منها
وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل علي وجوب الهجرة من موضع
لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلي الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض
الي ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنه وكان رفيق ابيه ابراهيم
ونبيه محمد صلوات الله وسلامه عليهما الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان
استثنا منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار
بانهم علي صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا علي الهجرة فلا محيص لهم عنها
وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متي امكنت لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن
المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتدا
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاوليك عسي الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة
الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتي ان المضطر من حقه ان لا
يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا
يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم علي رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في
الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره علي الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعني
ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه
علي سرير متوجها الي المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف الموت فصفق يمينه علي شماله
فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك علي ما بايع عليه رسولك فمات
واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف

ركعتي

ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل علي جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام
اتم في السفر وان عايشة رضي الله تعالي عنها اعتمرت مع رسول الله صلي الله عليه
وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشه
واوجبه ابو حنيفة رضي الله تعالي عنه لقول عمر رضي الله تعالي عنه صلاة السفر
ركعتان تمام غير قصر علي لسان نبيكم ولقول عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت
الصلاة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما تخالف
الاية فان صحا فالاول مول بانه كالتام في الصحة والاجزا والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الي تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم
ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا علي ظنهم ونفي الجناح
فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي
حنيفة وقري تقصروا من اقصر بمعني قصر ومن الصلاة صفة محذوف
اي شيا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية
باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله
تعالي فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد
تظاهرت السنن علي جوازه ايضا في حال الامن وقري من الصلاة ان يفتنكم بغير
ان خفتم بمعني كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم
فاقمت لهم الصلاة تعلق مفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل
الجماعة وعامة الفقها علي انه تعالي علم الرسول كيفيتها لياتم به الايمة بعده
فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طايفة منهم معك فاجعلهم
طايفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطايفة الاخري تجاه العدو
وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون جزما وقيل الضمير للطايفة الاخري وذكر الطايفة
الاولي يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورايكم
يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطبون علي الغايب ولتات طايفة
اخري لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل علي ان الامام

يصلي مرتين بكل طايفة مرة كما فعل صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وان اريد ان
يصلي بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي الامام بالاولي ركعة
وينتظر قايما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي
الاخري فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم
بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي
بالاولي ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازا العدو وتاتي الاخري فتصلي معه
ركعة ويتم صلاته ثم يعود الى وجه العدو وتاتي الاولي فتادي الركعة الثانية
بغير قراة وتتم صلاتها ثم تعود وتاتي الاخري فتودي الركعة بقراة وتتم
صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر الة يتحصن بها الغازي
فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار
والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة
وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها
بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا وعد المومنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجبات
ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر ويتوكلوا على الله تعالى فاذا
قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف
فصلوها كيف امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين فاذا اطماننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا
واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلاة كانت على المومنين
كتابا موقوتا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شي من

الاحوال

الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة
لا يصلي المحارب حتى يطمين ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغا القوم في طلب
الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله
ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين
الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقا
الثواب ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم
يالمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله
عليما باعمالكم وضمايركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من
جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه
وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهي انتهوا الى
منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من
الروية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخاينين اي
لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله
كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين
شهدوا على براته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة
مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حايطا

بما ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله • يستخفون من الناس • يستترون
منهم حيا وخوفا • ولا يستخفون من الله • وهو لحق بان يستحيا ويخاف منه • وهو معهم
لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معهم الا ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه • اذ
يبيتون • يدبرون ويزورون • ما لا يرضى من القول • من رمي البري والحلف
الكاذب وشهادة الزور • وكان الله بما يعملون محيطا • لا يفوت عنه شي ۞
• ها انتم هاولا • مبتدا وخبر • جادلتم عنهم في الحياة الدنيا • جملة مبينة لوقوع
هولا خبرا او صلة عند من يجعله موصولا • فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
ام من يكون عليهم وكيلا • محاميا يحميهم عن عذاب الله • ومن يعمل سوءا • قبيحا يسوء به
غيره • او يظلم نفسه • بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك
وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة • ثم يستغفر الله • بالتوبة • يجد
الله غفورا • لذنوبه • رحيما • متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار • ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه • فلا يتعداه وباله له
وان اساتم فلها • وكان الله عليما حكيما • فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته • ومن يكسب
خطيئة • صغيرة او ما لا عمد فيه • او اثما • كبيرة او ما كان عن عمد • ثم يرم به بريا •
كما رمى به طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او • فقد احتمل بهتانا واثما مبينا •
بسبب رمي البري وتبرية النفس الخاطية ولذلك سوى بينهما وان كان ۞
مقترف احدهما دون مقترف الاخر • ولولا فضل الله عليك ورحمته • باعلام
ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول وجمعه للتعظيم اوله ولامته فان عصمة
الرسول واطلاعه على الاحوال في حقهم • لهمت طايفة منهم • اي من بني ظفر
ان يضلوك • عن القضا بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصة
فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه • وما يضلون الا انفسهم • لانه ما ازلك
عن الحق وعاد وباله عليهم • وما يضرونك من شي • فان الله عصمك وما خطر
ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شي في موضع النصب
على المصدر اي شيا من الضرر • وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن
تعلم • من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام • وكان فضل الله عليك عظيما •

اذ الافضل

اذ لا فضل اعظم من النبوة • لا خير في كثير من نجواهم • من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم
نجوى او من تناجيهم فقوله • الا من امر بصدقة او معروف • على حذف مضاف اي الا
نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسرها هنا بالقرض واعانة الملهوف
وصدقة التطوع وساير ما فسر به • او اصلاح بين الناس • او اصلاح ذات بين
• ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما • بنى الكلام على الامر
ورتب الجزا على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل
فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد
الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا ريا
وسمعة لم يستحق به من الله تعالى اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة
ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرا حمزة وابو عمرو يوتيه بالبا • ومن يشاقق ۞
الرسول • يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد ما
تبين له الهدى • ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات • ويتبع غير سبيل المومنين •
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل • نوله ما تولى • نجعله واليا لما تولى من الضلال ۞
ونخلي بينه وبين ما اختاره • ونصله جهنم • وندخله فيها وقرى بفتح النون من صلاه
• وسات مصيرا • جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد
الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز
استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا
كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع
سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في
مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام • ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا • كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جا شيخ الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيا منذ
عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة

عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تايب فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم نوع افترا وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمايها كما قال وما ذكر فان سيمن فانثى شد ابا الازهر ليس له ضروس فانه عني القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملايكة لقولهم الملايكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرى انثى على التوحيد واثنا على جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثن بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشي من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه

في غاية العداوة والسعي في اهلاككم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطا ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقا عين الحامي وخصا العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الاسلام والاستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله الزلفى وعموم اللفظ يمنع الخصا مطلقا لكن الفقها رخصوا في خصا البهايم للحاجة

والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره صح

ما يدعوا اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليايه اوليك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا او حق ذلك حقا فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني موكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة موكدة بليغة والمقصود من الاية

لغة

معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليايه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله ينال باماينكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان

من الثواب صح

المسلمين واهل الكتاب فتفاخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل
كتابكم ونحن اولى بالله تعالى منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل
عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر بامانيّ المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او
قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل
الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي
انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اما
تحزن اما تمرض اما تصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا
يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته
من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا
منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من
المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء
وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب تنبيها على انه لا اعتداد
به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب
واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي هو
ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرا ابن كثير وابو عمرو و
يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم
الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه
وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما
تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع
ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر
الاديان وهو حال من المتبع او من الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه
وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما
له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها

المذكورين

وقيل

وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل
فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في
الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية
في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى
خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد
لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه
ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه
فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما
في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل
بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على
مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما
باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ
سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك
تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز
الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين
لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله
او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى
ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين
باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم
المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ
ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل
واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله
لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى

عليكم في شانهن والاّ فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم
فيهن بسبب يتامى النسا كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من
لانها اضافة الشي الى جنسه وقرى بيامى على انها ايامى فقلبت همزته يا اللاتي لا
تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن
او عن ان تنكحوهن فان اوليا اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون
مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس
فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في
صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النسا والعرب ما كانوا
يورثونهم كما لا يورثون النسا وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه
اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان
جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان
تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا
لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله
كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امراة خافت من بعلها توقعت منه
لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها
وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها
ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له
بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا
من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف
وقرى يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة
او الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم
تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة
ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح

بالاعراض

بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي
اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض
ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به
وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها
الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر
ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فيعدل ويقول
هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم
على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على
المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي
ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان
يميل مع احداهما جا يوم القيامة واحد شقيه مايل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما
مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرى وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه
يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته من غناه وقدرته وكان الله
واسعا حكيما متقنا مقتدرا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما
في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا
او باوتوا ميثاق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان
اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا
لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا
ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان
الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات
وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات

تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه

حميداً • وكفى بالله وكيلاً • راجع الى قوله يغني الله كلاً من سعته فانه توكل بكفايتهما وما

بينهما تقريراً لذلك • ان يشا يذهبكم ايها الناس • يفنكم ومفعول يشا محذوف

دل عليه الجواب • ويات باخرين • ويوجد قوماً اخرين او خلقاً اخرين مكان الانس

• وكان الله على ذلك • من الاعدام والايجاد • قديراً • بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا

ايضاً تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن

عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا

يستبدل قوماً غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده

على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا • من كان يريد ثواب الدنيا • كالمجاهد يجاهد

للغنيمة • فعند الله ثواب الدنيا والاخرة • فما له يطلب اخسهما فليطلبهما لمن

يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما

فان من جاهد خالصاً لله لم تخطيه الغنيمة وله في الاخرة ما في جنبه كلا شي او فعند

الله ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له الاية

• وكان الله سميعاً بصيراً • عارفاً بالاغراض فيجازي كلاً بحسب قصده • يا ايها الذين

امنوا كونوا قوامين بالقسط • مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته • شهداء لله

بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال • ولو على انفسكم • ولو كانت

الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سوا كان عليه او على

غيره • او الوالدين والاقربين • ولو على والديكم واقاربكم • ان يكن • اي المشهود عليه

او كل واحد منه ومن المشهود له • غنياً او فقيراً • فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة او لان

تجوروا فيها ميلاً او ترحما • فالله اولى بهما • بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن

الشهادة عليهما او لهما صلاحاً لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامها والضمير

في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد

ويشهد عليه انه قري فالله اولى بهم • فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا • لان تعدلوا

عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل • وان تلووا • السنتكم عن شهادة الحق او حكومة

العدل قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسايي باسكان اللام وبعدها واوان

الاولى

الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرا حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة

الشهادة • او تعرضوا • عن ادايها • فان الله كان بما تعملون خبيراً • فيجازيكم عليه • يا ايها

الذين امنوا • خطاب للمسلمين او المنافقين او لمومني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام

واصحابه قالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما

سواه فنزلت • امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل

من قبل • اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم

او امنوا ايماناً عاماً يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب

الاول القران والثاني الجنس وقرا نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح

الهمزة والنون والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي • ومن يكفر

بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر • اي ومن يكفر بشي من ذلك • فقد ضل

ضلالاً بعيداً • عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه • ان الذين امنوا • يعني

اليهود امنوا بموسى • ثم كفروا • حين عبدوا العجل • ثم امنوا • بعد عوده اليهم • ثم

كفروا • بعيسى • ثم ازدادوا كفراً • بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوماً تكرر منهم الارتداد

ثم اصروا على الكفر وازدادوا تمادياً في الغي • لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم

سبيلاً • اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم

ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم

ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك يتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريداً

ليغفر لهم • بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً • يدل على ان الاية في المنافقين

وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على

النفاق وافساد الامر على المومنين ووضع بشر مكان انذر تهكماً بهم • الذين يتخذون

الكافرين اولياء من دون المومنين • في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين

او هم الذين • ايبتغون عندهم العزة • ايتعززون بموالاتهم • فان العزة لله جميعاً •

لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليايه فقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين

لا يوبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم • وقد نزل عليكم في الكتاب • يعني القران وقرا

عاصم نزل والقايم مقام فاعله • ان اذا سمعتم ايات الله • وهي المخففة والمعنى

انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزا بها فحالان من الايات جي بهما لتقييد النهي عن
المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزا ان
الشرط بما اذا كان من يجالسه هازيا معاندا غير مرجو ويويده الغاية وهذا تذكار
ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في
معهم للكفرة المدلول عليهم بكفر بها ويستهزا بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانهم
قادرون علي الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك اولان الذين
يقاعدون الخايضين في القران من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا
ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه
كالمصدر او للاستغنا بالاضافة الي الجمع وقري بالفتح علي البنا لاضافته الي مبني
كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو
بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب
او مبتدا خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا
في ما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ
عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلا وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجات علي الاصل
ونمنعكم من المومنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
لخسة حظهم فانه مقصور علي امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم
القيامة ولن يجعل الله للكافرين علي المومنين سبيلا حينيذ او في الدنيا والمراد
بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا علي فساد شرا الكافر المسلم والحنفية علي
حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد
الي الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام
فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الي الصلاة قاموا كسالي متثاقلين كالمكره
علي الفعل وقري كسالي بالفتح وهو جمع كسلان يراون الناس ليخالوهم مومنين

والمراة

والمراة مفاعلة بمعني التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يراه
عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا
بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الي الذكر
بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها
غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراون كقوله ولا
يذكرون يراونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب علي الذم
والمعني مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشي مضطربا
واصله الذب بمعني الطرد وقري بكسر الذال بمعني يذبذبون قلوبهم او
دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعني تصلصل وقري بالدال الغير المعجمة
بمعني اخذوا تارة في دبه وتارة في دبه وهي الطريقة لا الي هولا ولا الي هولا
لا منسوبين الي المومنين ولا الي الكافرين او لا صايرين الي احد الفريقين
بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الي الحق والصواب ونظيره قوله
تعالي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اوليا من دون المومنين فانه صنع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل علي النفاق
او سلطانا تسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار هو
الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الي
الكفر استهزا بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلي وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت
طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرا الكوفيون
بسكون الرا وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع علي ادراك ولن
تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا
من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاوليك مع المومنين

ومن عداهم في الدارين • وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما • فيساهمونهم فيه
• ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم • ايتشفي به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب به
نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه
كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونفى عنه نفسه تخلص من
تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم
يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به • وكان الله شاكرا • مثيبا يقبل اليسير
ويعطي الجزيل • عليما • بحق شكركم وايمانكم • لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم • الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا اضاف
قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء
للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله • وكان
الله سميعا • لكلام المظلوم • عليما • بالظالم • ان تبدوا خيرا • طاعة وبرا • او تخفوه
او تفعلوه سرا • او تعفوا عن سوء • لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر
ابداء الخير واخفاؤه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله • فان الله كان عفوا
قديرا • اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك
وهو حث المظلوم على تمهيد العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم
الاخلاق • ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله • ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض • نؤمن
ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم • ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا • طريقا
وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله
انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
• اولئك هم الكافرون • هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا • حقا •
مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا حقا اي
يقينا محققا • واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم
يفرقوا بين احد منهم • اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي

متعدد

متعدد العموم من حيث انه وقع في سياق النفي • اولئك سوف نؤتيهم اجورهم •
الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تاخر وقرا حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب • وكان الله
غفورا • لما فرط منهم • رحيما • عليهم بتضعيف حسناتهم • يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء • نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا
بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كتابا محررا بخط
سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا
بايماننا بانك رسول الله • فقد سألوا موسى اكبر من ذلك • جواب شرط مقدر اي
ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه الصلاة والسلام اكبر منه
وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم
تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وانما اقترحوا عليك ليس باول
جهالاتهم وخيالاتهم • فقالوا ارنا الله جهرة • عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين
معاينين له • فاخذتهم الصاعقة • نار جاءت من السماء فاهلكتهم • بظلمهم • بسبب
ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي
امتناع الرؤية مطلقا • ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات • هذه الجناية
الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة
اذ لم يأتهم بعد • فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا • تسلطا ظاهرا
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة من اتخاذهم العجل • ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم • بسبب ميثاقهم ليقبلوه • وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا • على لسان
موسى والطور مظل عليهم • وقلنا لهم لا تعدوا في السبت • على لسان داود ويحتمل
ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء
فيه والمسخ به في زمن داود وقرا ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا
فادغمت التاء في الدال وقرا قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص
عنه بالاسكان • واخذنا منهم ميثاقا غليظا • على ذلك وهو قولهم سمعنا
واطعنا • فبما نقضهم ميثاقهم • اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم

ومامزيدة للتاكيد والبا متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا
عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم
لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يومنون لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صله وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره • وكفرهم بايات
الله • بالقران او بما في كتابهم • وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف •
وعيد للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه • بل طبع الله عليها بكفرهم • فجعلها محجوبة
عن العلم او اخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر في المواعظ • فلا
يومنون الا قليلا • منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه
• وبكفرهم • بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله
فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون
تكرير ذلك الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم
الصلاة والسلام • وقولهم على مريم بهتانا عظيما • يعني نسبتها الى الزنا • وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله • اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزا كان
ونظيره قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله
تعالى بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح • وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم • روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله
قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بان يرفعه الى السما فقال
لاصحابه ايكم يرضى ان يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله تعالى عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل كان رجلا ينافقه
فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب
وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه
شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا
تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراتهم
على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه المويد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لان
لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل

ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد
ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الضمير للمقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم
مقتولا • وان الذين اختلفوا فيه • اي في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف
اختلاف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال
بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن
صاحبنا وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعني الى السما رفع الى السما وقال بعضهم
صلب الناسوت وصعد اللاهوت • لفي شك منه • لفي تردد والشك كما يطلق
على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مقابل العلم ولذلك اكده
بقوله • ما لهم به من علم الا اتباع الظن • استثنا منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن
ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثنا • وما قتلوه يقينا • قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا
قتلنا المسيح اي متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقولهم • لذلك يخبر عنها
العالمات بها • وقد قتلت بعلمي ذلك يقينا • من قولهم قتلت الشي علما ونحرته
علما اذا تبالغ علمك فيه • بل رفعه الله اليه • رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
• وكان الله عزيزا • لا يغلب على ما يريده • حكيما • فيما دبر لعيسى • وان من اهل الكتاب
الا ليومنن به قبل موته • اي وان من اهل الكتاب احد الا ليومنن به فقوله ليومنن
به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى
والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليومنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان
يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويويد ذلك ان قري الا ليومنن
به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على
معاجلة الايمان قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران
لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السما امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السما
حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به حتى يكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة

ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد
على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبا
ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم معنى ماذكره في قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا اوصدا كثيرا واخذهم الربوا وقد
نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على
التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا
للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله
ابن سلام واصحابه والمومنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يومنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلاة نصب على المدح
ان جعل المومنون الخبر لاوليك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبيا
اي يومنون بالكتب وبالانبيا وقرى بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في
يومنون او على انه مبتدا والخبر اوليك سنوتيهم والموتون الزكاة رفعه لحذف
الاوجه المذكورة والمومنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبيا
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اوليك سنوتيهم
اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرا حمزة سيوتيهم بليا
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن
اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبيا
واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهارون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين تعظيما لهم فان
ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبيا ومشاهيرهم
واتينا داود زبورا وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كما ارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك
من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب

على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبيا الى
الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر على ادراك كلياتها
واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره
للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها
او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص
كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه
لما تعنتوا عليه بسوال كتاب ينزل عليهم من السما واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما
انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم
بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد النبوة ويستاهل نزول الكتاب
عليه او بعلمه الذي تحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين
حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملايكة
يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا بصحة دعوى النبوة
على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان
الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هولا بالنظر الصحيح لعرفوا
نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملايكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما
اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا
محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم
او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم
الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق

جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده اللاحق على ان من مات على كفره
فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه
ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة
والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا
خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان
كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه
وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم
لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما
فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود
في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشده والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها
وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه
عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري
مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب
فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله
ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم
نصبه بما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن كان له مثل ويتطرق
اليه فنا له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شي من ذلك فيتخذه
ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد بالحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه
قايم بحفظ الاشيا كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح

لن يانف

لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله
من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال
ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار
ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملايكة المقربون عطف على المسيح اي ولا
يستنكف الملايكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملايكة على الانبيا
وقالوا مساقه للرد على النصارى في رفع المسيح على مقام العبودية وذلك يقتضي ان
يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملايكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح
الامير لا يخالفه رييس ولا مرووس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من
الملايكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلا منهم رتبة من الملايكة على المسيح
من الانبيا وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك
عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها
من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم تحشر العباد للمجازاة او
لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها
الناس قد جاكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات
وبالنور القران اي جاكم دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل
البرهان الدين او رسول الله والقران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم
في رحمة منه ثواب قدره بازا ايمانه وعمله رحمة منه لا قضا لحق واجب وفضل
احسان زايد عليه ويهديهم اليه الى الله تعالى وقيل الى الموعود صراطا مستقيما

خلهم

هو الاسلام والطاعة في الدين او طريق الجنة في الاخرة • يستفتونك • اي في الكلالة
حذفت لدلالة الجواب عليها روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اني كلاله فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام
قل الله يفتيكم في الكلالة • سبق تفسيرها في اول السورة • ان امرو هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك • ارتفع امرو بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة
له او حال عن المستكن في هلك والواو في وله تحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت
الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة
والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس
لكنها لا ترث النصف • وهو يرثها • اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس • ان لم
يكن لها ولد • ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر
اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم
سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل
الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت • فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما
ترك • الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفايدة الاخبار عنه
باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما • وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين • واصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب الذكر • يبين الله لكم ان تضلوا • اي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين الله لكم الحق والصواب
كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين • والله بكل شيء عليم •
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى
محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم **سورة**
المائدة مدنية وهي مائة وعشرون اية وثلاث • بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
امنوا اوفوا بالعقود • الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق قال الحطيئة • قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا العناج وشدوا

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

فوقه الكربا • واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما
يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم
من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر
على المشترك بين الوجوب والندب • احلت لكم بهيمة الانعام • تفصيل للعقود
والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك
ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر
الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب
واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه • الا ما يتلى عليكم • الا محرم ما يتلى عليكم لقوله
حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه • غير محلي الصيد • حال من الضمير في
لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وانتم حرم • حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم • ان الله يحكم ما يريد •
من تحليل او تحريم • يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله • يعني مناسك الحج جمع شعيرة
وهو اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها
لعباده • ولا الشهر الحرام • بالقتال فيه او بالنسيء • ولا الهدي • اي ما اهدي الى
الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج • ولا القلائد • اي ذوات القلائد
من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها
والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين
زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحا شجر او غيرهما ليعلم
به انه هدي فلا يتعرض له • ولا امين البيت الحرام • قاصدين لزيارته • يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا • اي يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في امين وليست صفة لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفايدته
استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله
رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج
اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة

اي المال الثابت علي

وكان قد استاق سرح المدينة وعلي هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون علي خطاب المؤمنين

• واذا احللتم فاصطادوا • اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة

الاباحة هاهنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر علي الاباحة مطلقا وقرئ

بكسر الفا علي القا حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال

حل المحرم واحل • ولا يجرمنكم • لا يحملنكم او لا يكسبنكم • شنآن قوم • شدة بغضهم

وعداوتهم وهو مصدر اضيف الي المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسماعيل عن نافع

وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعني بغيض قوم

وفعلان في النعت اكثر • ان صدوكم عن المسجد الحرام • لان صدوكم عام الحديبية

وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة علي انه شرط معترض اغني عن جوابه لا يجرمنكم

• ان تعتدوا • بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدي الي واحد والي اثنين

ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم اليا جعله منقولا من المتعدي الي مفعول بالهمزة الي مفعولين

• وتعاونوا علي البر والتقوي • علي العفو والاغضا ومتابعة الامر ومجانبة الهوي • ولا

تعاونوا علي الاثم والعدوان • للتشفي والانتقام • واتقوا الله ان الله شديد العقاب •

فانتقامه اشد • حرمت عليكم الميتة • بيان ما يتلي عليكم والميتة ما فارقه الروح

من غير تذكية • والدم • اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية

يصبونه في الامعا ويشوونها • ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • اي رفع الصوت

لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزي عند ذبحه • والمنخنقة • التي ماتت

بالخنق • والموقوذة • المضروبة بنحو خشب او حجر حتي تموت من وقذته اذا ضربته

• والمتردية • التي تردت من علو او في بير فماتت • والنطيحة • التي نطحتها اخري فماتت

والتا فيها للنقل • وما اكل السبع • اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل علي ان

جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لا يحل • الا ما ذكيتم • الا ما ادركتم ذكاته

وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثنا مخصوص لما اكل السبع والذكاة

في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد • وما ذبح علي النصب • النصب واحد الانصاب

وهي الاحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل

هي الاصنام وعلي بمعني اللام او علي اصلها بتقدير وما ذبح مسمي الاصنام وقيل

هو جمع والواحد نصاب • وان تستقسموا بالازلام • اي وحرم عليكم الاستقسام

بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب علي احدها امرني

ربي وعلي الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا علي ذلك وان خرج

الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعني الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم

بالاقداح علي الانصبا المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد • ذلكم فسق •

اشارة الي الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد

ان ذلك طريق اليه وافترا علي الله تعالي ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان

اريد به الصنم او الميسر المحرم او الي تناول ما حرم عليهم • اليوم • لم يرد به يوما

بعينه وانما اراد الزمن الحاضر وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها

وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع • يئس الذين كفروا من دينكم •

اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبايث وغيره او من ان يغلبوكم عليه

• فلا تخشوهم • ان يظهروا عليكم • واخشوني • واخلصوا الخشية لي • اليوم اكملت

لكم دينكم • بالنصر والاظهار علي الاديان كلها او بالتنصيص علي قواعد العقايد

والتوقيف علي اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد • واتممت عليكم نعمتي • بالهداية

والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية • ورضيت لكم الاسلام

دينا • اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله تعالي لا غير • فمن اضطر

متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها

فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعني

فمن اضطر الي تناول شي من هذه المحرمات • في مخمصة • مجاعة • غير متجانف

لاثم • غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او يجاوز احد الرخصة كقوله

غير باغ ولا عاد • فان الله غفور رحيم • لا يواخذه باكله • يسالونك ماذا احل

لهم • لما تضمن السوال معني القول اوقع علي الجملة وقد سبق الكلام فيما ذا وانما

قال لهم ولم يقل لنا علي الحكاية لان يسالونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين

سايغ في امثاله والمسول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم

سالوا عما احل لهم • قل احل لكم الطيبات • ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم

تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص على حرمته ❊ وما علمتم من الجوارح ❊ عطف على الطيبات ان جعلت ما موصوله على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير ❊ مكلبين ❊ معلمين اياه الصيد والمكلب مودب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر واثر اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم ❊ تعلمونهن ❊ حال ثانية او استيناف ❊ مما علمكم الله ❊ من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله تعالى ومكتسب بالعقل الذي هو منحة او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعايه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه ❊ فكلوا مما امسكن عليكم ❊ وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقها وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا ❊ واذكروا اسم الله عليه ❊ الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته ❊ واتقوا الله ❊ في محرماته ❊ ان الله سريع الحساب ❊ فيواخذكم بما جل ودق ❊ اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ❊ يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم ❊ وطعامكم حل لهم ❊ فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك ❊ والمحصنات من المومنات ❊ اي الحراير العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى ❊ والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ❊ وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات ❊ اذا اتيتموهن اجورهن ❊ مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتايها التزامها ❊ محصنين ❊

اعفا بالنكاح ❊ غير مسافحين ❊ غير مجاهرين بالزنا ❊ ولا متخذي اخدان ❊ مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ❊ ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين ❊ يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه ❊ يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة ❊ اي اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ❊ عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشي والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضو على كل قايم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه الصلاة صلى الخمس بوضو واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها ❊ فاغسلوا وجوهكم ❊ امروا الما عليه ولا حاجة له الى الدلك خلافا لمالك ❊ وايديكم الى المرافق ❊ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فايدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا ❊ وامسحوا بروسكم ❊ البا مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح بروسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا روسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم

واختلف العلما رضي الله تعالى عنهم في قدر الواجب فاوجب الشافعي رضي الله تعالى
عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضي الله تعالى عنه مسح
ربع الراس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك
رضي الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط • وارجلكم الى الكعبين • نصبه نافع وابن
عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويويده السنة الشايعة وعمل
الصحابة وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لا يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره
كثير في القران والشعر لقوله عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراة حمزة
والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفايدته التنبيه على
انه ينبغي ان يقصد في صب الما عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخويه ايما الى وجوب الترتيب وقري بالرفع على وارجلكم مغسولة • وان
كنتم جنبا فاطهروا • فاغتسلوا • وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من
الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه •
سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة • ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج • اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا
عليكم • ولكن يريد ليطهركم • لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضو تكفير
للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالما فمفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى
لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد
المزيدة • وليتم نعمته عليكم • ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم
نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزايمه • لعلكم تشكرون •
نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان التهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر
وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب
واتمام النعمة • واذكروا نعمة الله عليكم • بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره

وميثاقه

• وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا • يعني الميثاق الذي اخذه على
المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر
واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان • واتقوا
الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه • ان الله عليم بذات الصدور • اي بخفياتها
فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم • يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله
شهدا بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا • عداه بعلى لتضمنه
معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا
عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نسا وصبية ونقض عهد تشفيا
مما في قلوبكم • اعدلوا هو اقرب للتقوى • اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم
الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المومنين • واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون • فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب
كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل
والمبالغة في اطفا نايرة الغيظ • وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم • انما حذف ثاني مفعولي وعد استغنا بقوله لهم مغفرة فانه استيناف
يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم
هذا القول • والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب الجحيم • هذا من عادته
تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفا بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمومنين
وتطييب لقلوبهم • يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم • روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما
صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله
تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه
عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفا الاربعة يستقرضهم لدية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحا

عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبر
فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة
وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه
جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فنزلت • اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم • بالقتل
والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه لسانه اذا شتمه • فكف
ايديهم عنكم • منعها ان تمد اليكم وردّ مضرتها عنكم • واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المومنون • فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر • ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا • شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال
قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفا بما امروا به روي ان بني اسرايل
لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمصير الى اريحا من ارض
الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا
اليها وجاهدوا فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفا
بما امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقبا وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان
بعث النقبا يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة
وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا
ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف • وقال الله اني معكم • بالنصرة
• لين اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي وعزرتموهم • اي نصرتموهم
وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير • واقرضتم الله قرضا حسنا • بالانفاق
في سبيل الخير • قرضا يحتمل المصدر والمفعول • لاكفرن عنكم سياتكم • جواب
للقسم المدلول عليه باللام في لين سادّ مسد جواب الشرط • ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك • بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به
الوعد العظيم منكم فقد ضل سوا السبيل • ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة • فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم • طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية •

وجعلنا

• وجعلنا قلوبهم قاسية • لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسايي قسية
• وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديّة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو
ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقري قِسِيّة باتباع القاف
للسين • يحرفون الكلم عن مواضعه • استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا
قسوة اشد من تغيير كلام الله والافترا عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه • ونسوا حظا • وتركوا نصيبا وافيا • مما ذكروا به •
من التوراة او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشيا عن حفظهم لما روي
ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلى هذه الاية • ولا تزال
تطلع على خاينة منهم • خيانة او فرقة خاينة او خاين والتا للمبالغة والمعنى ان
الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم • الا قليلا منهم •
لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثنا من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية
• فاعف عنهم واصفح • ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق
نسخ باية السيف • ان الله يحب المحسنين • تعليل للامر بالصفح وحث عليه
وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخاين احسان فضلا عن العفو عن غيره • ومن
الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم • اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا
ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا
انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعا لنصرة الله تعالى • فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا • فالزمنا من غري بالشي اذا لصق به • بينهم العداوة
• والبغضا الى يوم القيامة • بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية
او بينهم وبين اليهود • وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون • بالجزا والعقاب
• يا اهل الكتاب • يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس • قد جاكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب • كنعت محمد واية الرجم في
التوراة وبشارة عيسى باحمد في الانجيل • ويعفوا عن كثير • مما تخفونه لا
• يخبر به اذا لم يضطر اليه في امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه • قد جاكم

من الله نور وكتاب مبين • يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال ۞
والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلي الله عليه وسلم يهدي به الله •
وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم • من اتبع رضوانه • من اتبع
رضاه بالايمان منهم • سبل السلام • طرق السلامة من العذاب او سبل الله • ويخرجهم
من الظلمات الى النور • من انواع الكفر الي الاسلام • باذنه • بارادته او بتوفيقه • ويهديهم
الي صراط مستقيم • طريق هي اقرب الطرق الى الله تعالي ومود اليه لا محالة • لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم • هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم
يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان
يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم • قل فمن
يملك من الله شيا • فمن يمنع من قدرته وارادته شيا • ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم
وامه ومن في الارض جميعا • احتج بذلك علي فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور
مقهور قابل للفنا كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهيه • ولله
ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشا والله علي كل شي قدير • ازاحة لما
عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر علي الاطلاق يخلق من غير اصل
كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما وينشي من اصل ليس من جنسه
كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوي او من انثي
وحدها كعيسى او منهما كساير الناس • وقالت اليهود والنصاري نحن ابنا الله واحباوه •
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع بن الزبير الخبيبيون او مقربون
عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لذلك مزيد بيان في ال عمران • قل فلم
يعذبكم بذنوبكم • اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا ۞
المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ
واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة • بل انتم بشر ممن خلق • ممن خلقه
الله تعالي يغفر لمن يشا • وهم من امن به وبرسله • ويعذب من يشا • وهو من كفر
والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليهم • ولله ملك السموات
والارض وما بينهما • كلها سوا في كونها خلقا وملكا له • واليه المصير • فيجازي المحسن

بالحسانه

باحسانه والمسي باساته • يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم • اي الدين وحذف
لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول علي معني يبذل
لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاكم رسولنا مبينا لكم • علي فترة من الرسل ۞
متعلق بجاكم اي جاكم علي حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بمبين حال من
الضمير فيه • ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير • كراهة ان يقولوا ذلك ويعتذروا
به • فقد جاكم بشير ونذير • متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جانا فقد جاكم
والله علي كل شي قدير • فيقدر علي الارسال تترى كما فعل بين موسي وعيسى عليهما
الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعماية سنة والف نبي وعلي الارسال
علي فترة كما فعل بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اذ كان بينهما ستماية سنة
او خمسماية وتسعة وتسعون سنة واربعة انبيا ثلاثة من بني اسرائيل وواحد
من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين
انطمست اثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه • واذ قال موسي لقومه يا قوم
اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء • فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبياء • وجعلكم ملوكا • اي وجعل منكم او فيكم
وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبيا بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل
عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم
وامورهم سماهم ملوكا • واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين • من فلق البحر
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوي ونحوهما مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين
عالمي زمانهم • يا قوم ادخلوا الارض المقدسة • ارض بيت المقدس سميت بذلك
لانها كانت قرار الانبيا ومسكن المومنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق ۞
وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام • التي كتب الله لكم • قسمها لكم او كتب في
اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها
محرمة عليهم • ولا ترتدوا علي ادباركم • ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل
لما سمعوا حالهم من النقبا بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الي مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق علي الله تعالي • فتنقلبوا

خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم علي العطف والنصب علي الجواب
قالوا ياموسي ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتي مقاومتهم والجبار فعال من جبره
علي الامر بمعني اجبره وهو الذي يجبر الناس علي ما يريد وانا لن ندخلها حتي يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اي لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب
ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة
اسلما وصارا الي موسي فعلي هذا الواو لبني اسرايل والراجع الي الموصول محذوف اي
من الذين يخافهم بني اسرايل ويشهد له ان قري ان الذين يخافون بالضم اي المخوفين
وعلي المعني الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخافون من الله بالتذكير او
يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين
او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق
من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب لها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من
اخبار موسي وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالي في نصرة رسله وما عهدا
من صنعه لموسي في قهر اعدايه وعلي الله فتوكلوا ان كنتم مومنين اي مومنين به
ومصدقين لموعده قالوا ياموسي انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم علي التاكيد والتابيد
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب
انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوي بثه وحزنه
وحزنه الي الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون
عليه الصلاة والسلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما
لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه
ويحتمل نصبه عطفا علي نفسي وعلي اسم ان ورفعه عطفا علي نفسي او علي اسم ان
ورفعه عطفا علي الضمير في لا املك او علي ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا علي
الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان يحكم لنا بما نستحقه
وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها

فان

فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين
سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مويد فلا
تخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويويد ذلك ما روي ان موسي عليه الصلاة
والسلام سار بعد بمن بقي من بني اسرايل ففتح اريحا وبقي فيها ما شا الله ثم قبض
وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله تعالي امرهم
بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرايل واما
يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا
وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما
قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون
من الصباح الي المسا فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام تظلهم من الشمس وعمود
من نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوي وماوهم من الحجر الذي
يحملونه والاكثر ان موسي وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهم
وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسي بعده
بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقبا فيه بغتة غير كالب
ويوشع فلا تاس علي القوم الفاسقين خاطب به موسي لما ندم علي الدعا عليهم
وبين انهم احقا بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم قابيل وهابيل اوحي الله
تعالي الي ادم ان يزوج كل واحد منهما توام الاخر فسخط منه قابيل لان توامه كانت
اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت
نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه
وانما هما رجلان من بني اسرايل ولذلك قال كتبنا علي بني اسرايل بالحق صفة
مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا اي
ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبا او حال
منه او بدل من حذف مضاف اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم
ما يتقرب به الي الله عز وجل من ذبيحة او غيرهما كما ان الحلوان اسم ما يحلي اي
يعطي وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما

قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب ارداه عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب
جملا سمينا • فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر • لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية
في قربانه وقصد الى اخس ما عنده • قال لاقتلنك • توعده بالقتل لفرط الحسد له على
تقبل قربانه ولذلك • قال انما يتقبل الله من المتقين • في جوابه اي انما اتيت من
قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد
ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في
ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق
• لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله
رب العالمين • قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا
من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب
لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق
عليه ولذلك اكد النفي بالباء • اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين • تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى
انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك
الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم
قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد
بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته
وارادة عقاب العاصي جائزة • فطوعت له نفسه قتل اخيه • فسهلته له ووسعته
له من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ طاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل
اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت
لزيد ماله • فقتله فاصبح من الخاسرين • دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا
محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في

موضع المسجد الاعظم • فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه •
روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم فبعث
الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه
في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة
ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
• قال يا ويلتا • كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من يا المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة • اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سوأة اخي • لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على ان اكون وليس
جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا او
اري او على تسكين المنصوب تخفيفا • فاصبح من النادمين • على قتله لما كابد فيه
من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وتبرؤ ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأل ادم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث
بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله • من اجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل • بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا
جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي
جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي
ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك • انه من قتل نفسا بغير نفس • بغير قتل
نفس يوجب الاقتصاص • او فساد في الارض • او بغير فساد فيها كالشرك وقطع
الطريق • فكانما قتل الناس جميعا • من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن
القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب
غضب الله والعذاب العظيم • ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا • اي ومن
تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة
فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمطلوب منه تعظيم قتل النفس واحيائها في
القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها • ولقد جاءتهم رسلنا

بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات
الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد
الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياهما
وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هاهنا
قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض
اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه
قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي من غير صلب قصاصا ان افردوا
القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف
في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا
او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان
اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا
للتفصيل وقيل للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثنا مخصوص بما هو حق الله تعالى
ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاوليا
وهو يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل
على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع
المسلمين لان توبة المشرك تدرا عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى
منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث
الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة
والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته ان الذين

كفروا

كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف
تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور
شيان اما لاجرايه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان
الواو في مثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة
تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح
بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون
للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ
التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء
للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت
وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشا لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل
والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما يوجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ
ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في ربع دينار
فصاعدا وللعلما خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام
فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما
ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفا بتثنية
المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع هو من
المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتي بسارق فامر
بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او
المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق
من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا
يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه
في الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب

من يشاء ويغفر لمن يشا والله علي كل شي قدير قدم التعذيب علي المغفرة اتيا علي ترتيب
ما سبق اولان استحقاق التعذيب مقدم اولان المراد به القطع وهو في الدنيا
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنع الذين يقعون في
الكفر سريعا اي في اظهاره ان وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تومن قلوبهم اي من المنافقين والبا متعلقة بقالوا لا بامنا والواو تحتمل الحال
والعطف ومن الذين هادوا عطف علي من الذين قالوا سماعون للكذب خبر
محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون
مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في الكذب اما مزيدة
للتاكيد او لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة
والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم
اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا
او افراطا في البغضا والمعنى علي الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او
سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون
الثاني تكرر للتاكيد ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه
اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه
واما معنى بحمله علي غير المراد واجرايه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم
او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استينافا لا موضع له او في موضع
الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي
ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم توتوه بل افتاكم محمد بخلافه
فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة
وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان
امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم

علي

علي من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيا فلن تستطيع له من الله تعالى
شيا في دفعها اوليك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص
علي فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المومنين
ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان
استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة
وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق
وقري بفتح السين علي لفظ المصدر فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم
كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا كان
المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منه والاية ليست
في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيا
بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط بالعدل الذي امر الله تعالى به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم
شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يومنون
به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه علي انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا منه ما يكون اهون عليهم وان لم
يكن حكم الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان
جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المونث في كلامهم لفظا كموماة
لفظا ودوية ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم
بعد التحكيم وهو عطف علي يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اوليك بالمومنين
بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة
فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها

النبيون يعني انبيا بني اسرايل وموسي ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما
لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القايل به الذين اسلموا صفة اجريت علي النبيين مدحا
لهم وتنويها بشان المومنين وتعريضا لليهود وانهم بمعزل عن الانبيا واقتفا هديهم
للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل علي ان النبيين
انبيا وهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماوهم السالكون طريقة انبيايهم
عطف علي النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا
كتابه من التضييع والتحريف والراجع الي ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه
شهدا رقبا لا يتركون ان يغيروا او شهدا يبينون ما يخفي منه كما فعل ابن صوريا
فلا تخشوا الناس واخشوني نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها
خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها
ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له
فاوليك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم علي خلافه وفسقهم
بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت
الي الامتناع عن الحكم به ملايمة لها او لطايفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصاري وكتبنا عليهم وفرضنا
علي اليهود فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسايي علي انها جمل معطوفة
علي ان وما في حيزها باعتبار المعني وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراة يقعان علي الجمل كالقول او مستانفة وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او علي ان المرفوع منها معطوف علي المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه
في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعني وقرا نافع والاذن
بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اي ذات قصاص
وقراة الكسايي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر علي انه اجمال للحكم بعد

التفصيل

التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفي عنه فهو فالتصد ق
كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقري
فهو كفارة له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شي
ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاوليك هم الظالمون وقفينا علي
اثارهم اي واتبعناهم علي اثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه
والضمير للنبيون بعيسي ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالبا مصدقا
لما بين يديه من التوراة واتيناه الانجيل وقري بفتح الهمزة فيه هدي ونور في
موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله
وهدي وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما علي المفعول له عطفا علي محذوف
او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراة حمزة وعلي
الاول اللام متعلقة بمحذوف اي واتيناه ليحكم وقري وان ليحكم علي ان ان موصولة
بالامر كقولك امرتك بان قم وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك
هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل علي ان
الانجيل مشتملة علي الاحكام فان اليهودية منسوخة ببعثة عيسي عليه الصلاة
والسلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها علي وليحكموا بما انزل فيه من ايجاب
العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القران مصدقا
لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولي للعهد والثانية
للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا علي ساير الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد
لها بالصحة والثبات وقري علي بنية المفعول اي هو من عليه وحوفظ عن التحريف
والحافظ له هو الله تعالي او الحافظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما
انزل الله تعالي اليك ولا تتبع اهواهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الي ما
يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معني لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع
اهواهم مايلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة
الي الما شبهت بها الدين لانه طريق الي ما هو سبب الحياة الابدية وقري بفتح
الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به علي

انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة، ولو شا الله لجعلكم امة واحدة، جماعة متفقة
على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شا محذوف دل عليه
الجواب وقيل المعنى لو شا الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه، ولكن ليبلوكم
فيما اتاكم، من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها
مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق
وتفرطون في العمل، فاستبقوا الخيرات، فابتدروها انتهازا للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم، الى الله مرجعكم جميعا، استيناف فيه تعليل
الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون،
بالجزا الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر، وان احكم بينهم بما انزل الله
عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق
وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم، ولا تتبع اهواءهم واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك، اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان
بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم
مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه
عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود
كلهم وان بيننا وبين قومنا الخصومة فنتحاكم فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن
بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت، فان تولوا،
عن الحكم المنزل وارادوا غيره، فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني
ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع
عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره
قول لبيد، او يرتبط بعض النفوس حمامها، وان كثيرا من الناس لفاسقون، لمتمردون
في الكفر المعتدون فيه، افحكم الجاهلية يبغون، الذي هو الميل والمداهنة
في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في
بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم
به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا

ويبغون

ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله ابعث الله رسولا واستضعف
ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب
شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون بالتا على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون، ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون، اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا
الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشيا
بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله، يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء، فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب، بعضهم
اوليا بعض، ايما الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا
لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضارتكم، ومن يتولهم منكم فانه منهم، اي ومن
والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة
والسلام لا يترا اى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين، ان الله لا يهدي القوم
الظالمين، اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المومنين بموالاة اعدايهم، فترى
الذين في قلوبهم مرض، يعني ابن ابي واضرابه، يسارعون فيهم، اي في موالاتهم
ومعاونتهم، يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة، ويعتذرون بانهم يخافون ان
تصيبهم دايرة من دواير الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي ان
عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا
عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف
الدواير لا ابرا من ولاية مواليي فنزلت، فعسى الله ان ياتي بالفتح، لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على اعدايه واظهار المسلمين، او امر من عنده، بقطع شافة اليهود من القتل
والاجلا او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم، فيصبحوا، اي هولا المنافقون
على ما اسروا في انفسهم نادمين، على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم، ويقول الذين امنوا، بالرفع قراة عاصم وحمزة
والكسايي على انه كلام مبتدا ويوبده قراة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على
انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون حينيذ وبالنصب قراة ابي عمرو
ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح وبقول

الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه
من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول المومنون فان الاتيان بما يوجبه
كالاتيان به • اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم • يقوله المومنون بعضهم
لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود
فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد
الايمان اغلظها وهي في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله
يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة
او على المصدر لانه بمعنى اقسموا • حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين • اما من جملة
القول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
الله اعمالهم وما اخسرهم • يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه • قراه على الاصل
نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من المغيبات التي اخبر
الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث فرق بنو امدلج وكان رئيسهم ذا الخمار الاسود العنسي تنبا باليمن
واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول
وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله
الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد
ابي بكر رضي الله تعالى عنه سبعة فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن
سلمة وبنو اسليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس
وبنو بكر بن وايل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان

قوم

قوم جبلة بن الايهم تنصر وصار الى الشام • فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه • قيل هم
اهل اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سيل عنهم فضرب على عاتق سلمان فقال هذا
وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتي
الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا
وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه
• اذلة على المومنين • عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل
واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم
وفضلهم على المومنين خافضون لهم او للمقابلة • اعزة على الكافرين • شداد
متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقري بالنصب على الحال • يجاهدون في سبيل الله •
صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزه • ولا يخافون لومة لايم • عطف على
يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او
حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش
المسلمين خايفين ملامة اوليايهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لايم مبالغتان • ذلك • اشارة الى ما تقدم
من الاوصاف • فضل الله يوتيه من يشاء • يمنحه ويوفق له • والله واسع • كثير الفضل
• عليم • بمن هو اهله • انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا • لما نهى عن موالاة الكفرة
ذكر عقبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياوكم للتنبيه على ان
الولاية لله على الاصالة ولرسوله والمومنين على التبع • الذين يقيمون الصلاة ويوتون
الزكاة • صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه
ونصبه على المدح • وهم راكعون • متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال
مخصوصة بيوتون اي يوتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان
ومسارعة اليه وانها نزلت في علي حين ساله سايل في صلاته وهو راكع فطرح له خاتمه
• واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق

للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه من ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه
نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون
دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة • ومن
يتولي الله ورسوله والذين امنوا • ومن يتخذهم اولياء • فان حزب الله هم الغالبون • اي
فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل
ومن يتولّ هولاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما
لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هولاء بانه حزب الشيطان
واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم • يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا
دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء • نزلت في رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال يوادونهما وقد رتب
النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايما الى العلة وتنبيها على ان من هذا
شانه بعيد عن الموالات جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار
على قراءة من جره وهو ابو عمرو والكساي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب
يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا
على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سوا من كان ذا دين تبع فيه الهوا وحرفه
عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين • واتقوا الله • بترك المعاصي • ان
كنتم مومنين • لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مومنين بوعده ووعيده
• واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا • اي اتخذوا الصلاة او المنادات
وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع
الموذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة
بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقه واهله • ذلك بانهم قوم لا يعقلون •
فان السفه يودي الى الجهل بالحق والهزو به والعقل يمنع منه • قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا • هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم
اذا كافاه وقرئ تنقمون منا بفتح القاف وهو لغة • الا ان امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل • الايمان بالكتب المنزلة كلها • وان اكثركم فاسقون • عطف على ان

امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث
دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون
فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان به وبما انزل وبان اكثركم
او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان
اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لعلة انصافكم
وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون او رفع على الابتدا والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم
ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سالوا
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من يومن به فقال اومن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من
دينكم • قل هل انبئكم بشر من ذلك • اي من ذلك الدين المنقوم • مثوبة عند الله • جزا
ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ها هنا
موضعها على طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • ونصبها على التمييز عن بشر
• من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير • بدل من بشر على حذف
مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر
محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم
بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب
السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل المسخين في اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير • وعبد الطاغوت • عطف على صلة
من وكذا عُبِدَ الطاغوت على البنا للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُدَ بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا عابد الطاغوت او عَبَدَة على انه نعت
كفطن ويقظ او عبدة او عُبَّد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت
التا للاضافة عطفه على القردة ومن قرا وعبدِ الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد
من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله وقرا حمزة وعَبُدَ
الطاغوت بضم البا وجر التا والباقون بفتح البا ونصب التا • اوليك • اي الملعونون

شرمكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة علي شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل
عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصاري وقدح اليهود والمراد
من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الي المومنين في الشرارة والضلال
واذا جاوكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلي الله عليه وسلم او
في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك
كما دخلوا لا يوثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر
وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لايحة
عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه
وعيد لهم وتري كثيرا منهم اي من اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اي
الحرام وقيل الكذب كقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد
في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدي الي غيرهم واكلهم السحت
اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبيس ما كانوا يعملون لبيس شيا عملوه لولا
ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمايهم علي النهي
عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض
لبيس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبيس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل
الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك
الحسبة اقبح من موافقة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك
يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الي اثبات يد
او غل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمي بسط اليدين
بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة
الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنيا غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعا عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة
او بغل الايدي حقيقة مغلولين اسارى في الدنيا ومسحوبين الي النار في الاخرة

فيكون

فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل
يداه مبسوطتان ثني اليد مبالغة في الرد ونفي البخل واثباتا لغاية الجود فان غاية
ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها علي منح الدنيا والاخرة وعلي ما يعطي
للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشا تاكيد لذلك اي هو مختار في
انفاقه يوسع تارة ويضيق اخري علي حسب مشيته ومقتضي حكمته لا علي تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها
مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت
في فنحاص بن عازورا فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة
بشوم تكذيبهم محمدا صلي الله عليه وسلم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون
ويزدادون طغيانا وكفرا مما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول
الغذا الصالح للاصحا والقينا بينهم العداوة والبغضا الي يوم القيامة فلا تتوافق
قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب
الرسول صلي الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله تعالى بان اوقع بينهم منازعة
كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة
سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم بطرس الرومي ثم افسدوا
فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة
اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم
في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين
فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما
عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سياتهم التي فعلوها ولم نواخذهم بها
ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه علي عظم
معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل
الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت محمد صلي
الله عليه وسلم والقيام باحكامها وما انزل اليهم من ربهم يعني ساير الكتب المنزلة

فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم والقران لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السما والارض اي بكثرة
ثمرة الاشجار وغلة الزرع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم
لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم سا ما يعملون اي بيس
ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوا عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض
او الافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك
غير مراقب احدا ولا خايف مكروها وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته فما اديت شيا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك
بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيا منها كقوله
فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سوا في الشناعة واستجلاب
العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التا والله يعصمك من
الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله
لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم
بعثني الله تعالى برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي
عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد
عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد بالتبليغ
ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية
ما يحرم افشاوه قل يا اهل الكتاب لستم على شي اي دين يعتد به ويصح ان يسمى
شيا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها
امرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة

اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المومنين مندوحة لك عنهم
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى سبق تفسيره في سورة
البقرة والصابيون رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في خبر
ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابيون كذلك
كقوله واني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في
شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابيون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك
ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه
ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز
عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا
لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابيين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما
بعدها في موضع الرفع بالابتدا وقيل الصابيون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز
بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتدا وخبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرى والصابين
وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة يا والصابون بحذفها من صبا بابدال
الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا
عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا
لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرايع
او مشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة
رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو
استيناف وانما جي بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا

لها واستعظاما للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة
على رؤس الاي • وحسبوا ان لا تكون فتنة • اي وحسب بنو اسرايل ان لا يصيبهم بلا
وعذاب بقتل الانبيا وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسايي ويعقوب لا تكون
بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف
لضمير الشان وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيله منزلة العلم
لتمكنه من قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه • فعموا عن الدين
او الدلايل والهدي • وصموا • عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل • ثم تاب
الله عليهم • اي ثم تابوا فتاب الله عليهم • ثم عموا وصموا • كرة اخرى وقري بالضم
فيهما على ان الله تعالى عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل في اللغة
والفاشية اعمى واصم • كثير منهم • بدل من الضمير او الفاعل والواو علامة الجمع كقولهم
اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا
والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع • والله بصير بما
يعملون • فيجازيهم وفق اعمالهم • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم • اي اني عبد مربوب مثلكم
فاعبدوا خالقي وخالقكم • انه من يشرك بالله • في عبادته او فيما يختص به من
الصفات والافعال • فقد حرم الله عليه الجنة • يمنع من دخولها كما تمنع المحرم
عليه من المحرم فانها دار الموحدين • ومأواه النار • فانها المعدة للمشركين • وما
للظالمين من انصار • اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر
تسجيلا على انهم ظالمون بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون
من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تعالى نبيه على انهم قالوا ذلك تعظيما
لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره • لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة • اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
منهم والملكانية منهم القايلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية
القايلين بالاتحاد • وما من اله الا اله واحد • وما في الموجودات واجب مستحق
للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية

متعال

متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق • وان لم ينتهوا عما يقولون • ولم
يوحدوا • ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم • اي ليمسن الذين بقوا منهم على
الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة
على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه
بقوله • افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه • اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد
والاقوال الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا
التقرير والتهديد • والله غفور رحيم • يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي
هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم • ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل • اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله تعالى بايات كما خصهم بها فان
احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب
وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب • وامه صديقة •
كساير النسا اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبيا • كانا ياكلان الطعام • ومن
ويفتقر الى الغذا افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمالات ودل على انه
لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر
ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكاينة الفاسدة ثم تعجب
ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال • انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر انى يوفكون • كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت
ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب • قل اتعبدون من
دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا • يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك
الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك منه ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما
ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي
القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة
والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري
النفع • والله هو السميع العليم • بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر • قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق • اي غلوا باطلا فترفعوا

عيسى الى ان تدعوا له الالوهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشده وقيل الخطاب
للنصارى خاصة • ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل • يعني اسلافهم وايمتهم الذين
ضلوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم • واضلوا كثيرا • شايعهم على
بدعهم وضلالهم • وضلوا عن سوا السبيل • عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد
مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل
والثاني اشارة الى ضلالهم عما جا به الشرع • لعن الذين كفروا من بني اسرايل على
لسان داود وعيسى بن مريم • اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل
اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم الله على لسان داود فمسخهم الله قردة وخنازير
واصحاب المايدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة
الاف رجل • ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • اى ذلك اللعن الشنيع المقتضي
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدايهم ما حرم الله عليهم • كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه • اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر او عن منكر
ارادوا فعله وتهيوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا
امتنع • لبيس ما كانوا يفعلون • تعجيب من سوء فعلهم موكدا بالقسم • ترى كثيرا منهم
من اهل الكتاب • يتولون الذين كفروا • يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنين • لبيس ما قدمت لهم انفسهم • اي لبيس شيا قدموا
ليردوا عليه يوم القيامة • ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون • هو المخصوص
بالذم والمعنى وجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف
اي لبيس شيا وذلك لان كسبهم السخط والخلود • ولو كانوا يومنون بالله والنبي
يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا • وما انزل اليه ما اتخذوهم
اوليا • اذ الايمان يمنع ذلك • ولكن كثيرا منهم فاسقون • خارجون عن دينهم او
متمردون في نفاقهم • لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا •
لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد
وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبيا ومعاداتهم • ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى • للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم

بالعلم

بالعلم والعمل واليه اشار بقوله • ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع
والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت من كافر • واذا
سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع • عطف على لا يستكبرون وهو
بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه
والفيض انصباب عن امتلا فوضع موضع الامتلا للمبالغة او جعلت اعينهم من
فرط البكا كانها تفيض بانفسها • مما عرفوا من الحق • من الاولى للابتدا والثانية
لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق
فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله • يقولون ربنا امنا • بذلك او بمحمد • فاكتبنا مع
الشاهدين • من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهدا
على الامم يوم القيامة • وما لنا لا نومن بالله وما جانا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين • استفهام انكار واستبعاد لانتفا الايمان مع قيام
الدواعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سايل
قال لم امنتم ولا نومن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اى اي شي
حصل لنا غير مومنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطية وتعظيما ونطمع عطفا على
نومن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مبتدا
بها او بنومن • فاثابهم الله بما قالوا • اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي
معتقده • جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا المحسنين •
الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات
الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر
الرهبان والقسيسين وامر جعفرا ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم
فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه
وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم سورة يس فبكوا وامنوا

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اوليك اصحاب الجحيم؛ عطف التكذيب بايات الله
علي الكفر وهو ضرب منه لان القصد الي بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين
بهاجمعا بين الترغيب والترهيب؛ يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم؛ اي ما طاب ولذ منه كانه لما يضمن ما قبله مدح النصاري علي ترهيبهم والحث
علي كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتدا عما احل
الله تعالي بجعل الحلال حراما فقال؛ ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين؛ ويجوز
ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الي ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن
تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الي القصد بينهما روي ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا
في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا علي ان لا يزالوا صايمين قايمين وان لا
يناموا علي الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر
واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت؛ وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا؛ اي وكلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا
مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من المفعول او العايد المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلي الوجوه لو لم يقع الرزق علي الحرام لم يكن لذكر الحلال
فايدة زايدة؛ واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم؛
هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلي والله واليه ذهب الشافعي
رضي الله تعالي عنه وقيل الحلف علي ما يظن به كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة
رضي الله تعالي عنه وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه؛ ولكن
يواخذكم بما عقدتم الايمان؛ بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والمعني ولكن
يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة

والكسائي وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم برواية بن ذكوان وهو من
فاعل بمعني فعل؛ فكفارته؛ اي فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره
واستدل بظاهره علي جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية
لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف علي يمين فراي غيرها خيرا منها فليكفر عن
يمينه وليات الذي هو خير؛ اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم؛
من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند ابي حنيفة
ومحله النصب لانه صفة لمفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع علي البدل من اطعام واهلون كارضون وقري
اهاليكم بسكون اليا علي لغة من سكنها في الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل
كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاه؛ او كسوتهم؛ عطف علي
اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب تغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص
او ردا او ازار وقري بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة وكاسوتهم بمعني او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف
في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم؛ او تحرير رقبة؛ او اعتاق انسان
وشرط الشافعي رضي الله تعالي عنه فيه الايمان قياسا علي كفارة القتل ومعني
او ايجاب احدي الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين؛ فمن لم
يجد؛ اي واحدا منها؛ فصيام ثلاثة ايام؛ فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط
ابو حنيفة رضي الله تعالي عنه فيه التتابع لانه قري ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة؛ ذلك؛ اي المذكور
كفارة ايمانكم اذا حلفتم؛ اي اذا حلفتم وحنثتم؛ واحفظوا ايمانكم؛ بان تضنوا
بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم تفت بها خيرا او
بان تكفروها اذا حنثتم؛ كذلك؛ اي مثل ذلك البيان؛ يبين الله لكم اياته؛
اعلام شرايعه؛ لعلكم تشكرون؛ نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان
مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه؛ يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب؛ اي الاصنام التي نصبت للعبادة؛ والازلام؛ سبق تفسيرها في
اوايل السورة الكريمة ايضا

والشافعي لا يري التتابع حجة الوجود الشواذ

اول السورة • رجس • قذر معاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات
محذوف او المضاف المحذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر • من عمل الشيطان •
لانه مسبب من تسويله وتزيينه • فاجتنبوه • الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي
لعلكم تفلحون • لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر
في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا
وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر
بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين
ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال • انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلاة • وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما
المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة
والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة
من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من
حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتها بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال • فهل انتم منتهون •
ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت •
واطيعوا الله واطيعوا الرسول • فيما امرا به • واحذروا • ما نهيا عنه او مخالفتهما
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين • اي فاعلموا انكم لم تضروا
الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم انفسكم • ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا • مما لم يحرم عليهم لقوله • اذا ما اتقوا
وامنوا وعملوا الصالحات • اي اذا ما اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال
الصالحة • ثم اتقوا • ما حرم عليهم بعد كالخمر • وامنوا • بتحريمه • ثم اتقوا • ثم
استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي • واحسنوا • وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا
بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قال الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين
ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير

باعتبار

ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت اه

باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان
التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله
ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه
الصلاة والسلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدا والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان تترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات تحرزا للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة • والله يحب المحسنين • فلا يواخذهم
بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا • يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم • نزلت عام
الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث
يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل
والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظايم التي تدحض الاقدام كالابتلا
ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب • ليميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه
ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او
تعلق العلم • فمن اعتدى بعد ذلك • بعد ذلك الابتلا بالصيد • فله عذاب اليم •
فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله تعالى فيه
فكيف به فيما يكون فيه النفس اميل اليه واحرص عليه • يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم • اي محرمون جمع حرام كرداح وردح وله ذكر القتل دون الذبح
والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يوكل لحمه فانه الغالب فيه عرفا ويويده
قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب
والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من
التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق
مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها
الغاصب • ومن قتله منكم متعمدا • ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله

والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزا فان اتلاف العامد والمخطي واحد في
ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه وان الاية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله
فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزا والمثل قراة الكوفيين ويعقوب
بمعنى فعليه او فواجبه جزا يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزا
للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة فلا يوصف ما لم يتم بها وانما
يكون صفة وقرا الباقون على اضافة المصدر الي المفعول وافخام مثل كما في قولهم
مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقري فجزا مثل ما قتل
بنصبهما على فليجز جزا او فعليه ان يجزي جزا يماثل ما قتل او فجزاوه مثل ما
قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند
ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن الهدي تخير بين ان
يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ
تخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق يحكم به ذوي عدل منكم صفة
جزا ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في خبره او منه اذا اصفته او وصفته او
رفعته بخبر مقدر وكان التقويم يحتاج الي نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقري ذو عدل على ارادة
الجنس او الامام هديا حال من الها في به او من جزا وان نون لتخصيصه بالصفة
او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به
هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به
ثم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شا او كفارة
عطف على جزا ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف
بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام
بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رضي الله تعالي
عنه وان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد

فيعطي

فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما اي ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام
كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقري بكسر العين وهو ما عدل
بالشي في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق
وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزا او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله
وسو عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال
الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية
او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم
الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العايد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز
ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا
في الما وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر هو الطهور ماوه والحل
ميتته وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يحل منه الا السمك وقيل يحل
السمك وما يوكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير
للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا نصب على الغرض وللسيارة اي
ولسيارتكم تتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد
فيه فعلي الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن فيه مدخل والجمهور
على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصيد
لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقري بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي
اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه او لتربعه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا
لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخايف ويامن فيه الضعيف
وتربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به من امر دينهم ودنياهم
وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه
على المصدر او على الحال والشهر الحرام والهدي والقلايد سبق تفسيرها
والمراد بالشهر الشهر الذي يودي فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب
لقرنايه وقيل الجنس ذلك اشارة الي الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة

من باب علم ... او لتربعه ... [illegible]

الاحرام وغيره • لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض • فان شرع
الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع
وكمال علمه • وان الله بكل شيء عليم • تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق
• اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم • وعيد ووعد لمن انتهك
محارمه ولمن حافظ عليها اولمن اصر عليه ولمن انقلع عنه • ما على الرسول الا
البلاغ • تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم
يبق لكم عذر في التفريط • والله يعلم ما تبدون وما تكتمون • من تصديق وتكذيب
وفعل وعزيمة • قل لا يستوي الخبيث والطيب • حكم عام في نفي المساواة عند
الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في
صالح العمل وحلال المال • ولو اعجبك كثرة الخبيث • فان العبرة بالجودة والرداءة
دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل
معتبر ولذلك قال • فاتقوا الله يا اولي الالباب • اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر واثروا الطيب وان قل • لعلكم تفلحون • راجين ان تبلغوا الفلاح
روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان
كانوا مشركين • يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم وان
تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم • الشرطيه وما عطف عليها صفتان
لاشيا والمعنى لا تسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا ان تظهر لكم
تغمكم وان تسالوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين ينتجان ما منع
ما منع السوال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشيا اسم جمع لطرفا
غير انه قلبت لامه فجعلت لفعا وقيل افعلا فحذفت لامه جمع لشي على ان اصله
شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت
وابيات ويرده منع صرفه • عفى الله عنها • صفة اخرى اي عن اشيا عفى الله عنها
ولم يكلف بها اذ روي انها لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقه بن مالك
الكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا
ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او

استيناف

استينافا اي عفى الله عما سلف من مسالتكم فلا تعودوا الى مثلها • والله غفور
حليم • لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفوا عن كثير وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان
من كثرة ما يسالون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسال عن شيء الا اجبت فقال
رجل اين انا فقال في النار وقال اخر من ابي فقال ابوك حذافة وكان يدعى
لغيره فنزلت • قد سالها قوم • الضمير للمسالة التي دل عليها تسالوا ولذلك
لم يعد بعن او لاشيا بحذف الجار • من قبلكم • متعلق بسالها وليس صفة لقوم
فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها • ثم اصبحوا
بها كافرين • اي بسببها حيث لم ياتمروا بما سالوا وجحدوا • ما جعل الله من بحيرة
ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام • رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا
سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سايبة
ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم
وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح
لها الذكر وان انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ما
ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى
مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة • ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب • بتحريم ذلك ونسبته اليه • واكثرهم لا يعقلون • اي الحلال من الحرام
والمبيح من المحرم او الامر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف
بطلان ذلك ولكن يمنعه حب الرياسة وتقليد الابا ان يعترف به • واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا • بيان
لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا مستند لهم سواه • اولو كان اباؤهم
لا يعلمون شيا ولا يهتدون • الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل
على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان
الاقتدا انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد

يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا صلاحها والجار مع المجرور
جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقري بالرفع علي الابتداء لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتدا ان ينكر المنكر حسب
طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من راي منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده
فليغيره وان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان
المؤمنون يتحسرون علي الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم
قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع علي انه مستانف ويويده
انه قري لا يضيركم والجزم علي الجواب او النهي لكنه ضمت الرا اتباعا لضمة
الضاد المنقولة اليها من الرا المدغمة وينصره قراة من قرا لا يضركم بالفتح ولا
يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الي الله مرجعكم جميعا
فينبيكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه علي ان احدا لا يواخذ
بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم
والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الي الظرف علي الاتساع وقري شهادة
بالنصب والتنوين علي ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت
اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه علي ان
الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة
ويجوز ان يكون خبرها علي حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او
من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران من غيركم عطف علي اثنان ومن
ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته علي المسلم لا تسمع اجماعا
ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي
قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط
بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة
علي انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف
كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة
صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار

وقيل

وقيل اي صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري
به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب
والمعني لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله تعالي كاذبا
لطمع ولو كان ذا قربي ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا
نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه
وقف علي شهادة ثم ابتدا الله بالمد علي حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمنا
وقري لملاثمين بحذف الهمزة والقا حركتها علي اللام وادغام النون فيها فان عثر
فان اطلع علي انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران اي فشا هدان
اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين جني عليهم وهم
الورثة وقرا حفص استحق علي البنا للفاعل وهم الاوليان الاوليان الاحقان
بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر
لاخران او مبتدا خبره اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرا حمزة و
ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين علي انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين
استحق عليهم وقري الاولين علي التثنية وانتصابه علي المدح والاولان واعرابه
اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما واولي بان يقبل
وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل
موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعني الايتين ان المحتضر اذا اراد
الوصية ينبغي ان يشهد عدلين ذوي نسبه او دينه علي وصيته او يوصي اليهما
احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع
وارتياب اقسما علي وفق صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع علي انهما
كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اوليا الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان
شاهدين لا يحلف الشاهد ولا نعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا
وصيين ورد اليمين الي الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي
باليمين لامانته او لتغيير الدعوي اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدي

خرجا الى الشام للتجارة وكانا جنيبذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه
ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه
اناء من فضة فيه ثلاث مائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله
الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة
العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في
ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد بخصوص الواقعة
ذلك • اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد • ادنى ان ياتوا بالشهادة على
وجهها • على نحو ما تحملوها من غير تحليف وخيانة فيها • او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم • ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم • واتقوا الله واسمعوا •
ما يوصون به سمع اجابة • والله لا يهدي القوم الفاسقين • اي فان لم تتقوا ولم
تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة
فقوله • يوم يجمع الله الرسل • ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب
باضمار اذكر • فيقول • اي للرسل • ماذا اجبتم • اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع
المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السوال لتوبيخ قومهم كما ان سوال الموؤدة
لتوبيخ الوايد ولذلك • قالوا لا علم لنا • اي لا علم لنا بما لست تعلمه • انك انت
علام الغيوب • فتعلم ما اجابونا به واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم
وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب
علمك ولا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان
الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام

منصوب

منصوب على الاختصاص او النداء وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث
وقع • اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك • بدل من يوم يجمع
وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ
بسوال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طايفة وسموهم
سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر • اذ ايدتك • قويتك
وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك • بروح القدس • بجبريل عليه الصلاة
والسلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة طيبة ويطهر من الاثام
ويدل عليه قوله • تكلم الناس في المهد وكهلا • اي كاينا في المهد وكهلا والمعنى يكلمهم
في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهول
في كمال العقل والتكلم وبه ما استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يكتهل • واذ
علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج
الموتى باذني • سبق تفسيرها في سورة ال عمران وقرا نافع ويعقوب طائرا
ويحتمل الافراد والجمع كالباقر • واذ كففت بني اسرائيل عنك • يعني اليهود حين
هموا بقتله • اذ جئتهم بالبينات • ظرف لكففت • فقال الذين كفروا منهم ان
هذا الا سحر مبين • اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائي الا
ساحر فالاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام • واذ اوحيت الى الحواريين •
اي امرتهم على السنة رسلي • ان امنوا بي وبرسولي • يجوز ان تكون ان مصدرية
وان تكون مفسرة • قالوا امنا واشهد باننا مسلمون • مخلصون • اذ قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم • منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها
على ان ادعاهم الاخلاص مع قولهم • هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء • لم يكن بعد عن تحقق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على
ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي
تستطيع ربك اى سوال ربك والمعنى هل تساله ذلك من غير صارف والمائدة

قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه

الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة ❁ قال اتقوا الله ❁ من امثال هذا السوال ❁ ان كنتم مومنين ❁ بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعايكم الايمان ❁ قالوا نريد ان ناكل منها ❁ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الي السوال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها ❁ وتطمين قلوبنا ❁ بانضمام علم المشاهدة الي علم الاستدلال بكمال قدرته ❁ ونعلم ان قد صدقتنا ❁ في ادعا النبوة وان الله يجيب دعوتنا ❁ ونكون عليها من الشاهدين ❁ اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر ❁ قال عيسى بن مريم ❁ لما راي ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها ❁ اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما تكون لنا عيدا ❁ اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العايد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا وقرئ يكن على جواب الامر ❁ لاولنا واخرنا ❁ بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطايفة ❁ واية ❁ عطف على عيدا ❁ منك ❁ صفة لها اى اية كاينة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي ❁ وارزقنا ❁ المايدة والشكر عليها ❁ وانت خير الرازقين ❁ خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض ❁ قال الله اني منزلها عليكم ❁ اجابة الي سوالكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد ❁ فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا ❁ اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة ❁ لا اعذبه ❁ الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف الجار ❁ احدا من العالمين ❁ اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمرا بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند

راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة فقال ليس منهما ولكن اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المايدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا فيجتمع عليها الفقرا والاغنيا والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فا الفي طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا بري ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الي عيسى عليه الصلاة والسلام ان اجعل مايدتي في الفقرا والمرضى دون الاغنيا والاصحا فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعدالله تعالى بانزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المايدة هاهنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذا الروح كما ان الاغذية غذا البدن وعلى هذا لعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السوال والحوا فيها فسال لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل ضلالا بعيدا ❁ واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ❁ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانما عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الي عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الي الله ۝

قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما
ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه
ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس
الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه
ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه
ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقا الموصول بلا راجع او خبر مضمر
او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون
مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا
يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول
القول بالامر فكان قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السما كقوله اني متوفيك
ورافعك الي والتوفي اخذ الشي وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب
لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلايل والتنبيه
عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شي شهيد مطلع عليه مراقب
له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض
على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم
عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز
ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب
ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت
فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه
لذاته فلا امتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

وقرا

وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر
وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني
على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق
الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله
ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي قدير تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلا وقال
ما فيهن اتباعا لهم لان غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية
والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية
ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى باراده العموم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة المايدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر
سيات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام

مكية غير ست ايات او ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا
وهي ماية وخمس وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم
الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات
دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار و
الحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور
انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى
التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات
لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور
الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة
كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم
الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق
هذه الاشيا اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او ن
عطف على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون
به ما لا يقدر على شي منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان ۞
والبا على الاول متعلقة بكفروا او صلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه
ليقع الانكار عن نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار
يعدلون بربهم الاوثان اويسوونها به • هو الذي خلقكم من طين • اي ابتدا
خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم
فحذف المضاف • ثم قضى اجلا • اجل الموت • واجل مسمى عنده • اجل القيامة ۞
وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل
كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول
لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى
عن تقديم الخبر والاستيناف به وللتعظيم ولذلك نكر ووصف بانه مسمى
اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه
بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه • ثم انتم تمترون • استبعاد لامترائهم
بعد ان ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق
المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشا كان اقدر على جمع تلك
المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث
والامترا الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع • وهو الله • الضمير
لله والله خبره • في السموات وفي الارض • متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق
للعبادة فيهما لا غير لقوله وهو الذي في السما اله وفي الارض اله او بقوله • يعلم
سركم وجهركم • الجملة خبر ثان او هو الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية
كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه
او ظرف مستقر وقع خبرا المعنى انه تعالى بكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم

سركم

سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا يتقدم • ويعلم
ما تكسبون • من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر
ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح • وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم • من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر
لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او انه من ايات القران • الا كانوا
عنها معرضين • تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه • فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم • يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين
عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا
عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك
رتب عليه ثالثا • فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به يستهزون • اي سيظهر
لهم ما كانوا به يستهزون عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الاخرة او عند ظهور
الاسلام وارتفاع امره • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن • اي من اهل زمان
والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهو سبعون سنة وقيل ثمانون سنة
وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فايق في العلم قلت المدة او كثرت
واشتقاقه من قرنت • مكناهم في الارض • جعلنا لهم فيها مكانا او قررناهم
فيها واعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
• ما لم نمكن لكم • ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم
من القوة والسعة في المال او الاستظهار بالعدد والاسباب • وارسلنا
السما عليهم • اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها • مدرارا •
مغزارا • وجعلنا الانهار تجري من تحتهم • فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار
والثمار • فاهلكناهم بذنوبهم • اي لم يغن ذلك عنهم شيئا • وانشانا • واحدثنا
• من بعدهم قرنا اخرين • بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك
بكم • ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس • مكتوبا في ورق • فلمسوه بايديهم
فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت

ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز لانه قد يتجوز به بالفحص كقوله وانا لمسنا السما • لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ؛ تعنتا وعنادا • وقالوا لولا انزل عليه ملك ؛ هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي لقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا • ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ؛ جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم • ثم لا ينظرون ؛ بعد نزوله طرفة عين • ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ؛ جواب ثان ان جعل الها للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شا ربنا لانزل ملايكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوي على روية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبيا لقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي تخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقري لبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة • ولقد استهزي برسل من قبلك ؛ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يري من قومه • فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون ؛ فاحاط بهم الذين كانوا يستهزيون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزايهم • قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ؛ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ها هنا ولذلك قيل ان معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين • قل لمن ما في السموات والارض ؛ خلقا وملكا وهو سوال تبكيت • قل لله ؛ تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره • كتب على نفسه الرحمة ؛ التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما نعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده •

نقص

بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر • ليجمعنكم الى يوم القيامة ؛ استينافا وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم • لا ريب فيه ؛ في اليوم او الجمع • الذين خسروا انفسهم ؛ بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتدا والخبر • فهم لا يومنون ؛ والفا للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان • وله ما سكن في الليل والنهار ؛ عطف على لله من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك واكتفى باحد الضدين عن الاخر • وهو السميع ؛ بكل مسموع • العليم ؛ بكل معلوم فلا يخفى عليه شي ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم • قل اغير الله اتخذ وليا ؛ انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك • فاطر السموات والارض ؛ مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال لك احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قري فطر وقري بالرفع والنصب على المدح • وهو يطعم ولا يطعم ؛ يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقري ولا يطعم بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى لقوله تعالى يقبض ويبسط • قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ؛ لان النبي سابق امته في الدين • ولا تكونن من المشركين ؛ وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه

علي قلل • قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم • مبالغة اخري في قطع
اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة • من يصرف عنه يومئذ
اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكساي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف
علي ان الضمير فيه لله وقد قري باظهاره والمفعول به محذوف اي يومئذ بحذف
المضاف • فقد رحمه • نجاه وانعم عليه • وذلك الفوز المبين • اي الصرف او
الرحمه • وان يمسسك الله بضر • ببلية كمرض وفقر • فلا كاشف له • فلا قادر
علي كشفه • الا هو وان يمسسك بخير • بنعمة كصحة وغني • فهو علي كل شي قدير •
فكان قادرا علي حفظه وادامته فلا يقدر غيره علي دفعه لقوله تعالى فلا راد
لفضله • وهو القاهر فوق عباده • تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة •
وهو الحكيم • في امره وتدبيره • الخبير • بالعباد وخفايا احوالهم • قل اي شي
اكبر شهادة • نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصاري
فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا ما يشهد لك انك رسول الله
والشي يقع علي كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة • قل الله • اي الله
اكبر شهادة ثم ابتدا • شهيد بيني وبينكم • اي هو شهيد ويجوز ان يكون
الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شي شهادة ٥
• واوحي الي هذا القران لانذركم به • اي بالقران واكتفي بذكر الانذار عن
ذكر البشارة • ومن بلغ • عطف علي ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل
مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين ولانذركم ايها الموجودون
ومن بلغه الي يوم القيامة وهو دليل ان احكام القران تعم الموجودين وقت
نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم تبلغه • اينكم لتشهدون ان مع الله
الهة اخرى • تقرير لهم مع انكار واستبعاد • قل لا اشهد • بما يشهدون • قل
انما هو اله واحد • اي بل اشهد ان لا اله الا هو • وانني بري مما تشركون •
يعني الاصنام • الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه • يعرفون رسول الله بحليته
المذكورة في التوراة والانجيل • كما يعرفون ابناهم • بحلاهم • الذين خسروا انفسهم

من اهل الكتاب والمشركين • فهم لا يومنون • لتضييعهم ما به يكتسب الايمان • ومن
اظلم ممن افتري علي الله كذبا • كقولهم الملايكة بنات الله وهولاء شفعاونا عند الله
• او كذب باياته • كمن كذب بالقران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم
قد جمعوا بين الامرين تنبيها علي ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم
علي النفس • انه • الضمير للشان • لا يفلح الظالمون • فضلا عمن لا احد اظلم منه
• ويوم نحشرهم جميعا • منصوب بمضمر تهويلا للامر • ثم نقول للذين اشركوا
اين شركاوكم • اي الهتكم التي جعلتموها شركا الله وقرا يعقوب يحشرهم
ويقول بالياء • الذين كنتم تزعمون • اي تزعمونهم شركا فحذف المفعولان والمراد
من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها في
الساعة التي علقوا بها الرجا فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم
فكانه غيب عنهم • ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا • اي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنة الذهب اذا خلصته
وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن
كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتا وفتنتهم بالرفع علي انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر عنه بالبا والنصب علي ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر لقولهم من
كانت امك والباقون بالتا والنصب • والله ربنا ما كنا مشركين • يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو
لا يوافق قوله • انظر كيف كذبوا علي انفسهم • اي بنفي الشرك عنها وحمله علي
كذبهم في الدنيا تعسف مخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكساي ربنا بالنصب علي النداء او المدح
• وضل عنهم ما كانوا يفترون • من الشركا • ومنهم من يستمع اليك • حين تتلو
القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا فقالوا للنضر
ما نقول فقال والذي جعلها بينه ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه

ويقول اساطير الاولين مثل ما احدثتكم • وجعلنا على قلوبهم اكنة : اغطية جمع
كنان وهو ما يستر الشيء • ان يفقهوه : كراهة ان يفقهوه • وفي اذانهم وقرا : تمنع
من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة • وان يروا كل اية لا يومنوا
بها : لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم • حتى اذا جاوك يجادلونك : اي
بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا
عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو • يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين :
فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال
لمجيهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاوك على موضع الجر ويجادلونك جواب
ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار
جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط • وهم ينهون عنه : اي ينهون الناس عن
القران او الرسول والايمان به • وينا ون عنه : بانفسهم او ينهون عن التعرض له
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينا ون عنه فلا يومنون به كابي طالب • وان
يهلكون : اي وما يهلكون بذلك • الا انفسهم وما يشعرون : ان ضرره لا
يتعداهم الى غيرهم • ولو ترى اذ وقفوا على النار : جوابه محذوف اي ولو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقري وقفوا على البنا للفاعل من وقف عليه
وقوفا • فقالوا يا ليتنا نرد : تمنيا للرجوع الى الدنيا • ولا نكذب بايات ربنا
ونكون من المومنين : استيناف كلام منهم على وجه الاثبات لقولهم دعني ولا اعود
اي انا لا اعود ان تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون
في حكم المتمني • وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعيد ونصبها
حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفا
وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب • بل بدا لهم ما
كانوا يخفون من قبل : الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه
ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما
على انهم لو ردوا لامنوا • ولو ردوا : اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور • لعادوا :

لما نهوا عنه : من الكفر والمعاصي • وانهم لكاذبون : فيما وعدوا من انفسهم • وقالوا
عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في
الدنيا • ان هي الا حياتنا الدنيا : الضمير للحياة • وما نحن بمبعوثين ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم : مجاز عن الحبس للسوال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضا
ربهم او جزايه او عرفوه حق التعريف • قال اليس هذا بالحق : كانه جواب قايل
قال ماذا قال ربهم حينيذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى
البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب • قالوا بلى وربنا : اقرار موكد باليمين
لانجلا الامر غاية الانجلا • قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون : بسبب
كفركم او ببدله • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله : اذ فاتهم النعيم واستو
العذاب المقيم ولقا الله البعث وما يتبعه • حتى اذا جاتهم الساعة : غاية
لكذبوا لا لخسروا لان خسرانهم لا غاية له • بغتة : فجاة ونصبها على الحال او
المصدر فانها نوع من المجي • قالوا يا حسرتنا : اي تعالي فهذا اوانك • على ما فرطنا :
قصرنا • فيها : في الحياة الدنيا اضمرت وان لم تجر ذكرها للعلم بها او في الساعة
يعني في شانها والايمان بها • وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم : تمثيل
لاستحقاقهم اصار الاثام • الا سا ما يزرون : بيس شيا يزرونه وزرهم
• وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو : اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دايمة او لذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان
هي الا حياتنا الدنيا • وللدار الاخرة خير للذين يتقون : لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب
ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة • افلا تعقلون : اي الامرين خير وقرا
نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتا على خطاب المخاطبين به او
تغليب الحاضرين على الغايبين • قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون : معنى
قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله • ولكنه قد يهلك المال نايله • والهاء في
انه للشان وقري ليحزنك من احزن • فانهم لا يكذبونك : في الحقيقة
وقرا نافع والكسايي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب

ولكن الظالمين بايات الله يجحدون • ولكنهم يجحدون ايات الله تعالى ويكذبونها
فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم
على الظلم والبا لتضمين الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك
وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جيت به فنزلت • ولقد كذبت رسل من
قبلك • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك
ليس بنفي تكذيبه مطلقا • فصبروا على ما كذبوا واوذوا • على تكذيبهم وايذا بهم
فتاس بهم واصبر • حتى اتاهم نصرنا • فيه انما بوعد النصر للصابرين • ولا مبدل
لكلمات الله • لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات
ولقد جاءك من نبا المرسلين • اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم • وان كان كبر
عليك • عظم وشق • اعراضهم • عنك وعن الايمان بما جيت به • فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية • منفذا ينفذ فيه الي
جوف الارض فيطلع لهم اية او مصعدا يصعد به الى السما فتنزل منها اليه اية
وفي الارض صفة لنفقا وفي السما صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي
او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة
جواب الاول المقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم
باية من تحت الارض او فوق السما لاتى بها رجا ايمانهم • ولو شا الله لجمعهم على
الهدي • اي ولو شا الله جمعهم على الهدي لوفقهم للايمان حتى يومنوا ولكن لم
تتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شا لجمعهم على الهدى
بان ياتيهم باية ملجيه ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة • فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع على مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة • انما
يستجيب الذين يسمعون • انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل لقوله او القى
السمع وهو شهيد وهولا كالموتى الذين لا يسمعون • والموتى يبعثهم الله •
فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان • ثم اليه يرجعون • للجزا • وقالوا لولا نزل عليه
اية من ربه • اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة
لعدم اعتدادهم بها عنادا • قل ان الله قادر على ان ينزل اية • مما اقترحوه او اية

تضطرهم

تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا • ولكن اكثرهم لا يعلمون •
ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلا وان لهم فيما انزل مندوحة
عن غيرهم قرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد • وما من دابة في الارض •
تدب على وجهها • ولا طاير يطير بجناحيه • في الهوي وصفه به قطعا لمجاز
السرعة ونحوها وقري ولا طاير بالرفع على المحل • الا امم امثالكم • محفوظة
مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول
علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على ان ينزل اية وجمع الامم ليحمل على المعنى
• ما فرطنا في الكتاب من شي • يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في
العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد
دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن زايدة وشي في موضع
المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدي بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب
وقري ما فرطنا بالتخفيف • ثم الى ربهم يحشرون • يعني الامم كلها فينتصف
بعضها من بعض كما روي انه يوخذ للجما من القرنا وعن ابن عباس حشرها موتها
• والذين كذبوا باياتنا صم • لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم • وبكم • لا ينطقون بالحق • في
الظلمات • خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة
العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر • من يشا
الله يضلله • من يشا الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة • ومن
يشا يجعله على صراط مستقيم • بان يرشده الى الهدي ويحمله عليه • قل ارايتكم •
استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من
الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما
قاله الكوفيون لعدي الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال
ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم
تنفعكم اذ تدعونها وقرا نافع ارايتكم وارايت وارايتم وافرايت وشبهه اذا
كان قبل الرا همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الرا والكسائي يحذفها اصلا

والباقون تخفعون وحمزة اذا وقف وافق نافعا، ان اتاكم عذاب الله: كما اتى من
قبلكم، او اتتكم الساعة: وهولها ويدل عليه، اغير الله تدعون: وهو تبكيت لهم
ان كنتم صادقين: ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه، بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعا كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه: اي ما تدعونه الى كشفه، ان شاء: ان يتفضل عليهم
ولا يشا في الاخرة، وتنسون ما تشركون: وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز
في العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك: اي قبلك ومن زايده، فاخذناهم: اي فكفروا
وكذبوا المرسلين فاخذناهم، بالباسا: بالشدة والفقر، والضراء: الضر والافات
وهما صفتان تانيث لا مذكر لهما، لعلهم يتضرعون: يتذللون ويتوبون عن
ذنوبهم، فلولا اذ جاهم باسنا تضرعوا: معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع
قيام ما يدعوهم، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون:
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا
قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم، فلما نسوا ما ذكروا به
من الباسا والضراء ولم يتعظوا به، فتحنا عليهم ابواب كل شي: من انواع النعم
مزاوجة عليهم بين نوبتي الضراء والسرا وامتحانا لهم بالشدة والرخا الزاما
للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم
ورب الكعبه وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب
فيما عدا هذا والذي في الاعراف، حتى اذا فرحوا: اعجبوا، بما اوتوا: من النعم
ولم يزيدوا على النظر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه، اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون: متحسرون ايسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا:
اي اخذهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه، والحمد لله رب
العالمين: على اهلاكهم فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص
لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة عظيمة يحق ان يحمد عليها، قل ارايتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم: اصمكم واعماكم، وختم على قلوبكم: بان يغطي عليها ما

يزول

يزول به عقلكم وفهمكم، من اله غير الله ياتيكم به: اي بذلك او بما اخذ وختم عليه
او باحد هذه المذكورات، انظر كيف نصرف الايات: نكررها تارة من جهة
المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه
والتذكير باحوال المتقدمين، ثم هم يصدفون: يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها، قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة:
من غير مقدمة، او جهرة: يتقدمها امارة توذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا
وقرئ بغتة او جهرة، هل يهلك: اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب، الا القوم
الظالمون: ولذلك صح الاستثنا المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح اليا، وما نرسل
المرسلين الا مبشرين: المومنين بالجنة، ومنذرين: الكافرين بالنار ولم
نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم، فمن امن واصلح: ما يجب اصلاحه على ما شرع
لهم، فلا خوف عليهم: من العذاب، ولا هم يحزنون: بفوت الثواب، والذين كذبوا
باياتنا يمسهم العذاب: جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم
واستغنى بتعريفه عن التوصيف، بما كانوا يفسقون: بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة، قل لا اقول لكم عندي خزاين الله: مقدوراته او خزاين
رزقه، ولا اعلم الغيب: ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة
المقول، ولا اقول لكم اني ملك: اي من جنس الملايكة واقدر على ما تقدرون
عليه، ان اتبع الا ما يوحى الي: تبرا عن دعوى الالوهية والملايكة وادعى النبوة
التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه
قل هل يستوي الاعمى والبصير: مثال الضال والمهتدي او الجاهل والعالم
او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة، افلا
تتفكرون: فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع
الوحي مما لا محيص عنه، وانذر به: الضمير لما يوحى الي، الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم: هم المومنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مومنا
كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارعين
الجازمين باستحالته، ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع: في موضع الحال من ان

يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره
باكرام المتقين لتتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية
لقريش روي انهم قالوا لو طردت هولاء الاعبد يعنون الفقرا المسلمين كعمار
وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المومنين
قالوا فاقمهم عنا اذا جيناك قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الي ماذا
يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد
بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة
هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعا بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه
يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله تعالى كان
اعظم من ايمان من يطردهم بسوالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار
بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي
كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل
الضمير وقيل الضمير للمشركين والمعني لا تواخذ بحسابهم ولا هم بحسابك
حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المومنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو
جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه
التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف
احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا
هولاء الضعفا على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهولاء من الله
عليهم من بيننا اي اهولاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم
دوننا ونحن الاكابر والروسا وهم المساكين والضعفا وهو انكار لان يخص هولاء
من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير لقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام

للعاقبة

للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين من
من يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين
يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يومنون هم
الذين يدعون ربهم ووصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعدما وصفهم
بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدا بالتسليم او يبلغ سلام الله عليهم ويبشرهم
بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي
العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر
من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوا استيناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا
جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او متلبسا
بفعل الجاهلية فان ارتكاب ما يودي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل
ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود
اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي
فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات
ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين قراة نافع بالتا ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر
وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون
بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويونث ويجوز ان يعطف على علة
مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت
وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد
الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها
الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب

للنبي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبتدا ضلالهم وان ماهم
عليه هوي وليس بهدي وتنبيه لمن تحري الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد • قد
ضللت اذا • اي ان اتبعت اهواكم فقد ضللت • وما انا من المهتدين • اي في شي
من الهدي حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك • قل اني على بينة •
تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة
التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية او
ما يعمها • من ربي • من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينه
• وكذبتم به • الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار
المعنى • ما عندي ما تستعجلون به • يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم
فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم • ان الحكم الا لله • في تعجيل العذاب
وتاخيره • يقص الحق • اي القضا الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضي الدرع
اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضا الفصل بتمام الامر واصل
الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص
الخبر • وهو خير الفاصلين • القاضيين • قل لو ان عندي • اي في قدرتي ومكنتي
• ما تستعجلون به • من العذاب • لقضي الامر بيني وبينكم • لاهلكتكم عاجلا غضبا
لربي وانقطع ما بيني وبينكم • والله اعلم بالظالمين • في معنى استدراك كانه قال
ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يوخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم • وعنده
مفاتح الغيب • خزاينه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفاتيح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويويده ان قري
مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها • لا يعلمها الا هو • فيعلم
اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت
به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها • ويعلم ما في البر والبحر •
عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات
• وما تسقط من ورقة الا يعلمها • مبالغة في احاطة علمه بالجزيات • ولا حبة في
ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس • معطوفات على ورقة وقوله • الا في كتاب مبين •

بدل

بدل من الاستثنا الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح وقريت بالرفع على العطف على محل من ورقة او رفعا على الابتدا
والخبر الا في كتاب مبين • وهو الذي يتوفاكم بالليل • ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز فان اصله قبض الشي بتمامه • ويعلم ما جرحتم بالنهار • كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد • ثم يبعثكم • ثم يوقظكم
اطلق البعث ترشيحا للتوفي • فيه • في النهار • ليقضى اجل مسمى • ليبلغ المتيقظ
اخر اجله المسمى له في الدنيا • ثم اليه مرجعكم • بالموت • ثم ينبيكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم تلقون كالجيف بالليل
وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان
ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزايهم على اعمالهم • ثم اليه مرجعكم • بالحساب
• ثم ينبيكم بما كنتم تعملون • بالجزا • وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة •
ملايكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله
تكتب عليه وتعرض على روس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين
عليه • حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا • ملك الموت واعوانه وقرا
حمزة توفاه بالف ممالة • وهم لا يفرطون • بالتواني والتاخير وقري بالتخفيف
والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان • ثم ردوا الى الله • الى حكمه
وجزايه • مولاهم • الذي يتولاهم • الحق • العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقري
بالنصب على المدح • الا له الحكم • يوميذ لا حكم لغيره فيه • وهو اسرع الحاسبين •
يحاسب الخلايق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب • قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر • من شدايدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من
الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد

تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرى خفية بالكسر.
لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى يقولون لين انجيتنا
وقرا الكوفيون لين انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدد الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم
سواهما ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما
وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى
فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما
فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون
وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم
وعبيدكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا متحزبين على اهوا شتى فينشب
القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي
امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا
خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا والاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
بالتكذيب والاستهزا بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القران واما
ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسة حتى ينسيك النهي وقرا ابن عامر
ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزا
موضع التصديق والاعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبايح
اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شي شي مما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل

النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شي لان
من حسابهم يا باه ولا على شي كذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون
يجتنبون ذلك حيا او كراهة لمساتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون
والمعنى لعلهم يثبتون ولا ينثلم تقواهم روي ان المسلمين قالوا لان كنا نقوم
كلما استهزوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم
بنفع عاجلا واجلا كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم
الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات
عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز
ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا
باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة
الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فدا والعدل الفدية لانها تعادل المفدي
وهاهنا الفدا وكل نصب على المصدر لا يوخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى
ضميره بخلاف قوله ولا يوخذ منها عدل فانه المفدي به اولئك الذين ابسلوا بما
كسبوا اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بالله وتفصيل لذلك والمعنى
هم بين ما مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل في ابدانهم بسبب كفرهم
قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا
وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه
ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهب به مردة الجن
الى المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه

بالف مماله ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذين استهوته
او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته • في الارض حيران • متحيرا ضالا
عن الطريق • له اصحاب • لهذا المستهوي رفقة • يدعونه الى الهدي • اي يهدونه
الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدي تسمية للمفعول
بالمصدر • ايتنا • يقولون له ايتنا • قل ان هدي الله • الذي هو الاسلام • هو
الهدي • وحده وما عداه ضلال • وامرنا لنسلم لرب العالمين • من جملة المقول
عطف على ان هدي الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى
البا وقيل هي زايدة • وان اقيموا الصلاة واتقوه • عطف على لنسلم اي للاسلام
ولاقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلاة روي
ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما • وهو الذي اليه تحشرون • يوم القيامة • وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق • قايما بالحق والحكمة • ويوم يقول كن فيكون قوله الحق • جملة
اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى
انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكاينات وقيل يوم منصوب
بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن
فيكون والمراد بحين يكون الاشيا وتحدثها او حين يقوم القيامة فيكون
التكوين وحشر الاموات واحياوها • وله الملك يوم ينفخ في الصور • كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار • عالم الغيب والشهادة • اي هو عالم الغيب
• وهو الحكيم الخبير • كالفذلكة للاية • واذ قال ابراهيم لابيه آزر • هو عطف
بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح وقيل هما علمان له كاسرايل ويعقوب
وقيل العلم تارح وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي
حمل على موازنة او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل
كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبد فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف

المضاف

المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي تعبد ازر
ثم قال • اتتخذ اصناما الهة • تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ
اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء
وهو يدل على انه علم • اني اراك وقومك في ضلال • عن الحق • مبين • ظاهر الضلالة
• وكذلك نري ابراهيم • ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية
وقرئ نري بالياء ورفع الملكوت ومعناه نبصره دلايل الربوبية • ملكوت
السموات والارض • ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم
الملك والتاء فيه للمبالغة • وليكون من الموقنين • اي ليستدل وليكون او
فعلنا ذلك ليكون • فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي • تفصيل
وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالهم ويرشدهم
الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن الليل ستره بظلامه والكوكب
كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد
قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه • فلما افل • اي غاب • قال لا احب
الافلين • فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي
الامكان والحدوث وينافي الالوهية • فلما راي القمر بازغا • مبتديا بالطلوع
• قال هذا ربي فلما افل قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين • استعجز
نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا
لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية فان من اتخذه
الها فهو ضال • فلما راي الشمس بازغة قال هذا ربي • ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر
وصيانة للرب عن شبهة التانيث • هذا اكبر • كبره استدلالا او اظهارا لشبهة
الخصم • فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون • من الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث تحدثها ومخصص تخصصها بما تختص لما تبرا عنها توجه الى موجدها
ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال • اني وجهت وجهي للذي فطر

السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين • وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راي الكوكب الذي يعبدونه في وسط
السماء حين عاين الاستدلال • وحاجه قومه • وخاصموه في التوحيد • قال
اتحاجوني في الله • في وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون • وقد
هداني • اي توحيده • ولا اخاف ما تشركون به • اي لا اخاف معبوداتكم في وقت
لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع • الا ان يشاء ربي شيا • اي يصيبني بمكروه من جهتها
ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله • وسع ربي كل
شي علما • كانه علة الاستثنا اي احاط به فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق
بي مكروه من جهتها • افلا تتذكرون • فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز • وكيف اخاف ما اشركتم • ولا يتعلق به ضر • ولا تخافون انكم اشركتم
بالله • وهو حقيق بان يخاف به كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع
وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع • ما لم ينزل به عليكم
سلطانا • ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا • فاي الفريقين
احق بالامن • اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا
من تزكية نفسه • ان كنتم تعلمون • ما يحق ان يخاف منه • الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اوليك لهم الامن وهم مهتدون • استيناف منه او من الله بالجواب
عما استفهم عنه والمراد بالظلم هاهنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق
ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس
ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وقيل المعصية • وتلك • اشارة لما احتج به ابراهيم على قومه من
قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه
• حجتنا اتيناها ابراهيم • ارشدناه اليها وعلمناه اياها • على قومه • متعلق
بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي اتيناها ابراهيم حجة
على قومه • نرفع درجات من نشا • في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب

بالتنوين

بالتنوين • ان ربك حكيم • في رفعه وخفضه • عليم • بحال من يرفعه واستعداده
له • ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا • اي كلا منهما • ونوحا هدينا من قبل
اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى
الى الولد • ومن ذريته • الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب
ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان
بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف
على نوحا • داود وسليمان وايوب • ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحاق
• ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين • اي ونجزي المحسنين
جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم • وزكريا
ويحيى وعيسى • وهو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد
البنت • والياس • قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية
الاولى وقيل هو من اسباط هارون اخي موسى • كل من الصالحين • الكاملين
في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي • واسماعيل واليسع •
هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراتين هو علم
اعجمي دخل عليه اللام كما دخل على اليزيد في قوله • رايت الوليد بن اليزيد مباركا •
شديدا باعباء الخلافة كاهله • ويونس • هو يونس بن متى • ولوطا • هو ابن هارون
ابن اخي ابراهيم • وكلا فضلنا على العالمين • بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على
من عداهم من الخلق • ومن اباىهم وذرياتهم واخوانهم • عطفا على كلا او نوحا اي
فضلنا كلا منهم او هدينا هولاء وبعض اباىهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم
من لم يكن نبيا ولا مهديا • واجتبيناهم • عطف على فضلنا او هدينا • وهديناهم
الى صراط مستقيم • تكرير لبيان ما هدوا اليه • ذلك هدى الله • اشارة الى ما
دانوا به • يهدي به من يشا من عباده • دليل على انه تفضل بالهداية • ولو اشركوا •
اي لو اشرك هولاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم • لحبط عنهم ما كانوا يعملون •
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها • اوليك الذين اتيناهم الكتاب •
يريد به الجنس • والحكم • الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق • والنبوة • الرسالة

فان يكفر بها اي بهذه الثلاثه هولاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي
بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبيا المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصار او اصحاب النبي او كل من امن به او الفرس وقيل الملايكة اوليك
الذين هدي الله يريد الانبيا المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم
بالاقتدا والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون
الفروع المختلف فيها فانها ليست هدي مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم
جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله
في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنه كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم
اجرى الوصل مجرى الوقف وبحذف الها في الوصل خاصة حمزة والكسايي
واشبعها ابن عامر برواية بن ذكوان على انها كناية المصدر وبكسر الها بغير
اشباع برواية هشام قل لا اسالكم عليه اي على التبليغ او القران اجرا
جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتدا
بهم فيه ان هو اي التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكير
او عظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي حين انكروا الوحي وبعثة
الرسل وذلك من عظايم رحمته وجلايل نعمته او في السخط على الكفار وشدة
البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقايلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب
الذي جا به موسي نورا وهدي للناس وقراة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا بالتا وانما قرا باليا ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا
وتضمن ذلك توبيخهم على سوحملهم للتوراة وذمهم على تجزيتها بابدا بعض
انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفا بعض لا يشتهونه روى ان مالك
ابن الضيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التوراة على
موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم
المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهور الذايع عندهم ولذلك

كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى
الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما
التبس عليكم وعلى ابايكم الذين كانوا اعلم عليكم ونظيره ان هذا القران يقص
على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش
قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب
متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم
ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون
حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل
يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفايدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة او الكتب التي قبله
ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة
محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها
قبلة اهل القرى ومحجتهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم باليا
اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يومنون
بالاخرة يومنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة
خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يومن بالنبي والكتاب
والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين
وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة
والاسود العبسي واختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شي كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما
بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا
من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت
فشك عبد الله وقال لان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين كان

كاذبا لقد قلت كما قال • ومن قال سانزل مثل ما انزل الله • كالذين قالوا لو نشا لقلنا
مثل هذا • ولو ترى اذ الظالمون • حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه ولو ترى
الظالمين • في غمرات الموت • شدايده من غمره الما اذا غشيه • والملايكة باسطوا
ايديهم • بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب • اخرجوا انفسكم • اي
يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها
من العذاب وخلصوها من ايدينا • اليوم • يريد به وقت الاماته او الوقت
الممتد من الاماته الى ما لا نهاية له • تجزون عذاب الهون • اي الهوان يريد
به العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه
• بما كنتم تقولون على الله غير الحق • كادعا الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي
كاذبا • وكنتم عن اياته تستكبرون • فلا تتاملون فيها ولا تومنون • ولقد
جيتمونا • للحساب والجزا • فرادى • منفردين عن الاموال والاولاد وساير ما
اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاوكم وهو جمع
فرد والالف للتانيث ككسالى وقرى فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى
• كما خلقناكم اول مرة • بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال
ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتدا خلقكم
عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جيتمونا اي مجيا كخلقنا لكم • وتركتم ما
خولناكم • ما تفضلنا به عليكم اي في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة • ورا ظهوركم •
ما قدمتم منه شيا ولم تحتملوا نقيرا • وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم
فيكم شركا • اي شركا الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم • لقد تقطع بينكم •
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل
وقيل هو الظرف واسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم وتشهد
له قراة نافع والكسايي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما
قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرى • وضل
عنكم • ضاع وبطل • ما كنتم تزعمون • انها شفعاوكم او ان لا بعث ولا جزا • ان
الله فالق الحب والنوى • بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في

الحنطة

الحنطة والنواة • يخرج الحي • يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما
قبله • من الميت • مما لا ينمو كالنطف والحب • ومخرج الميت من الحي • ومخرج
ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله
يخرج الحي واقع موقع البيان له • ذلكم الله • اي ذلكم المحيي المميت هو الذي
يحق له العبادة • فانى يوفكون • يصرفون عنه الى غيره • فالق الاصباح • شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار وهو الغبش الذي يليه والاصباح
في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصباح سمي به الصبح وقرى بفتح الهمزة
على الجمع وقرى فالق بالنصب على المدح • وجاعل الليل سكنا • يسكن فيه التعب
بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن
فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى
الماضي ويدل عليه قراة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرى به او به على ان المراد منه فعل مستمر في الازمنة
المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون • والشمس والقمر • عطفا على محل الليل ويشهد
له قراتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرى بالرفع على الابتدا والخبر
محذوف اي مجعولان • حسبانا • اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات
ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر
حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان • ذلك • اشارة الى جعلهما حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم • تقدير العزيز • الذي قهرهما وسيرهما
على الوجه المخصوص • العليم • بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما • وهو
الذي جعل لكم النجوم • خلقها لكم • لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر • في ظلمات
الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق
وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما
اجملها بقوله لكم • قد فصلنا الايات • بيناها فصلا فصلا • لقوم يعلمون •
فانهم المنتفعون به • وهو الذي انشاكم من نفس واحدة • هو ادم عليه الصلاة
والسلام • فمستقر ومستودع • اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض

واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير
والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم
مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع • قد فصلنا الايات لقوم يفقهون •
ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر وذكر مع تخليق بني ادم يفقهون لان
انشاهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى
استعمال فطنة وتدقيق نظر • وهو الذي انزل من السما ما • من السحاب او من جانب
السماء • فاخرجنا • على تلوين الخطاب • به • بالما • نبات كل شي • نبت كل صنف
من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة بما واحد كما في قوله
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل • فاخرجنا منه • من النبات او الما
• خضرا • شيا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب
• نخرج منه • من الخضر • حبا متراكبا • وهو السنبل • ومن النخل من طلعها قنوان •
اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شي من طلعها قنوان ويجوز
ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله من طلع النخل
قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقري بضم القاف كذيب
وذوبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع • دانية • قريبة
من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن
مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها • وجنات من اعناب • عطف على نبات
كل شي وقري بالرفع على الابتدا اي ولكم او وثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز
عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل • والزيتون والرمان • ايضا عطف
على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم • مشتبها وغير
متشابه • حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه
في الهيئة والقدر واللون والطعم • انظروا الى ثمره • اي ثمر كل واحد من ذلك
وقرا حمزة والكسائي بضم الثا والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار
ككتاب وكتب • اذا اثمر • اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
• وينعه • والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في

الاصل

الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقري بالضم
وهو لغة فيه ويانعه • ان في ذلكم لايات لقوم يومنون • اي لايات دالة على
وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة
من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها
ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه
او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال • وجعلوا
لله شركاء الجن • اي الملايكة بان عبدوهم وقالوا الملايكة بنات الله تعالى
وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع
الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع
والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركا او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقري الجن
بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين • وخلقهم •
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن
وقري وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركا اي وجعلوا
لله اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه • وخرقوا له • افتعلوا وافتروا له وقرا
نافع بتشديد الرا للتكثير وقري وحرفوا اي وزوروا • بنين وبنات • فقالت
اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت العرب الملايكة
بنات الله • بغير علم • من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا او يروا عليه دليلا وهو في
موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم • سبحانه وتعالى عما يصفون •
وهو ان له شريكا او ولدا • بديع السموات والارض • من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل
معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على
الابتدا وخبره • انى يكون له ولد • اي من اين او كيف يكون له ولد • ولم تكن له
صاحبة • يكون منها الولد وقري بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان
• وخلق كل شي وهو بكل شي عليم • لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق

التخصيص الي الاول وفي الاية استدلال علي نفي الولد من وجوه الاول ان مبدعاته ربما
السموات والارضون وهي مع انهما من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرار
وطول مدتها فهو اولي بان يتعالي عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من
ذكر وانثى متجانسين والله تعالي منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد
ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقة فلا يكافيه والثاني انه لذاته
عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع • ذلكم : اشارة الي الموصوف بما
سبق من الصفات وهو مبتدا • الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي : اخبار
مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا • فاعبدوه : حكم
مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة • وهو علي
كل شي وكيل : اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا
بعبادته الي انجاح ماربكم او رقيب علي اعمالكم فيجازيكم عليها • لا تدركه : لا
تحيط به • الابصار : جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها
محلها واستدل به المعتزلة علي امتناع الروية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الروية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع
• وهو يدرك الابصار : ويحيط علمه بها • وهو اللطيف الخبير : فيدرك ما لا تدركه
الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه
اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدركه بالحاسة ولا ينطبع فيها • قد جاءكم بصاير من ربكم : البصاير
جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي بها الحق وبصر
• فمن ابصر : اي ابصر الحق وامن به • فلنفسه : ابصر لان نفعه لها • ومن عمي : عن
الحق وضل • فعليها : وباله • وما انا عليكم بحفيظ : وانما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد علي لسان الرسول صلي الله
الله عليه وسلم • وكذلك نصرف الايات : ومثل ذلك التصريف نصرف وهو
اجرا المعني الداير في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشي من حال الي حال

• وليقولوا دارست : اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس
القراة والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات
وعفت كقولهم اساطير الاولين وقري درُست بضم الرا مبالغة في درَست
ودُرست علي البنا للمفعول بمعني قريت او عفيت ودارست بمعني درست
او دارست اليهود محمدا صلي الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم
بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات
او ذات درس لقوله تعالي عيشة راضية • ولنبينه : اللام علي اصله لان
التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعني او للقران
وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر • لقوم يعلمون : فانهم المنتفعون به • اتبع ما
اوحي اليك من ربك : بالتدين به • لا اله الا هو : اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال موكدة من ربك بمعني منفردا في الالوهية • واعرض عن المشركين : ولا
تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الي رايهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض
علي ما يعم الكف عنهم • ولو شا الله : توحيدهم وعدم اشراكهم • ما اشركوا : وهو دليل
علي انه تعالي لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع • وما جعلناك عليهم
حفيظا : رقيبا • وما انت عليهم بوكيل : تقوم بامورهم • ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله : اي ولا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح • فيسبوا
الله عدوا : تجاوزا عن الحق الي الباطل • بغير علم : علي جهالة بالله تعالي وبما يجب
ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدا وعدوانا
روي انه كان عليه الصلاة والسلام يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب
الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله وفيه دليل علي ان الطاعة اذا ادت الي معصية راجحة
وجب تركها فان ما يودي الي الشر شر • كذلك زينا لكل امة عملهم : من الخير والشر
باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل
وكلامه بالكفر لان الكلام فيهم والمشبه به سب الله لهم • ثم الي ربهم

مرجعهم فينبيهم بما كانوا يعملون • بالمحاسبة والمجازاة عليه • واقسموا بالله جهد
ايمانهم • مصدر في موضع الحال والداعي لهم الي هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الايات واستحقار ما راوا منها • لين جاتهم
اية • من مقترحاتهم • ليومنن بها قل انما الايات عند الله • هو قادر عليها يظهر منها
ما يشا وليس شي منها بقدرتي وارادتي • وما يشعركم • وما يدريكم استفهام
انكار • انها • اي الاية المقترحة • اذا جاءت لا يومنون • اي لا تدرون انهم لا
يومنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها
لعلمه بانها اذا جاءت لا يومنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قري
لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمومنين فانهم
يتمنون مجي الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة
لا تومنون بالتا وقري وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم
اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينيذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران
وغيره من الايات فيومنون بها • ونقلب افيدتهم • عطف على لا يومنون اي وما
يشعركم انا حينيذ نقلب افيدتهم عن الحق فلا يفقهونه • وابصارهم • فلا يبصرونه
فلا تومنون بها • كما لم يومنوا به • اي بما انزل من الايات • اول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهون • وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المومنين وقرى ونقلب ونذرهم
على الغيبة وتقلب على البنا للمفعول والاسناد الى الافيدة • ولو اننا نزلنا اليهم
الملايكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شي قبلا • كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا
الملايكة فتروا بابينا او تاتي بالله والملايكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي
كفلا بما بشروا به وانذروا به وجمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او
مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل
وانما جاز ذلك لعمومه • ما كانوا ليومنوا • لما سبق عليهم القضا بالكفر • الا ان
يشا الله • استثنا من اعم الاحوال اي لا يومنون في حال الا في حال مشية الله ايمانهم
وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة • ولكن اكثرهم يجهلون • انهم لو اتوا بكل

اية لم يومنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل
الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يومنون
فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا • اي كما جعلنا
لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبيا
بفعل الله وخلقه • شياطين الانس والجن • مردة الفريقين وهو بدل من عدوا
او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه • يوحي
بعضهم الى بعض • يوسوس شياطين الجن الي شياطين الانس وبعض الجن الي
بعض منهم او بعض الانس الي بعض • زخرف القول • الاباطيل المموهة من زخرفه
اذا زينه • غرورا • مفعول له او مصدر في موقع الحال • ولو شا ربك • ايمانهم
• ما فعلوه • اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبيا وايحا الزخارف ويجوز
ان يكون الضمير للايحا او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة • فذرهم
وما يفترون • وكفرهم • ولتصغي اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة •
عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا
لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام
القسم كسرت لما لم تؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو
الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه • وليرضوه • لانفسهم • وليقترفوا •
وليكتسبوا • ما هم مقترفون • من الاثام • افغير الله ابتغي حكما • على ارادة
القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا
من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم
ولذلك لا يوصف به غير العادل • وهو الذي انزل اليكم الكتاب • اي القران المعجز
• مفصلا • مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه
على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن ساير الايات • والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق • تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران
حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلاة
والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم

يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرا
ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك
او في انهم منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب من باب التهييج كقوله تعالى
ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول كخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على
معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه وتمت
كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد
وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا احد يبدل شيا منها بما هو اصدق او اعدل ولا احد يقدر ان تحريفها
شايعا ذايعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله
تعالى بالحفظ لقوله تعالى وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما يكلم به او القران وهو السميع
بما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي
اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او تباع الهوى وقيل الارض مكه يضلوك عن
سبيل الله عن الطريق الموصل اليها فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه
ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراوهم
الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على
الله فيما ينسبون اليه في اتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل
الميتة وتحريم البحاير او يقدرون انهم على شي وحقيقته ما يقال عن ظن
وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين
ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب
الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتدا والخبر يضل والجملة معلق
عنها الفعل المقدر وقري من يضل اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المذكور
او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق
العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب

مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى
كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم ابيه غيره او مات حتف انفه ان
كنتم باياته مومنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله تعالى
واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في
ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله
حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البنا للمفعول
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البنا للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم
عليكم فانه ايضا حلال لحال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم
الحلال قراه الكوفيون بضم اليا والباقون بالفتح باهوايهم بغير علم بتشهيهم
من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق
الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر
او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان
واوله بالميتة وبما ذكر غير اسم الله تعالى عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق
ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليايهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم
تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يويد التاويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى
طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفا فيه لان الشرط
بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به
من هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في
الاشيا فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل

كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من
المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها
بحال كذلك كما زين للمومنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت
في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل
بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قري
اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون
الا بانفسهم ولان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاتهم اية قالوا
لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا
بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به
الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استينافا للرد
عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضايل نفسانية يخص الله تعالى
بها من يشا من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه
يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار
ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزا على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح فيه
مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه
وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سيل عنه فقال نور يقذفه الله
تعالى في قلب المومن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها
فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبوا عن قبول الحق فلا
يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا

بالكسر

بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء
شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السما مثل
فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السما نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد
يتصعد وقد قري به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد
كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين
لا يومنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى
ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته
وعلى طريقته الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا
وهو حال موكدة لقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كلما
يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل
فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار
السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم
عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزايها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا
نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم
وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم
من الانس اي من اغوايهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم
كقولهم استكثر الامير الجنود وقال اولياوهم من الانس الذين اطاعوهم بان
اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على
الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم
وقيل استمتاع الانس انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند التخاوف
واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي

اجلت لنا • اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوي ۝
وتكذيب البعث وتحسر علي حالهم • قال النار مثواكم • منزلكم او ذات مثواكم خالدين
فيها • حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعني الاضافة ان جعل مكانا • الا
ما شا الله • الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الي الزمهرير وقيل الا ما شا
قبل الدخول كانه قال النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم • ان ربك حكيم • في افعاله ۝
• عليم • باعمال الثقلين واحوالهم • وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا • نكل بعضهم
الي بعض او نجعل بعضهم يتولي بعضا فيغويهم او اوليا بعض وقرنا وهم في العذاب
كما كانوا في الدنيا • بما كانوا يكسبون • من الكفر والمعاصي • يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم • الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك
ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان تخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقال البعث الي كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل
الرسل اليهم لقوله ولوا الي قومهم منذرين • يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء
يومكم هذا • يعني يوم القيامة • قالوا • جوابا • شهدنا علي انفسنا • بالجرم والعصيان
وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب • وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا
علي انفسهم انهم كانوا كافرين • ذم لهم علي سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم اغتروا
بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتي كان عاقبة
امرهم ان اضطروا بالشهادة علي انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير
للسامعين من مثل حالهم • ذلك • اشارة الي ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف
اي الامر ذلك • ان لم يكن ربك مهلك القري بظلم واهلها غافلون • تعليل
للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفا كون ربك او
لان الشان لم يكن ربك مهلك القري بسبب ظلم فعلوه او متلبسين بظلم او لما
وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك • ولكل • من المكلفين • درجات • مراتب
• مما عملوا • من اعمالهم او من جزايها او من اجلها • وما ربك بغافل عما يعملون • فيخفي
عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتا علي تغليب
الخطاب علي الغيبة • وربك الغني • عن العباد والعبادة • ذو الرحمة • يترحم عليهم

بالتكليف

ليبين نفعه بل الترحم علي العباد
وتاخير الابعاد وعوقوله

بالتكليف تكميلا ونهاهم عن المعاصي وفيه تنبيه علي ان ما سبق ذكره من الارسال
• ان يشا يذهبكم • ايها العصاة • ويستخلف من بعدكم ما يشا • من الخلق • كما ۝
• انشاكم من ذرية قوم اخرين • اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم • انما
توعدون • من البعث واحواله • لات • لكاين لا محالة • وما انتم بمعجزين •
طالبكم به • قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم • علي غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال
تمكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او علي ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من
قولهم مكنوا مكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في
كل القران وهو امر تهديد والمعني اثبتوا علي كفركم وعداوتكم • اني عامل •
ما كنت عليه من المصابرة والثبات علي الاسلام والتهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه فيحمله بالامر علي ما يفضي به اليه
وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان
يتقصي عنه • فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار • ان جعل من استفهامية
بمعني اينا يكون له العاقبة الحسني التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع
وفعل العلم تعلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون
الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب ۝
وتنبيه علي وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكساي يكون بالياء لان تانيث
العاقبة غير حقيقي • انه لا يفلح الظالمون • وضع الظالمين موضع الكافرين
لانه اعم واكثر فايدة • وجعلوا • اي مشركوا العرب • لله مما ذرا • خلق • من
الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاينا فما كان لشركايهم
فلا يصل الي الله وما كان لله فهو يصل الي شركايهم • روي انهم كانوا يعينون شيا
من حرث ونتاج لله ويصرفونه الي الضيفان والمساكين وشيا منهما لالهتهم
وينفقونه علي سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكي بدلوه
بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكي تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما
ذرا تنبيه علي فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر
علي شي ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه علي ان ذلك

مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد
جاء فيه الكسر ايضا كالود • سا ما يحكمون • حكمهم هذا • وكذلك • ومثل ذلك
التزيين في قسمة القربات • زين لكثير من المشركين قتل اولادهم • بالواد ونحرهم
لالهتهم • شركاوهم • من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين
على البنا للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركا باضافة القتل اليه
مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
• فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزاده • وقري بالبنا للمفعول وجر اولادهم ورفع
شركاوهم باضمار فعل دل عليه زين • ليردوهم • ليهلكوهم بالاغوا • وليلبسوا عليهم
دينهم • وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا
به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة
• ولو شا الله ما فعلوه • ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركا التزيين او الفريقان
جميع ذلك • فذرهم وما يفترون • افتراهم او ما يفترونه من الافك • وقالوا هذه
اشارة الى ما جعل لالهتهم • انعام وحرث حجر • حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح
يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقري حُجر بالضم وحرج اي ضيق
• لا يطعمها الا من نشا • يعنون خدم الاوثان والرجال دون النسا • بزعمهم • من غير
حجة • وانعام حرمت ظهورها • يعني البحاير والسوايب والحوامي • وانعام لا
يذكرون اسم الله عليها • في الذبح وانما يذكرون اسما الاصنام عليها وقيل لا يحجون
على ظهورها • افترا عليه • نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار
متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة لهم او الحال او المفعول له والجار متعلق به
او بالمحذوف • سيجزيهم بما كانوا يفترون • بسببه او بدله • وقالوا ما في
بطون هذه الانعام • يعنون اجنة البحاير والسوايب • خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا • حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله • وان يكن
ميتة فهم فيه شركا • فالذكور والاناث فيه سوا وتانيث الخالصة للمعنى فان ما
في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتا خاصة
وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التانيث للمبالغة كما في رواية

الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقري بالنصب على انه مصدر موكد
والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور
لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقري خالص بالرفع والنصب
وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما
كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر
• سيجزيهم وصفهم • اي جزا وصفهم الكذب على الله تعالى في التحريم والتحليل
في قوله وتصف السنتهم الكذب • انه حكيم عليم • قد خسر الذين قتلوا اولادهم
يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير
وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير • سفها بغير علم • لخفة عقلهم وجهلهم
بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر • وحرموا ما
رزقهم الله • من البحاير ونحوها • افترا على الله • يحتمل الوجوه المذكورة في مثله • قد
ضلوا وما كانوا مهتدين • الى الحق والصواب • وهو الذي انشا جنات • من
الكروم • معروشات • مرفوعات على ما يحملها • وغير معروشات • ملقيات
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات
ما نبت في البراري والجبال • والنخل والزرع مختلفا اكله • ثمره الذي يوكل في
الهيئة والكيفية والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة
لانه لم يكن كذلك عند الانشا • والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه •
يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها • كلوا من ثمره •
من ثمر كل واحد من ذلك • اذا اثمر • وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته
رخصة المالك في الاكل منه قبل ادا حق الله • واتوا حقه يوم حصاده • يريد به ما
كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والاية
مكية وقيل الزكاة والاية مدنية والامر بايتايها يوم الحصاد ليهتم به حينيذ
حتى لا يوخر عن وقت الادا وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير
ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحا وهو لغة فيه • ولا تسرفوا • في التصدق

لقوله ولا تبسطها كل البسط • انه لا يحب المسرفين • لا يرتضي فعلهم • ومن الانعام
حمولة وفرشا • عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او وما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل
والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها • كلوا مما رزقكم الله • كلوا
مما حل لكم منه • ولا تتبعوا خطوات الشيطان • بالتحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين • ظاهر العداوة • ثمانية ازواج • بدل من حمولة وفرشا او مفعول
كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال مما بمعنى مختلفة او متعددة
والزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول • من
الضان اثنين • زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقري اثنان
على الابتدا والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضبين او جمع ضاين كتاجر وتجر وقري
بفتح الهمزة وهو لغة فيه • ومن المعز اثنين • اي التيس والعنز وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس
وحرس وقري معزي • قل آلذكرين • ذكر الضان وذكر المعز • حرم ام الانثيين •
ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم • ام ما اشتملت عليه ارحام
الانثيين • او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى • نبئوني بعلم • بامر
معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيا من ذلك • ان كنتم صادقين • في دعوى
التحريم عليه • ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين • كما سبق والمعنى انكار ان الله تعالى حرم
من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله تعالى
حرمها • ام كنتم شهدا • بل اكنتم شاهدين حاضرين • اذ وصاكم الله بهذا • حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تومنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك
الا بالمشاهدة والسماع • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا • فنسب اليه تحريم ما
لم يحرم والمراد كبراوهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له • ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي • اي في القران او فيما

اوحي

اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما
محرما • على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة • الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير
وحمزة تكون بالتا لتانيث الخبر وقرا ابن عامر بالتا ورفع ميتة على ان كان هي
التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة
او دما مسفوحا • اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال • او لحم خنزير
فانه رجس • فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث مخبث
• او فسقا • عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل • اهل لغير الله به •
صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع
الى ما رجع اليه المستكن في يكون • فمن اضطر • فمن دعته الضرورة الى تناول شي
من ذلك • غير باغ • غير مضطر مثله • ولا عاد • قدر الضرورة • فان ربك غفور
رحيم • لا يواخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه تلك الغاية
محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شي اخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشيا الا بالاستصحاب • وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر • كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي ظفر
اي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل السبب عن الظلم تعميم التحريم
• ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما • الثروب وشحوم الكلا والاضافة
لزيادة الربط • الا ما حملت ظهورهما • الا ما علقت بظهورهما • او الحوايا • او ما
اشتمل على الامعا جمع حاوية او حاويا كقاصعا وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل
هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو • او ما اختلط بعظم • وهو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص • ذلك • التحريم او الجزا • جزيناهم ببغيهم • بسبب ظلمهم • وانا
لصادقون • في الاخبار او الوعد والوعيد • فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة •
يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله وانه لا يهمل • ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين • حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين
فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على نزول الباس عليهم مع الدلالة

على انه لا زيب بصم لا يمكن رده عنهم • سيقول الذين اشركوا • اخبار عن مستقبل
ووقوع مخبره يدل على اعجازه • لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من
شي • اي لو شا خلاف ذلك مشية ارتضا كقوله فلو شا لهداكم اجمعين
لما فعلنا نحن ولا اباونا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله
لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض
ذمهم به دليلا للمعتزلة ويويد ذلك قوله • كذلك كذب الذين من قبلهم
اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه
كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف اباونا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد
للفصل بلا • حتى ذاقوا باسنا • الذي انزلناه عليهم بتكذيبهم • قل هل عندكم
من علم • من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم • فتخرجوه لنا • فتظهروه
لنا • ان تتبعون الا الظن • ما تتبعون في ذلك الا الظن • وان انتم الا
تخرصون • تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول
ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع الا الاية فيه • قل فلله الحجة البالغة • البينة
الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه • فلو
شا لهداكم اجمعين • بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شا هداية قوم وضلال اخرين
• قل هلم شهداكم • احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل
يونث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت
الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت
الهمزة بالقا حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل على الامر ويكون
متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا • الذين يشهدون ان الله حرم هذا •
يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهدا بالاضافة ووصفهم
بما يقتضي العهد بهم • فان شهدوا فلا تشهد معهم • فلا تصدقهم فيه وبين لهم
فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة • ولا تتبع اهوا الذين

كذبوا

كذبوا باياتنا • من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع
الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها • والذين لا يومنون بالاخرة •
كعبدة الاوثان • والذين هم بربهم يعدلون • يجعلون له عديلا • قل تعالوا •
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم
• اتل • اقرا • ما حرم ربكم • منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان
تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شي حرم
ربكم • عليكم • متعلق بحرم او اتل • ان لا تشركوا به • اي لا تشركوا ليصح عطف
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار
الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انها
للاغرا وبالبدل من ما او من العايد المحذوف على ان لا زايدة او الجر بتقدير اللام او الرفع
على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا • شيا • يحتمل المصدر والمفعول
• وبالوالدين احسانا • اي واحسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساة
اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساة في شانهما غير كاف بخلاف
غيرهما • ولا تقتلوا اولادكم من املاق • من اجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى
خشية املاق • نحن نرزقكم واياهم • منع لموجبه ما كانوا يفعلون لاجله
واحتجاج عليه • ولا تقربوا الفواحش • كبار الذنوب والزنا • ما ظهر منها
وما بطن • بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه • ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق • كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن • ذلكم • اشارة الى ما ذكر
مفصلا • وصاكم به • اي بحفظه • لعلكم تعقلون • ترشدون فان كمال العقل هو
الرشد • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن • الا بالفعلة التي هي احسن
ما يفعل بماله كحفظه وتثميره • حتى يبلغ اشده • حتى يصير بالغا وهو جمع شدة
كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كانك • واوفوا الكيل والميزان
بالقسط • بالعدل والتسوية • لا نكلف نفسا الا وسعها • الا ما يسعها ولا يعسر
عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفا الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما
ورا ذلك معفو عنه • واذا قلتم • في حكومة ونحوها • فاعدلوا • فيها • ولو كان ذا

قربي ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم • وبعهد الله اوفوا • يعني ما عهد اليكم
من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع • ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون • تتعظون
به وقرا حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتا
والباقون بتشديدها • وان هذا صراطي مستقيما • الاشارة فيه الى ما ذكر في
السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة
والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله • فاتبعوه • وقرا ابن عامر
صراطي بالفتح وقري وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك • ولا
تتبعوا السبل • اي الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى
الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات • فتفرق بكم •
فتفرقكم وتزيلكم • عن سبيله • الذي هو اتباع الوحي واقتفا البرهان • ذلكم •
الاتباع • وصاكم به لعلكم تتقون • الضلال والتفرق عن الحق • ثم اتينا موسى
الكتاب • عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل
ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب • تماما •
للكرامة والنعمة • على الذي احسن • على كل من احسن القيام به ويويده انه قري
على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه
اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة على علمه اتماما له وقري بالرفع على انه خبر
محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه
الكتب • وتفصيلا لكل شيء • وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف
على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر • وهدى ورحمة لعلهم • لعل بني اسرايل
• بلقاء ربهم يومنون • اي بلقايه للجزا • وهذا كتاب • يعني القران • انزلناه
مبارك • كثير النفع • فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون • بواسطة اتباعه وهو العمل
بما فيه • ان تقولوا • عطف على الاول كراهة ان تقولوا علة لانزلناه • انما انزل
الكتاب على طايفتين من قبلنا • اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان
الباقي المشهور حينيذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم • وان كنا • ان هي المخففة

ولذلك

ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا • عن دراستهم • قراءتهم • لغافلين •
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها • او تقولوا • عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم • لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم
كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون • فقد جاكم بينة من ربكم • حجة واضحة
تعرفونها • وهدى ورحمة • لمن تامل فيه وعمل به • فمن اظلم ممن كذب بايات الله • بعد
ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها • وصدف • اعرض او صد • عنها • فضل واضل
• سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب • شدته • بما كانوا يصدفون •
باعراضهم او صدهم • هل ينظرون • اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين • الا
ان تاتيهم الملايكة • ملايكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا
وفي النحل • او ياتي ربك • اي امره بالعذاب او كل اية يعني ايات القيامة والهلاك
الكلي لقوله • او ياتي بعض ايات ربك • يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبرا
ابن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا عشر ايات
الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة
العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا
تخرج من عدن • يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها • كالمحتضر اذا
صار الامر عيانا والايمان برهانيا وقري تنفع بالتا لاضافة الايمان الى ضمير المونث
• لم تكن امنت من قبل • صفة نفسا • او كسبت في ايمانها خيرا • عطف على امنت
والمعنى انه لا ينفع الايمان حينيذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها
غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر
تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشراط النفع باحد الامرين
على معنى لا ينفع نفسا خلاعنها ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا
ايمانها الذي احدثته حينيذ وان كسبت فيه خيرا • قل انتظروا انا منتظرون •
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينيذ لنا الفوز

وعليكم الوبال • ان الذين فرقوا دينهم • بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا
فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدي وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في
الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة
وقرا حمزة والكسائي فارقوا دينهم اي باينوه • وكانوا شيعا • فرقا يشيع كل فرقة
اماما • لست منهم في شيء • اي من السوال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بري
منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف • من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها • اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبع مائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة
دون العدد • ومن جاء بالسيئة فلا تجزى الا مثلها • قضية للعدل • وهم لا
يظلمون • بنقص الثواب وزيادة العقاب • قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج • دينا • بدل من محل الى صراط اذ المعنى
وهداني صراطا لقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ • قيما • فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة
والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه
مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام • ملة ابراهيم •
عطف بيان لدينا • حنيفا • حال من ابراهيم • وما كان من المشركين • عطف عليه
• قل ان صلاتي ونسكي • عبادتي كلها او قرباني او حجي • ومحياي ومماتي • وما انا
عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرا نافع
محياي باسكان اليا اجرا للوصل مجرى الوقف • لله رب العالمين لا شريك له •
خالصة له لا اشرك فيها غيره • وبذلك • القول او الاخلاص • امرت وانا اول
المسلمين • لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته • قل اغير الله ابغي ربا • فاشركه
في عبادتي وهو جواب عن دعايهم له الى عبادة الهتهم • وهو رب كل شيء • حال في

واستشناء الواحدة من فرق كل من اهل
الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي
قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية
وان اختلف اسباب دخولهم
انتهى

موضع

موضع العلة للانكار والدليل له اي كل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية • ولا تكسب
كل نفس الا عليها • فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك • ولا تزر
وازرة وزر اخرى • جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم • ثم الى ربكم مرجعكم •
يوم القيامة • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • بتبيين الرشد من الغي وتمييز
المحق من المبطل • وهو الذي جعلكم خلائف الارض • يخلف بعضكم بعضا او خلفاء
الله تعالى في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة
على ان الخطاب للمؤمنين • ورفع بعضكم فوق بعض درجات • في الشرف والغنا
• ليبلوكم فيما اتاكم • من الجاه والمال • ان ربك سريع العقاب • لان ما هو آت
قريب او لانه يسرع اذا اراده • وانه لغفور رحيم • وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة
واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة
مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت
على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك
بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية غير ثماني
ايات من قوله واسالهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله واعرض
عن الجاهلين واياتها مايتان وخمس • بسم الله الرحمن الرحيم المص • سبق الكلام في
مثله • كتاب • خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او
القران • انزل اليك • صفة • فلا يكن في صدرك حرج منه • اي شك فان الشاك
حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او تقصر في القيام
بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا اريتك هاهنا والفا تحتمل العطف
والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك • لتنذر به •
متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله تعالى جسر على الانذار
وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه • وذكرى للمؤمنين • يحتمل
النصب باضمار فعل اي لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا

علي محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف • اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي • ولا تتبعوا
من دونه اوليا • يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا
تتبعوا من دون دين الله دين اوليا وقري ولا تبتغوا • قليلا ما تذكرون • اي
تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله تعالى وتبتغون غيره
وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التا وابن عامر يتذكرون على
ان الخطاب بعد للنبي صلى الله عليه وسلم • وكم من قرية • وكثيرا من اهل القري
• اهلكناها • اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان • فجاها • فجا اهلها باسنا •
عذابنا • بياتا • بايتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال • او هم قايلون • عطف
عليه اي قايلين نصف النهار لقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفا بالضمير فانه
غير فصيح وفي التعبير بن مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص
الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجي العذاب فيهما افظع • فما كان
دعواهم • دعاوهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم • اذ جاهم باسنا
الا ان قالوا انا كنا ظالمين • الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا
عليه • فلنسالن الذين ارسل اليهم • عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل • ولنسالن المرسلين •
عما اجيبوا به والمراد من هذا السوال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام اذ الاول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة • فلنقصن عليهم • على الرسل حين يقولون لا علم
لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه • بعلم • عالمين
بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم • وما كنا غايبين • عنهم فيخفي علينا شي من
احوالهم • والوزن • اي القضا او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزا والجمهور على
ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليها الخلايق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها

جوارحهم

جوارحهم ويويده ما روي ان الرجل يوتي به الي الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في
كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ليوتي العظيم السمين يوم القيامة لا
يزن عند الله تعالي جناح بعوضة • يوميذ • خبر المبتدا الذي هو الوزن • الحق •
صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي • فمن ثقلت موازينه • حسناته
او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو
جمع موزون او ميزان • فاوليك هم المفلحون • الفايزون بالنجاة والثواب
• ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم • بتضييع الفطرة السليمة
التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب • بما كانوا باياتنا يظلمون •
فيكذبون بدل التصديق • ولقد مكناكم في الارض • اي مكناكم من سكناها
وزرعها والتصرف فيها • وجعلنا لكم فيها معايش • اسبابا تعيشون بها جمع
معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما اليا فيه زايدة كصحايف • قليلا ما تشكرون •
فيما صنعت لكم • ولقد خلقناكم ثم صورناكم • اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور
ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم
تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه • ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم • وقيل ثم
قلنا لتاخير الاخبار • فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين • ممن سجد لادم •
• قال ما منعك ان لا تسجد • اي ان تسجد ولا صلة مثلها في ليلا يعلم موكدة معني
الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشي المضطر الي خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد • اذ امرتك •
• دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور • قال انا خير منه • جواب من حيث المعني
استانف به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني
خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف تحسن ان يومر به فهو الذي
سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا • خلقتني من نار وخلقته من طين •
تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راي الفضل كله باعتبار العنصر

وفضل عليه بان يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملايكة بسجوده لما بين لهم
انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كاينة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار
الجزء الغالب. قال فاهبط منها. من السما او الجنة. فما يكون لك. فما يصح ان تتكبر
فيها. وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة
وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه قال عليه الصلاة والسلام
من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه. فاخرج انك من الصاغرين. ممن اهانه الله
تعالى لتكبره. قال انظرني الى يوم يبعثون. قال امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني
او لا تعجل عقوبتي. قال انك من المنظرين. يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم
الله انتها اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلا العباد وتعريضهم للثواب لمخالفته. قال
فبما اغويتني. اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوايهم باي طريق يمكنني بسبب
اغوايك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والبا
متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل البا
للقسم. لاقعدن لهم. ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة. صراطك المستقيم.
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله. لدن بهز الكف يعسل متنه. فيه كما
عسل الطريق الثعلب. وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
. ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم. اي من جميع الجهات
الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة
تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه موحش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمايلهم من
جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون
التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمايلهم

من حيث

من حيث تيسر لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم
وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتدا لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين
بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم
جلست عن يمينه. ولا تجد اكثرهم شاكرين. مطيعين وانما قاله ظنا لقوله
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا
وقيل سمعه من الملايكة. قال اخرج منها مذوما. مذموما من ذامه اذا ذمه وقري
مذوما كمسول في مسوول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما. مدحورا. مطرودا
. لمن تبعك منهم. اللام فيه لتوطية القسم وجوابه. لاملان جهنم منكم اجمعين.
وهو ساد مسد جواب الشرط وقري لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى
لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم تغلب المخاطب. ويا ادم. اي وقلنا يا ادم. اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة. وقري هاذي وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والها بدل من اليا. فتكونا من الظالمين. فتصيرا من الذين ظلموا
انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب. فوسوس لهما الشيطان
اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته. ليبدي لهما. ليظهر لهما
واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند
الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع. ما وري عنهما من سوءاتهما. ما
غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب
الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلب في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقري سواتهما بحذف الهمزة والقا حركتها على الواو وتقلبها واوا وادغام
الواو الساكنة فيها. وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا. الا كراهة
ان تكونا. ملكين. او تكونا من الخالدين. الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة
واستدل به على فضل الملايكة على الانبيا وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق

لا تنغلب وانما كان رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملايكة من الكمالات الفطرية
والاستغنا عن الاطعمة والاشربه وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا ۰ وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين ۰ اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعله للمبالغة
وقيل اقسم لهما بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما
فجعل ذلك مقاسمه ۰ فدلاهما ۰ فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما
بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلا ارسال الشي من
اعلا الى اسفل ۰ بغرور ۰ لما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله
تعالى كاذبا او ملتبسين بغرور ۰ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما ۰ اي فلما
وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة
او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حله او ظفرا ۰ وطفقا يخصفان ۰
اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ۰ عليهما من ورق الجنة ۰ قيل كان ورق
التين وقري يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من
خصف ويخصّفان واصله يختصفان ۰ وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ۰ عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ
على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ۰ قالا ربنا
ظلمنا انفسنا ۰ ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة ۰ وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ۰ دليل على ان الصغاير معاقب
عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير
ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من
السيات واستحقار العظيم من الحسنات ۰ قال اهبطوا ۰ الخطاب لادم
وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا او خبر عما
قال لهم مفرقا ۰ بعضكم لبعض عدو ۰ في موضع الحال اي متعادين ۰ ولكم في الارض
مستقر ۰ استقرار او موضع استقرار ۰ ومتاع ۰ وتمتع ۰ الى حين ۰ الى تقضي
اجالكم ۰ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ۰ للجزاء ۰ يا بني ادم قد

انزلنا

انزلنا عليكم لباسا ۰ اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره
قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد ۰ يواري سواتكم ۰ اي قصد الشيطان
ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون
لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة ادم تقدمة
لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوا اصاب الانسان من الشيطان وانه
اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم ۰ وريشا ۰ ولباسا يتجملون به والريش الجمال
وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقري رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ۰ ولباس التقوى ۰ خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت
الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا وخبره ۰ ذلك خير ۰ او خبر وذلك
صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرا نافع وابن عامر
والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ۰ ذلك ۰ اي انزال اللباس ۰ من
ايات الله ۰ الدالة على فضله ورحمته ۰ لعلهم يذكرون ۰ فيعرفون نعمته
او يتعظون فيتورعون عن القبايح ۰ يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان ۰ لا
لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوايكم ۰ كما اخرج ابويكم من الجنة ۰ كما
محن ابويكم بان اخرجهما منها النهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن
اتباعه والافتتان به ۰ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما ۰ حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب ۰ انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم ۰ تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورويتهم
ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رويتهم وتمثلهم لنا ۰ انا جعلنا
الشياطين اوليا للذين لا يومنون ۰ بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم
عليهم وتمكينهم من خذلانهم وتحميلهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة
وفذلكة الحكاية ۰ واذا فعلوا فاحشة ۰ فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم
وكشف العورة في الطواف ۰ قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ۰ اعتذروا
واحتجوا بامرين تعليل الابا والافترا على الله تعالى فاعرض عن الاول لظهور
فساده ورد الثاني بقوله ۰ قل ان الله لا يامر بالفحشاء ۰ لان عادته جرت

علي الامر بمحاسن الافعال والحث علي مكارم الخصال ولا دلالة فيه علي ان قبح الفعل
ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ٥
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هم لجوا باسوالين مترتبين كانه قيل لهم لما
فعلوها لم فعلتم قالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباكم فقالوا الله امرنا
بها وعلي الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل علي خلافه لا مطلقا • اتقولون علي
الله ما لا تعلمون • انكار يتضمن النهي عن الافترا علي الله تعالى • قل امر ربي بالقسط •
بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط • واقيموا
وجوهكم • وتوجهوا الي عبادته مستقيمين غير عادلين الي غيرها او اقيموها
نحو القبله • عند كل مسجد • في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد
حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الي مساجدكم • وادعوه • واعبدوه
• مخلصين له الدين • اي الطاعة فان اليه مصيركم • كما بداكم • كما انشاكم ابتداه
• تعودون • باعادته فيجازيكم علي اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابدا تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة
عراة غرلا تعودون وقيل كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم • فريقا هدي • بان وفقهم
للايمان • وفريقا حق عليهم الضلالة • بمقتضى القضا السابق وانتصابه بفعل
يفسره ما بعده اي وخذل فريقا • انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله •
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم • ويحسبون انهم مهتدون • يدل علي
ان الكافر المخطي والمعاند سوا في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله علي المقصر
في النظر • يا بني ادم خذوا زينتكم • ثيابكم لموارات عورتكم • عند كل مسجد • لطواف
او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل علي
وجوب ستر العورة في الصلاة • وكلوا واشربوا • ما طاب لكم روي ان بني عامر
في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فهم المسلمون به فنزلت • ولا تسرفوا • بتحريم الحلال او بالتعدي
الي الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن [illegible] قد جمع الله تعالى

الطب

الطب في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا • انه لا يحب المسرفين • اي
لا يرتضي فعلهم • قل من حرم زينة الله • اي من الثياب وساير ما يتجمل به • التي اخرج
لعباده • من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع • والطيبات من الرزق • المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل
علي ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من للانكار • قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا • بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع • خالصة يوم القيامة • لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها علي الحال
وقرا نافع بالرفع علي انها خبر بعد خبر • كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون • اي
كتفصيلنا هذا الحكم نفصل ساير الاحكام لهم • قل انما حرم ربي الفواحش • ما تزايد
قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج • ما ظهر منها وما بطن • جهرها وسرها • والاثم •
وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر • والبغي • الظلم او الكبر افرده
بالذكر للمبالغة • بغير الحق • متعلق بالبغي موكد له معنى • وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا • تهكم بالمشركين وتنبيه علي تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
• وان تقولوا علي الله ما لا تعلمون • بالالحاد في صفاته والافترا عليه كقولهم الله
امرنا بها • ولكل امة اجل • مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة ٥
• فاذا جاء اجلهم • انقرضت مدتهم او حان وقتهم • لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة
الهول • يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي • شرط ذكره بحرف
الشرط للتنبيه علي ان اتيان الرسل امر جايز غير واجب كما ظنه اهل التعليم
وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه • فمن اتقى
واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفا في الخبر دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد • فمن اظلم ممن افترى علي الله كذبا او كذب باياته • فمن تقول
علي الله ما لم يقل او كذب ما قاله • اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب • مما كتب لهم

من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه • حتى اذا جاتهم رسلنا
يتوفونهم يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدا بعدها
الكلام • قالوا جواب اذا • اينما كنتم تدعون من دون الله • اين الالهة التى كنتم تعبدونها
وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة • قالوا ضلوا عنا •
غابوا عنا • وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين • اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما
كانوا عليه • قال ادخلوا • اى قال الله تعالى لهم يوم القيامة او احد من الملائكة • فى
امم قد خلت من قبلكم • اي كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم • من الجن والانس • يعنى
كفار الامم الماضية من النوعين • فى النار • متعلق بادخلوا • كلما دخلت امة • اى فى
النار • لعنت اختها • التى ضلت بالاقتداء بها • حتى اذا اداركوا فيها جميعا • اي تداركوا
وتلاحقوا فى النار • قالت اخراهم • اى دخولا او منزلة وهم الاتباع • لاولاهم •
اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم • ربنا هولاء اضلونا • سنوا لنا
الضلال فاقتدينا بهم • فآتهم عذابا ضعفا من النار • مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
• قال لكل ضعف • اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
• ولكن لا تعلمون • ما لكم او ما لكل فريق وقرا شعبة عن عاصم بالياء على الانفصال
• وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل • عطفوا كلامهم على جواب الله
تعالى لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون
فى الضلال واستحقاق العذاب • فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون • من قول
القادة او من قول الفريقين • ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها • اى عن الايمان
بها • لا تفتح لهم ابواب السماء • لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال
المومنين وارواحهم ودعايهم ليتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكساي به وبالياء لان التانيث
غير حقيقي والفعل متقدم وقرى على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل
للايات وبالياء على ان الفعل لله • ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط • يعنى
حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو
ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرى الجمل كالقمل والجمل كالنغر

والجمل

والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل
السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والحزم
• وكذلك • ومثل ذلك الجزاء الفظيع • نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد • فراش
• ومن فوقهم غواش • اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرى غواش على الغاء المحذوف • وكذلك نجزي الظالمين • عبر عنهم
بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه
الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار
تنبيها على انه اعظم الاجرام • والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا
وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • على عادته سبحانه فى ان يشفع
الوعد بالوعيد ولا يكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب
فى اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم وتسهل عليهم وقرى لا يكلف نفس
• ونزعنا ما فى صدورهم من غل • اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه
حتى لا يكون بينهم الا التودد وعن على رضى الله تعالى عنه انى لارجوا ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم • تجري من تحتهم الانهار • زيادة فى لذتهم وسرورهم
• وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا • لما جزاوه هذا • وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله • لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل
عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى • لقد جاءت رسل
ربنا بالحق • فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه
يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الاخرة • ونودوا ان تلكم الجنة • اذا راوها
من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات • اورثتموها بما كنتم تعملون • اي
اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر
والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة من الثقيلة او المفسرة
لان المناداة والتاذين من القول • ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا • انما قالوه تبجحا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما

ساهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدهم بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل
الجنة • قالوا نعم • وقرا الكسايي بكسر العين وهما لغتان • فاذن موذن • قيل هو صاحب
الصور • بينهم • بين الفريقين • ان لعنة الله على الظالمين • وقرا ابن كثير في رواية
البزي وابن عامر وحمزة والكسايي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقري ان
بالكسر على ارادة القول واجرا اذن مجرى قال • الذين يصدون عن سبيل الله •
صفة للظالمين مفسرة او ذم مرفوع او منصوب • ويبغونها عوجا • زيغا وميلا
عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح
ما كان في المنتصبة كالحايط والرمح • وهم بالاخرة كافرون • وبينهما حجاب • اي
بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور اي بين الجنة والنار ليمنع وصول
اثر احدهما الى الاخرى • وعلى الاعراف • اي وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو
السور المضروب بينهم جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من
الشي فانه يكون بظهوره اعرف من غيره • رجال • طايفة من الموحدين قصروا في
العمل فيحبسون بين الجنة والنار تقضي الله فيهم ما يشا وقيل قوم علت درجاتهم
كالانبيا او الشهدا او خيار المومنين وعلماوهم او ملايكة يرون في صورة الرجال
• يعرفون كلا • من اهل الجنة والنار • بسيماهم • بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه
من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملايكة • ونادوا اصحاب الجنة
ان سلام عليكم • اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم • لم يدخلوها وهم يطمعون • حال
من الواو او على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه • واذا صرفت ابصارهم تلقاء
اصحاب النار قالوا • نعوذ بالله • ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين • اي في النار
• ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم • من روسا الكفرة • قالوا ما
اغنى عنكم جمعكم • كثرتكم او جمعكم المال • وما كنتم تستكبرون • عن الحق او على الخلق
وقري تستكثرون من الكثرة • اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة • من تتمة
قولهم للرجال والاشارة الى ضعفا اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم
في الدنيا ويحلفون ان الله تعالى لا يدخلهم الجنة • ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم

تحزنون

تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الا
اي فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملايكة اهولاء الذين اقسمتم وقري ادخلوا
ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم • ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء • اي صبوه وهو دليل ان الجنة
فوق النار • او مما رزقكم الله • من ساير الاشربة ليلايم الافاضة او من الطعام
كقوله علفتها تبنا وماء باردا • قالوا ان الله حرمهما على الكافرين • منعهما عنهم
منع المحرم عن المكلف • الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا • كتحريم البحيرة والتصدية
حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا
يحسن ان يطلب به • وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم • نفعل بهم فعل
الناسين فنتركهم في النار • كما نسوا لقا يومهم هذا • فلم يخطروا ببالهم ولم يستعدوا
له • وما كانوا باياتنا يجحدون • وكما كانوا منكرين انها من عند الله • ولقد
جيناهم بكتاب فصلناه • بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة
• على علم • عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او
مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقري فضلناه اي على ساير الكتب عالمين
بانه حقيق بذلك • هدى ورحمة لقوم يومنون • حال من الهاء • هل ينظرون •
هل ينتظرون • الا تاويله • الا ما يوول اليه امره من تبيين صدقه بظهور ما
نطق به من الوعد والوعيد • يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل • تركوه ترك
الناسي • قد جات رسل ربنا بالحق • اي قد تبين انهم جاوا بالحق • فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا • اليوم • او نرد • او هل نرد الى الدنيا وقري بالنصب عطفا على
فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسول احد الامرين وعلى الثاني ان
يكون لهم شفعا اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد • فنعمل غير الذي كنا نعمل •
جواب الاستفهام الثاني وقري بالرفع اي فنحن نعمل • قد خسروا انفسهم • بصرف
اعمالهم في الكفر • وضل عنهم ما كانوا يفترون • بطل عنهم فلم ينفعهم • ان ربكم

الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات لقوله ومن
يولهم يوميذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع
الشمس الي غروبها ولم يكن حينيذ وفي خلق الاشيا مدرجا مع القدرة علي ايجادها
دفعة دليل الاختيار واعتبار للناظر وحث على التاني في الامور ثم استوى علي
العرش استوى امره او استولي وعن اصحابنا ان الاستوا على العرش صفة لله تعالى
بلا كيف والمعنى ان له تعالى استوا على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن
الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او
للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل
النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قري
يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكساي ويعقوب وابو بكر
عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه
سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شي والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضايه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتدا والخبر الا له الخلق
والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في
الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له
الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك
ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الي
ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة
ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في
يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب
موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين

بقوله

بقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم لما تم
له عالم الملك عمد الي تدبيره كالملك الجالس علي عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر
من السما الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
ذوي تضرع وخفية فان الاخفا دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في الدعا وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة
الانبيا والصعود الي السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب فيه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني
اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل ثم انه قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبيا وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف
من الرد لقصور اعمالكم او عدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما به
يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف
او امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر
كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي
يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكساي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور
بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نُشْرًا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكساي نَشْرا
بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول
مطلق فان الارسال والنَّشْر متقاربان وعاصم بُشْرا وهو تخفيف بُشُر
جمع بشير وقد قري به وبَشْرا بفتح البا مصدر بشره بمعنى باشرات او بشرى
او البشارة بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت سحابا اي
حملته واشتقاقه من القلة فان المقل للشي يستقله ثقالا بالما جمعه

جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحايب • سقناه • اي السحاب وافراد الضمير باعتبار
اللفظ • لبلد ميت • اي لاجله او لاحيايه او لسقيه وقرئ ميت • فانزلنا به الما •
بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك • فاخرجنا به • ويحتمل فيه عود
الضمير الى الما واذا كان للبلد فالبا للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا
كان لغيره فهي للسببية فيهما • من كل الثمرات • من كل انواعها • كذلك نخرج
الموتى • الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احيا البلد الميت اي كما نحييه
باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بالقوي والحواس • لعلكم تذكرون • فتعلمو
ان من قدر على ذلك قدر على هذا • والبلد الطيب • الارض الكريمة التربة • يخرج
نباته باذن ربه • بمشيته وتيسيره وعبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة
نفعه لانه اوقعه في مقابلة • والذي خبث • اي كالحرة والسبخة • لا يخرج الا
نكدا • قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث
لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا
مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر
اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف • كذلك نصرف الايات • نرددها ونكررها
لقوم يشكرون • نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر
الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها • لقد ارسلنا نوحا الى قومه •
جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع
فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس
اول نبي بعث بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين • فقال يا قوم اعبدوا الله •
اي اعبدوه وحده لقوله • ما لكم من اله غيره • وقرا الكسائي غيره على اللفظ حيث
وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثنا • اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم • اي ان لم تومنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته
واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان • قال الملا من قومه • اي الاشراف
فانهم يملون العيون رواء • انا لنراك في ضلال • زوال عن الحق • مبين • بين •
• قال يا قوم ليس بي ضلالة • اي شي من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات

وعرض

وعرض لهم به • ولكني رسول من رب العالمين • استدراك باعتبار ما يلزمه وهو
كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله • ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون • صفات لرسول او استيناف ومساقها
على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد
بها ما اوحي اليه والى الانبيا قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم
للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما وعدهم به فان معناه اعلم من
قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشيا لا علم لكم بها • او عجبتم • الهمزة
للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم • ان جاءكم • من ان جاءكم • ذكر
من ربكم • رسالة او موعظة • على رجل • على لسان رجل • منكم • من جملتكم او من جنسكم
فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شا الله لانزل ملايكة ما
سمعنا بهذا في ابائنا الاولين • لينذركم • عاقبة الكفر والمعاصي • ولتتقوا •
منهما بسبب الانذار • ولعلكم ترحمون • بالتقوى وفايدة حرف الترجي التنبيه
على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تعالى تفضل وان المتقي ينبغي ان لا
يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله تعالى • فكذبوه فانجيناه والذين معه •
وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام
وحام ويافث وستة ممن امن به • في الفلك • متعلق بمعه او بانجيناه او حال من
الموصول او الضمير في معه • واغرقنا الذين كذبوا باياتنا • بالطوفان • انهم كانوا
قوما عمين • عمي القلب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين •
والاول ابلغ لدلالته على الثبات • والى عاد اخاهم • عطف على نوحا الى قوله
• هودا • عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم لقولهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود
ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم بقوله واعرف
بحاله وارغب في اقتفايه • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • استانف
به ولم يعطف كانه جواب سايل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم

افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملا
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك في
سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حين تركت دين قومك وانا لنظنك
من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبيا الكفرة عن كلماتهم الحمقا بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل
صالح امين وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرا ابو عمرو
ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفا
من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك
معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم
في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا الا الله لعلكم تفلحون
كي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المودي الى الفلاح قالوا اجيتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد اباونا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك
به اباوهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجي في اجيتنا اما المجي في
اجيتنا من مكان اعتزل به عن قومه او من السما على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت
من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب عليكم او حق عليكم او نزل عليكم
على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة انتقام اتجادلونني في اسما سميتموها انتم واباوكم ما نزل الله بها من
سلطان اي في اشيا سميتموها الهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة
بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال
اية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل
يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يوبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم
وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم

يكن

تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسما مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفها
ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب بكم اني معكم
من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر
الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مومنين تعريض بمن امن منهم
وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله تعالى اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر
عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينيذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم
بلا توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد
ابن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاود
ابن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم
وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم
فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا الغماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما
حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا يسقون بدعايكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه
قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السما يا
قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ما فخرجت على عاد
من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاتهم منها ريح عقيم
فاهلكتهم ونجى الله تعالى هودا والمومنين معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا
والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل سموا به لقلة مايهم من الثمد وهو الما القليل وقري مصروفا بتاويل الحي او باعتبار
الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا
صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم: معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم اية: استيناف لبيانها واية نصب على الحال والعامل فيها معنى
الاشارة ولكم بيان لمن هي له اية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان
ولكم خبرا عاملا في اية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جات من عند الله
بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت اية. فذروها تاكل في ارض الله:
العشب. ولا تمسوها بسوء: نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذي مبالغة في الامر وازاحة في العذر. فياخذكم عذاب اليم: جواب
للنهي. واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد وبواكم في الارض: ارض الحجر. تتخذون
من سهولها قصورا: اي بيوتا في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن
والاجر. وتنحتون الجبال بيوتا: وقرى تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع
وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال
او تنحتون بمعنى تتخذون. فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
قال الملا الذين استكبروا: اي عن الايمان. من قومه للذين استضعفوا: اي
للذين استضعفوهم واستذلوهم. لمن امن منهم: بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرا ابن عامر وقال
الملا بالواو. اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه: قالوه على الاستهزا. قالوا انا بما
ارسل به مومنون: عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر
فلذلك قال. قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون: على المقابلة
ووضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما. فعقروا الناقة:
فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم. وعتوا عن امر
ربهم: واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها. وقالوا يا صالح
ايتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
روي انهم كانوا بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا
تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا

في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه
اية فقال اي اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا
فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم
جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفا وبرا فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن
فعلت ذلك لتومنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما وصفوا وهم ينظرون ثم
نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان
ذواب بن عمرو والحباب صاحبا اوثانهم ورباب بن كاهنهم فمكثت الناقة وولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البير حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج
فيحلبون ما شاوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة بنت غنم وصدقة بنت
المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا
فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يدفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
اذ انفجرت الصخرة بعد رغايه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا
مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا
العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان
ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السما فتقطعت
قلوبهم فهلكوا. فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
ولكن لا تحبون الناصحين: ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك
على سبيل التحسر عليهم. ولوطا: اي وارسلنا لوطا. اذ قال لقومه: وقت قوله
لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه. اتاتون الفاحشة: توبيخ وتقريع على تلك

الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين : ما فعلها قبلكم
احد قط والبا للتعدية ومن الاولي لتاكيد النفي والاستغراق والثانية
للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة .
ثم باختراعها فانه اسوا . اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا : بيان
لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم
علي الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها
وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه علي ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الي
المباشرة طلب الولد وبقا النوع لا قضا الوطر . بل انتم قوم مسرفون : اضراب
عن الانكار الي الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الي ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شي او عن الانكار عليها الي الذم علي جميع معايبهم او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف . وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم : اي ما جاوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته
بالامر باخراجه فيمن معه من المومنين عن قريتهم والاستهزا بهم فقالوا . انهم
اناس يتطهرون : اي من الفواحش . فانجيناه واهله : اي من امن به . الا امراته :
استثنا من اهله فانها كانت تسر الكفر . كانت من الغابرين : من الذين بقوا في
ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور . وامطرنا عليهم مطرا : اي نوعا من
المطر عجيبا وهو معين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل . فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين : روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الي الشام
نزل بالاردن فارسله الله تعالي الي اهل سدوم ليدعوهم الي الله وينهاهم عما
اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنه فامطر عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة علي مسافريهم . والي مدين اخاهم شعيبا : اي واولنا
اليهم وهم اولاد مدين ابن ابراهيم شعيب بن ميكايل بن يشخر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم : يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران
انها ما هي وما روي من محاربة عصي موسي التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه

الدرع

الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصي موسي علي يده في المرات السبع
متاخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان تكون كرامة لموسي او ارهاصا لنبوته . فاوفوا الكيل
اي آلة الكيل علي الاضمار او اطلاق الكيل علي المكيال كالعيش علي المعاش لقوله
والميزان كما قال في سورة هود اوبالكيل ووزن الميزان ويجوز ان تكون الميزان مصدر
كالميعاد . ولا تبخسوا الناس اشياهم . ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياهم
للتعميم تنبيها علي انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا
مكاسين لا يدعون شيا الا مكسوه . ولا تفسدوا في الارض : بالكفر والحيف
بعد اصلاحها : بعد ما اصلح امرها واهلها الانبيا واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها
والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار . ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين :
اشارة الي العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعني الخيرية اما الزيادة مطلقا او في
الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال . ولا تقعدوا بكل صراط توعدون : بكل
طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب
الي معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعي في شي منها منعوه وقيل كانوا
يجلسون علي المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك
ويوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق . وتصدون عن سبيل الله يعني
الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة علي عظم ما
يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه والايمان بالله . من امن به : اي بالله او بكل
صراط علي الاول ومن مفعول تصدون علي اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون
لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدون
. وتبغونها عوجا : وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقا الشبه او وصفها للناس بانها
معوجة . واذكروا اذ كنتم قليلا : عددكم اذ عددكم . فكثركم : بالبركة في النسل او
المال . وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين : من الامم قبلكم واعتبروا بهم . وان
كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا . فتربصوا
. حتي يحكم الله بيننا : اي بين الفريقين بنصر المحقين علي المبطلين فهو وعد للمومنين
ووعيد للكافرين . وهو خير الحاكمين : اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه . قال الملا

الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا؛ اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب
لم يكن في ملتهم قط لان الانبيا لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على
الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله • قال او لو كنا
كارهين؛ اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او تعيدوننا في حال كراهتنا • قد
افترينا على الله كذبا؛ قد اختلقنا عليه • ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها؛ شرط
جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل قد عليه لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان هممنا بالعود بعد
الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم
عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا • وما يكون لنا • وما يصح
لنا • ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا؛ خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون • وسع ربنا
كل شيء علما؛ اي احاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم • على الله توكلنا؛
في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار • ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق؛
احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما
بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه • وانت خير الفاتحين؛
على المعنيين • وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا؛ وتركتم
دينكم • انكم اذا لخاسرون؛ لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل
لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطا باللام • فاخذتهم
الرجفة؛ الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها • فاصبحوا
في دارهم جاثمين؛ اي في مدينتهم • الذين كذبوا شعيبا؛ مبتدا خبره • كان لم يغنوا
فيها؛ اي استوصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل • الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين؛ دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في
الدارين وللتنبيه فيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين
واتى بهما اسميتين • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم

قال

يعني صيحة هائلة
مهلكة وقيل
صيحة جبرائيل
ق

فاله تاسفا بهم لشدة حسرته عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة
حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبلغتكم وبذلت وسعي في
النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم • وما ارسلنا في
قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء؛ بالبوس والضر • لعلهم يضرعون؛
كي يتضرعوا ويتذللوا • ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة؛ اي اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين • حتى عفوا؛
كثروا عددا وعددا يقال عفى النبات اذا كثر ومنه اعفى اللحى • وقالوا قد مس
اباءنا الضراء والسراء؛ كفرانا لنعمة الله تعالى ونسيانا لذكره واعتقادا
بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا منه مثل
ما مسنا • فاخذناهم بغتة؛ فجاة • وهم لا يشعرون؛ بنزول العذاب
• ولو ان اهل القرى؛ يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من
نبي وقيل مكة وما حولها • امنوا واتقوا؛ مكان كفرهم وعصيانهم • لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض؛ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد • ولكن كذبوا؛ الرسل
• فاخذناهم بما كانوا يكسبون؛ من الكفر والمعاصي • افامن اهل القرى؛ عطف
على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى بعد ذلك
امن اهل القرى • ان ياتيهم باسنا بياتا؛ تبييتا او وقت بيات او مبيتا
او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجي بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم • وهم نائمون؛ حال من الضمير البارز او المستتر في
بياتا • او امن اهل القرى؛ وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على
الترديد • ان ياتيهم باسنا ضحى؛ ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا
ارتفعت • وهم يلعبون؛ يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
• افامنوا مكر الله؛ تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله تعالى استعارة
لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب • فلا يامن مكر الله الا القوم

الخاسرون: الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار. اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها: اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد
باللام بمعني يبين. ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم: ان الشان لو نشا اصبناهم بجزا
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا. ونطبع علي
قلوبهم: عطف علي ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية ومنقطع عنه بمعني
نطبع ولا يجوز عطفه علي اصبناهم علي انه بمعني وطبعنا لانه في سياقة جواب
لو لافضايه الي نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون: سماع تفهم واعتبار. تلك
القري: يعني قري الامم المار ذكرها. نقص عليك من انبايها: حال ان جعل القري
خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا
خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبايها ولها انبا غيرها لا نقصها. ولقد
جاتهم رسلهم بالبينات: بالمعجزات. فما كانوا ليومنوا: عند مجيئهم بها. بما كذبوا
من قبل: بما كذبوا من قبل الرسل بل كانوا مستمرين علي التكذيب او فما كانوا ليومنوا
مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حتي جاتهم الرسل ولم توثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة
والايات المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة علي انهم ما صلحوا الايمان لمنافاته
لحالهم في التصميم علي الكفر والطبع علي قلوبهم. كذلك يطبع الله علي قلوب
الكافرين: فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر. وما وجدنا لاكثرهم: لاكثر الناس
والاية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين. من عهد: وفا عهد فان اكثرهم نقضوا ما
عهد الله اليهم في الايمان والتقوي بانزال الايات ونصب الحجج وما عهدوا اليه
حتي كانوا في ضر ومخافة مثل لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. وان وجدنا
اكثرهم: اي علمناهم. لفاسقين: من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة
واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما
وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعني الا. ثم بعثنا من بعدهم موسي: الضمير
للرسل في قوله ولقد جاتهم رسلهم او الامم. بايتنا: بمعني المعجزات. الي فرعون
وملايه فظلموا بها: بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها
ولهذا المعني وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسري لملك فارس

وكان

وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسي يا فرعون اني رسول من رب العالمين. اليك: وقوله حقيق علي ان
لا اقول علي الله الا الحق: لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوي الرسالة وانما لم يذكره
لدلالة قوله فظلموا بها عليه. وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب
لامن اللبس لقوله. وتشقي الرماح بالضياطرة الحمر. اولان ما لزمك فقد لزمته
او للاغراق في الوصف بالصدق والمعني انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا
قايله لا يرضي الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معني حريص او وضع علي مكان البا
لافادة التمكن لقولهم رميت علي القوس وجيت علي حال حسنة ويويده قراة ابي
بالبا وقري حقيق ان لا اقول. قد جيتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرايل:
فخلهم حتي يرجعوا معي الي الارض المقدسة التي هي وطن ابايهم وكان قد استعبدهم
واستخدمهم في الاعمال. قال ان كنت جيت باية: من عند من ارسلك. فات بها
فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك. ان كنت من الصادقين: في الدعوي. فالقي
عصاه فاذا هي ثعبان مبين: ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرفاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل علي الارض والاخر علي سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون
يا موسي انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل فاخذه
فعاد عصا. ونزع يده: من جيبه او من تحت ابطه. فاذا هي بيضا للناظرين: اي
بيضا بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليها النظارة او بيضا للناظرين لا انها
كانت بيضا في جبلتها روي انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده جيبه او تحت
ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضا نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس. قال الملا
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم: قيل قاله هو واشراف قومه علي سبيل التشاور
في امره فحكي عنه في سورة الشعرا وعنهم هاهنا. يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا
تامرون: تشيرون في ان نفعل. قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين
ياتوك بكل ساحر عليم: كانه اتفقت عليه اراوهم فاشاروا به الي فرعون والاخرين

التاخير اي اخر امره واصله ارجيه كما قرا ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك
ارجيهوا على قراة بن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في
رواية ورش واسماعيل والكساي واما قراته في رواية قالون ارجه بحذف اليا
فللاكتفا بالكسرة عنها وقرا حمزة وعاصم وحفص ارجه بسكون الها فكتشبيه
المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراة بن عامر برواية بن
ذكوان ارجيه بالهمز وكسر الها فلا يرتضيه النحاه فان الها لا تكسر الا اذا كان
قبلها كسرة او يا ساكنه ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب يا اجريت مجراها
وقرا حمزة والكساي بكل سحار فيه وفي سورة يونس ويويده اتفاقهم عليه في
الشعرا • وجاء السحرة فرعون • بعدما ارسل الشرط في طلبهم • قالوا ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين • استانف به كانه جواب سايل قال ما قالوا اذ جاوا
وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا
من اجر والتنكير للتعظيم • قال نعم • ان لكم لاجرا • وانكم لمن المقربين • عطف
على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم • قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين • خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن
كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك • قال القوا •
كرما وتسامحا او ازدرا بهم ووثوقا على شانه • فلما القوا سحروا اعين الناس • بان
خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه • واسترهبوهم • وارهبوهم ارهابا شديدا
كانهم طلبوا رهبتهم • وجاوا بسحر عظيم • في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا • واوحينا الى
موسى ان الق عصاك • فالقاها فصارت حية • فاذا هي تلقف ما يافكون • اي ما
يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشي عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية
وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها
باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها
موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا

وعصينا

وعصينا وقرا حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه والشعرا • فوقع الحق • فثبت
لظهور امره • وبطل ما كانوا يعملون • من السحر والمعارضة • فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين • صاروا اذلا مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلا مقهورين
والضمير لفرعون وقومه • والقي السحرة ساجدين • جعلهم ملقين على وجوههم
تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او
ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم
كسر موسى وينقلب الامر عليه مبالغة في سرعة خرورهم وشدته • قالوا
امنا برب العالمين رب موسى وهارون • ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم
انهم ارادوا به فرعون • قال فرعون امنتم به • بالله او بموسى والاستفهام فيه
للانكار وقرا حمزة والكساي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق
الهمزتين على الاصل وقرا حفص امنتم به على الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وامنتم
به يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة
في تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية • قبل
ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه • يعني ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى • في المدينة • في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد • لتخرجوا منها اهلها • يعني
القبط ويخلص لكم ولبني اسرايل • فسوف تعلمون • عاقبة ما فعلتم وهو تهديد
مجمل تفصيله • لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف • من كل شق طرفا • ثم لاصلبنكم
اجمعين • تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله
تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته • قالوا انا الى ربنا منقلبون • بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك
او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا
الى لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا • وما تنقم منا • اي وما
تنكر منا • الا ان امنا بايات ربنا لما جاتنا • وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما
يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا • ربنا
افرغ علينا صبرا • افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الما او صب علينا ما يطهرنا

من الاثام وهو الصبر علي وعيد فرعون • وتوفنا مسلمين • ثابتين علي الاسلام
قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالي انتما ومن
اتبعكما الغالبون • وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا
في الارض • بتغيير الناس عليك ودعوتهم الي مخالفتك • ويذرك • عطف علي
يفسدوا اوجواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة • الم اك جاركم ويكون
بيني • وبينكم المودة والاخاء • علي معني ان يكون منك ترك موسي ويكون تركه
اياك وقري بالرفع علي انه عطف علي اتذر او استيناف او حال وقري بالسكون
كانه قيل يفسدوا ويذرك لقوله تعالي فاصدق واكن • والهتك • معبوداتك
قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلي وقري الهتك اي عبادتك • قال
فرعون • سنقتل ابناهم ونستحيي نساهم • كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا علي ما
كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا علي يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف • وانا فوقهم
قاهرون • غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا • قال موسي لقومه استعينوا
بالله واصبروا • لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم • ان الارض
لله يورثها من يشا من عباده • تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله
والتثبت في الامر • والعاقبة للمتقين • وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من
اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقري والعاقبة بالنصب عطف
علي اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس • قالوا • اي بنوا اسرايل • اوذينا
من قبل ان تاتينا • بالرسالة بقتل الابنا • ومن بعد ما جيتنا • باعادته • قال
عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض • تصريحا بما كني عنه اولا
لما روي انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتي بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم
المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود
عليه الصلاة والسلام • فينظر كيف تعملون • فيري ما تعملون من شكر وكفران
وطاعة وعصيان ليجازيكم علي حسب ما يوجد منكم • ولقد اخذنا ال فرعون

بالسنين

بالسنين • بالجدوب لقلة المطر والمياه والسنة غلبت علي عام القحط لكثرة ما
يذكر عنه ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا • ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات • لعلهم يذكرون • لكي يتنبهوا علي ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدايد فيفزعوا الي الله تعالي ويرغبوا فيما عنده
• فاذا جاتهم الحسنة • من الخصب والسعة • قالوا لنا هذه • لاجلنا ونحن مستحقوها
• وان تصبهم سيئة • جدب وبلا • يطيروا بموسي ومن معه • يتشاموا بهم ويقولوا
ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدايد
ترقق القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات
وهي لم توثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة
وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها ونكر السيئة
واتي بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع • الا انما طايرهم
عند الله • اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهي حكمة ومشيئة او سبب شومهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسووهم وقري
انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان ما يصيبهم من
الله تعالي او من شوم اعمالهم • وقالوا مهما • اصله ما الشرطية ضمت اليها ما
المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها ها استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي
يصوت به الكاف وما الجزايية ومحلها الرفع علي الابتدا او النصب بفعل
يفسره • تاتنا به • اي شي تحضرنا تاتنا به • من اية • بيان لمهما وانما سموها
اية علي زعم موسي لا لاعتقادهم ولذلك قالوا • لتسحرنا بها فما نحن لك
بمومنين • اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره
قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعني • فارسلنا عليهم
الطوفان • ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري
وقيل الموتان وقيل الطاعون • والجراد والقمل • قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد وقيل نبات اجنحتها • والضفادع والدم • روي انهم مطروا ثمانية
ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الما بيوتهم حتي قاموا

فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرايل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة
وركب على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا
لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نومن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من
الكلا والزرع مالم يعهد مثله ولم يومنوا فبعث الله تعالى عليهم الجراد فاكلت
زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا
فدعا وخرج الى الصحرا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي
التي جات منها فلم يومنوا فسلط عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم
ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا
الان انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم
عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا
العهد ثم ارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع
الاسرائيلي على انا فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ما ويمص الما من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فيه وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف • ايات • نصب على الحال • مفصلات •
مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان
احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى
عليه الصلاة والسلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات
على مهل • فاستكبروا • عن الايمان • وكانوا قوما مجرمين • ولما وقع عليهم الرجز • يعني
العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك • قالوا يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك • بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك
كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه
بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه مثل اسعفنا الى ما نطلب منك
بحق ما عهد عندك او قسم مجاب لقوله • لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن
معك بني اسرايل • اي اقسمنا بعهد الله عندك لين كشفت عنا الرجز لنومنن ولنرسلن
• فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه • الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه

اويهلكون

او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم • اذا هم ينكثون •
جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث من غير توقف وتامل فيه • فانتقمنا
منهم • فاردنا الانتقام منهم • فاغرقناهم في اليم • اي في البحر الذي لا يدرك
قعره وقيل لجته • بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين • اي كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليه بقوله فانتقمنا • واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون • بالاستعباد وذبح الابنا من مستضعفيهم • مشارق
الارض ومغاربها • يعني ارض الشام ملكها بنو اسرايل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها • التي باركنا فيها • بالخصب وسعة العيش • وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرايل • ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم
بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرى كلمات
ربك لتعدد المواعيد • بما صبروا • بسبب صبرهم على الشدايد • ودمرنا •
وخربنا • ما كان يصنع فرعون وقومه • من القصور والعمارات • وما كانوا
يعرشون • من الجنات وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا
ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقوله
• وجاوزنا ببني اسرايل البحر • وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرايل من الامور
الشنيعة بعد ان من الله تعالى عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما راى منهم وايقاظا للمومنين حتى
لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه الصلاة والسلام
عبر بهم يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا • فاتوا على قوم •
فمروا عليهم • يعكفون على اصنام لهم • يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر
وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل
من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر • قالوا يا موسى اجعل لنا الها •
تمثالا نعبده • كما لهم الهة • يعبدونها وما كافة للكاف • قال انكم قوم
تجهلون • وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من

الايات الكبرى عن العقل ان هولاء اشارة الى القوم متبر مكسر ما هم
فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا التقرب الى الله تعالى وانما
بالغ في هذا الكلام بايقاع هولاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا
بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان
الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم تنفيرا
وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على
العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم
حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان
قصدوا ان يشركوا به اخس شي من مخلوقاته واذ انجيناكم من ال فرعون
واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن كثير انجاكم يسومونكم سوء
العذاب استيناف لبيان ما انجاكم او حال من المخاطبين او من ال فرعون
او منهما يقتلون ابناكم ويستحيون نساكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وفي الانجا او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين
ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة
فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلاة والسلام
وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من عند الله تعالى
فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما
اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملايكة كنا نشم منك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى
ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال
موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان
يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك
الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم

الملايكة وفيما روي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من
جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون
لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على معد
في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة
خطا اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته
اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهل بحقيقة الروية قال لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه
لا يطيقه وفي تعليق الروية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على
الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وقيل اعطي له حياة وروية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء ارضا مستوية ومنه ناقة
دكاء التي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا
عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من
الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المومنين مر تفسيره وقيل معناه
وانا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك
على الناس اي الموجودين في زمانك وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه
ولم يك كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرا ابن كثير
ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة
وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سوال الروية كان يوم عرفة واعطاء التوراة

يوم النحر • وكتبنا له في الالواح من كل شيء • مما يحتاجون اليه من امر الدين • موعظة
وتفصيلا لكل شيء • بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شي من المواعظ وتفصيل الاحكام
واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت
احمر او صخرة صما كتبها الله تعالى لموسي فقطعها بيده او شققها باصابعه ن
وكان فيها التوراة او غيرها • فخذها • علي اضمار القول عطفا علي كتبنا او بدل من
قوله فخذ ما اتيتك والها للالواح او لكل شي فانه بمعنى الاشيا او الرسالات
• بقوة • بجد وعزيمة • وامر قومك ياخذوا باحسنها • اي باحسن ما فيها كالصبر
بالاضافة الي الانتصار والاقتصاص علي طريقة الندب والحث علي الافضل
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او موجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان
يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو الماموربه لقولهم الصيف
احر من الشتاء • ساريكم دار الفاسقين • دار فرعون وقومه بمصر خاوية علي عروشها
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا ولا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم
وقري ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله ن
واورثنا القوم • ساصرف عن اياتي • المنصوبة في الافاق والانفس • الذين يتكبرون
في الارض • بالطبع علي قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم • بغير
الحق • صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله
• وان يروا كل اية • منزلة او معجزة • لا يؤمنوا بها • لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب
انهماكهم في الهوي والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول • وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا • لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقري
الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام • وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين • اي ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينصب ذلك علي المصدر اي ساصرف ذلك
الصرف بسببهما • والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة • اي ولقائهم الدار الاخرة
وما وعد الله تعالى في الاخرة • حبطت اعمالهم • لا ينتفعون بها • هل يجزون الا ما كانوا

يعملون

يعملون • الا جزاء اعمالهم • واتخذ قوم موسي من بعده • اي من بعد ذهابه الي الميقات • من
حليهم • التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت
في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي
بالكسر للاتباع كدلي ويعقوب علي الافراد • عجلا جسدا • بدنا ذا لحم ودم او
جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه علي البدل • له خوار • صوت البقر روي
ان السامري لما صاغ العجل القي في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم
وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقري جؤار اي صياح
• الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا • تقريع علي فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر علي كلام ولا علي ارشاد
سبيل كاحاد البشر حتي حسبوا انه خالق الاجسام والقوي والقدر • اتخذوه •
تكرير للذم اي اتخذوه الها • وكانوا ظالمين • واضعين الاشيا في غير موضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم • ولما سقط في ايديهم • كناية عن اشتداد ندمهم
فان النادم متحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقري سقط علي بناء
الفعل للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم • وراوا •
وعلموا • انهم قد ضلوا • باتخاذ العجل • قالوا لئن لم يرحمنا ربنا • بانزال التوراة
• ويغفر لنا • بالتجاوز عن الخطيئة • لنكونن من الخاسرين • وقراهما حمزة
والكسائي بالتاء وربنا علي النداء • ولما رجع موسي الي قومه غضبان اسفا • شديد
الغضب وقيل حزينا • قال بئسما خلفتموني من بعدي • فعلتم بعدي حيث
عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب
لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي
من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه • اعجلتم امر ربكم • اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي
تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم

بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم • والقى الالواح • طرحها من شدة الغضب وفرط
الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما
القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه
المواعظ والاحكام • واخذ براس اخيه • بشعر راسه • يجره اليه • توهما بانه قصر
في كفهم وهارون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل • قال ابن ام • ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي
فحذفت اليا اكتفا بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى اليا والباقون بالفتح
زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر • ان القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني • ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني
واستضعفوني وقاربوا قتلي • فلا تشمت بي الاعداء • فلا تفعل بي ما يشمتون بي
لاجله • ولا تجعلني مع القوم الظالمين • معدودا في عدادهم بالمواخذة او نسبة
التقصير • قال رب اغفر لي • ما صنعت باخي • ولاخي • ان فرط في كفهم ضم اليه
نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه • وادخلنا في رحمتك •
بمزيد الانعام علينا • وانت ارحم الراحمين • فانت ارحم بنا منا على انفسنا • ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم • وهو ما امرهم به من قتل انفسهم • وذلة في
الحياة الدنيا • وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية • وكذلك نجزي المفترين •
على الله تعالى ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم
يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم • والذين عملوا السيئات • من الكفر والمعاصي
• ثم تابوا من بعدها • من بعد السيئات • وامنوا • واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة • ان ربك من بعدها • من بعد التوبة • لغفور رحيم • وان عظم
الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل • ولما سكت • سكن وقرئ به
• عن موسى الغضب • باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن
سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او

الذين

الذين تابوا • اخذ الالواح • التي القاها • وفي نسختها • وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة
بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة • هدى •
بيان للحق • ورحمة • ارشاد الى الصلاح والخير • للذين هم لربهم يرهبون • دخلت
اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم • واختار موسى قومه • فحذف الجار واوصل الفعل اليه
• سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة • روي انه تعالى امره ان ياتيه
بسبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف
منكم رجلان فتشاجروا فقال لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب
مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها • قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي • تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان
يرى ما راى او بسبب اخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون
على هلاكهم وباغراقهم في البحر فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم
مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك • اتهلكنا بما فعل السفهاء منا • من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
فرقوا منها ورجفوا حتى تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم • ان هي الا فتنتك • ابتلاؤك حين اسمعتهم
كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به • تضل بها
من تشاء • ضلالة بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل • وتهدي من تشاء • هداية
فيقوى بها ايمانه • انت ولينا • القائم بامرنا • فاغفر لنا • بمغفرة ما قارفنا
• وارحمنا وانت خير الغافرين • تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة • واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة • حسن معيشة وتوفيق طاعة • وفي الاخرة • الجنة
• انا هدنا اليك • تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده

اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا
اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شي في الدنيا المومن والكافر
بل المكلف وغيره فسا كتبها فسا ثبتها في الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا
بني اسرايل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويوتون الزكاة خصصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يومنون فلا يكفرون
بشي منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره
هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم وانما سماه رسولا باضافته الى الله ونبيا باضافته الى العباد الامي
الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفه يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبايث
كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطا
وقطع الاعضا الخاطية وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله وقرا ابن عامر اصارهم فالذين امنوا به وعزروه
وعظموه بالتقوية وقري بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه
ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع
الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفايزون بالرحمة الابدية ومفهوم
الاية جواب دعا موسى عليه الصلاة والسلام قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وساير
الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة
لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب

اومرفوع

او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من
ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته ما انزل عليه
وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه وقري وكلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يومن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى
الغيبة لاجرا هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم
تهتدون جعل رجا الاهتدا اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطة الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرايل امة يهدون
بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم
والمراد بها الثابتون على الايمان العاملون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر
اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل
الحق والباطل امر مستمر وقيل مومنوا اهل الكتاب وقيل قوم ورا الصين راهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا
متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال
وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على
ان كل واحد من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقري بكسر الشين
واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايما على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه
لم يكن موثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه
القرية باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شيتم وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفا

اناد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفا بذكره ثم او بدلالة الحال
واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا
الواو العاطفة بينهما • نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين • وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض
ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر لكم بالتا والبنا
للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم
وقرا ابن عامر خطيئتكم بالهمز ورفع التا من غير الف على التوحيد وقرا نافع لذلك
الا انه على الجمع • فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون • مضى تفسيره فيها • واسالهم • للتقرير والتقريع
تقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم
او بالوحي ليكون ذلك معجزة عليهم • عن القرية • عن خبرها وما وقع باهلها
التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطي البحر
وقيل مدين وقيل طبرية • اذ يعدون في السبت • يتجاوزون حدود الله تعالى
بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه
بدل الاشتمال • اذ تاتيهم حيتانهم • ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقري يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة • يوم سبتهم شرعا • يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويويد الاول ان قري يوم اسباتهم وقوله • ويوم لا
يسبتون لا تاتيهم • وقري لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البنا للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الما
من شرع علينا اذا دنا واشرف • كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون • مثل ذلك
البلا الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم
مثل اتيانهم يوم السبت والبا متعلق بيعدون • واذ قالت • عطف على اذ يعدون
• امة منهم • جماعة من اهل القرية يعني صلحاوهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا

من اتعاظهم

من اتعاظهم • لم تعظون قوما الله مهلكهم • مخترمهم • او معذبهم عذابا شديدا •
في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سوالا
عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاولا بينهم او قول من ارعوي عن الوعظ لمن لم يرعو
منهم وقيل المراد طايفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم
وتهكما بهم • قالوا معذرة الى ربكم • جواب للسوال اي موعظتنا انها معذرة الى
الله حتى لا ينسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب
على المصدر او العلة اي اعتذرنا بها معذرة او وعظناهم معذرة • ولعلهم
يتقون • اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك • فلما نسوا • تركوا ترك الناسي
• ما ذكروا به • ما ذكرهم به صلحاوهم • انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا • بالاعتدا ومخالفة امر الله تعالى • بعذاب بيس • شديد فعيل
من بوس يبوس بوسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس فيعل كضيغم وابن عامر
بيس بكسر البا وسكون الهمز على انه بيس كحذر كما قري فخفف عينه بنقل
حركتها الى الفا ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة يا كما قلبت في ذيب
او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقري بيّس كريس على قلب الهمزة يا ثم
ادغامها وبيس بالتخفيف كهين وبايس • بما كانوا يفسقون • بسبب فسقهم
• فلما عتوا عما نهوا عنه • تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لقوله تعالى وعتوا عن امر
ربهم • قلنا لهم كونوا قردة خاسئين • كقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد
فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى
روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين
فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباهم ولكن
القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسباهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم
ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم • واذ تاذن ربك • اي
اعلم تفعل من الايذان معناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشي

يوذن نفسه بفعله واجري مجري فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الي يوم القيامة والمعنى واذا وجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية فبعث الله عليهم بعد سليمان عليه الصلاة والسلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يوذونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفته او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراوهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات اي بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل هو جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة من اسلافهم يقرونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو والدناة وهو ما كانوا ياخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الي الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عايدين الى مثله غير تايبين منه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افترا على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا

ما فيه

ما فيه عطف على الم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هولاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المودي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتا على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي قلنا خذوا او قايلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الي الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة اي كراهة ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او يقولوا عطف على ان يقولوا وقرا ابو عمرو كليهما باليا لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد بعد قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا

افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله
تعالى ادم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك
بحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح
والمقصود من ايراد هذا الكلام هاهنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما
الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل
الايات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على
اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني اسرايل او امية بن ابي الصلت
كان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون
هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين
اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من
الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من
معه فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شينا لرفعناه الى منازل
الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال
الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار القوم واسترضا قومه واعرض عن مقتضى
الايات وانما علق رفعه بمشية الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها
على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب
على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وانما المشاهد من الاسباب
وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به لذلك فكان من
حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة
وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل
في الخسة كمثل الكلب كصفته في احسن اوصافه وهو ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث اي يلهث دايما سوا حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض
له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد

والشرطية

والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب
الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
فاقصص القصص اي المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا
يودي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا اي مثل القوم
الذين وقري ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم وانفسهم كانوا يظلمون بعد
قيام الحجة عليها وعلمهم بها اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى
الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلمهم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من
الله تعالى وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد
في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد
طريقهم بخلاف الضالين والاختصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم
لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره
لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد ذرانا خلقنا
لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا
يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون
بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله تعالى نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها
اي الايات والمواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار
للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب
التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع
والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم
يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ
وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه

واتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيها وبما يوهم معني
فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمي به نفسه
كقولهم ما نعرف الا رحمان اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها علي الاصنام
واشتقاق اسمايها منها كاللات من الله والعزي من العزيز ولا توافقوهم عليه او
اعرضوا عنهم فان الله تعالي مجازيهم كما قال • سيجزون ما كانوا يعملون • وقرا حمزة هنا
وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد • وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون • ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طايفة ضالين
ملحدين للحق للدلالة علي انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر
عادلين في الامر واستدل به علي صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طايفة
بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال من امتي طايفة علي الحق الي ان
ياتي امر الله تعالي اذ لو اختص بعهد الله او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم • والذين
كذبوا باياتنا سنستدرجهم • سنستدنيهم الي الهلاك قليلا قليلا واصل
الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة • من حيث لا يعلمون •
ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتي يحق عليهم كلمة العذاب • واملي لهم • وامهلهم عطف علي سنستدرجهم
• ان كيدي متين • ان اخذي شديد • وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه
خذلان • اولم يتفكروا • يعني محمدا عليه افضل الصلاة والسلام • من جنة • من
جنون روي انه عليه الصلاة والسلام صعد علي الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم
باس الله تعالي فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الي الصباح فنزلت
• ان هو الا نذير مبين • موضح انذاره بحيث لا يخفي علي ناظر • اولم ينظروا • نظر
استدلال • في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء • مما يقع عليه الشي
من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم علي كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها
وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه • وان عسي ان
يكون قد اقترب اجلهم • عطف علي ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعني اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها

فيسارعون

فيسارعون الي طلب الحق والتوجه الي ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب
• فباي حديث بعده • اي بعد القران • يومنون • اذا لم يومنوا به وهو النهاية في
البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم علي الكفر بعد الزام الحجة والارشاد
الي النظر وقيل هو متعلق بقوله عسي ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم
لا يبادرون الي الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يومنوا به
فباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا به وقوله • من يضلل الله فلا هادي له • كالتقرير
والتعليل له • ويذرهم في طغيانهم • بالرفع علي الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسايي به وبالجزم عطفا علي محل فلا
هادي له كانه قال لا يهده احد غيره ويذرهم • يعمهون • حال من هم • يسالونك
عن الساعة • اي عن يوم القيامة وهو من الاسما الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها علي طولها عند الله كساعة • ايان
مرساها • متي ارساوها اي اثباتها ورسو الشي واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسا السفينة واشتقاق ايان من اين لان معناه اي وقت وهو من اويت
لان البعض اوي الي الكل • قل انما علمها عند ربي • استاثر به لم يطلع عليه غيره ملكا
مقربا ولا نبيا مرسلا • لا يجليها لوقتها • لا يظهر امرها في وقتها • الا هو • والمعني
ان اخفايها مستمر علي غيره الي وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله
اقم الصلاة لدلوك الشمس • ثقلت في السموات والارض • عظمت علي اهلها من
الملايكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الي الحكمة في اخفايها • لا تاتيكم الا بغتة •
فجاة علي غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض
ميزانه ويرفعه • يسالونك كانك حفي عنها • عالم بها فعيل من حفي عن الشي اذا سال
عنه فان من بالغ في السوال عن الشي والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن
وقيل هي صلة يسالونك وقيل هو من الحفاوة بمعني الشفقة فان قريشا قالوا
له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متي الساعة والمعني يسالونك عنها كانك
حفي فتحفي بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك بالسوال عنها

عنه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استاثره الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله
كرره لتكرير يسالونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ان علمها عند الله لم يوته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعا العلم بالغيوب
الا ما شا الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار
المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون
متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ادم
عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل
لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان
الشي الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها
اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا
من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به او قامت وقعدت
وقري فمرت بالتخفيف فاستمرت او فمارت من المور وهو المجي والذهاب او من
المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد في
بطنها وقري على البنا للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لين اتيتنا صالحا
ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما اتاهما
صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما اي جعل اولادهما له شركا فيما اتى اولادهما فسموه
عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه
قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون يعني الاصنام
وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك
لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وقالت لادم فهما منه
ثم عاد اليها وقالت اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك
ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما

ولدت

ولدته سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبيا ويحتمل ان يكون الخطاب في
خلقكم لال قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية
وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسماهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي
وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا
نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهو الشركا
وهم ضمير الاصنام جي به على تسميتهم اياها الهة لا يستطيعون لهم نصرا
اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم
اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل
الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم
الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالى سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعا من حيث انه مسوي بالثبات
على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سوا عليكم احداثكم
دعاهم واستمراركم على الصمات عن دعايهم ان الذين تدعون من دون الله اي
تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم الهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احيا عقلا امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون
بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها وقري ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية
ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا وفي القصص وفي الدخان قل ادعوا
شركاكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكروهي انتم وشركاوكم فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم
لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القران
وهو يتولى الصالحين اي من عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن
انبيايه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون

من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم • وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون • يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر
الى ما يواجهه • خذ العفو • اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب
ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل
ما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة • وامر بالعرف • المعروف المستحسن
من الافعال • واعرض عن الجاهلين • فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل افعالهم وهذه الاية
جامعة لمكارم الاخلاق امرة للرسول باستجماعها • واما ينزغنك من الشيطان
نزغ • ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب
وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي
وازعاجا بغرز السايق ما يسوقه • فاستعذ بالله انه سميع • يسمع استعاذتك
• عليم • يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله
فيجازيه عليها معينا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان • ان الذين اتقوا اذا
مسهم طايف من الشيطان • لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت
بهم ودارت حولهم فلم يقدر ان يوثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا
ابن كثير وابو عمرو والكسايي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف
كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره • تذكروا • ما امر الله
تعالى به ونهى عنه • فاذا هم مبصرون • بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان
فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله ۞
• واخوانهم يمدونهم • اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان
• في الغي • بالتزيين والحمل عليه وقرى يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينوهم
بالتسهيل والاغوا وهولاء يعينونهم بالاتباع والامتثال • ثم لا يقصرون • لا
يمسكون عن اغوايهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون
عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على هو له • واذا لم تاتهم باية • من القران
او مما اقترحوه • قالوا لولا اجتبيتها • هلا جمعتها تقولا من نفسك كساير ما تقوله

او هلا طلبتها من الله • قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي • لست بمختلق للايات او لست
بمقترح لها • هذا بصاير من ربكم • هذا القران بصاير للقلوب بها يبصر الحق ويدرك
الصواب • وهدى ورحمة لقوم يومنون • سبق تفسيره • واذا قرى القران فاستمعوا
له وانصتوا لعلكم ترحمون • نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع
قراة القران والانصات وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا
وعامة العلما على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراة على الماموم
وهو ضعيف • واذكر ربك في نفسك • عام في الاذكار من القراة والدعا وغيرهما
او امر للماموم بالقراة سرا بعد فراغ الامام عن قراته كما هو مذهب الشافعي رضي
الله تعالى عنه • تضرعا وخيفة • متضرعا وخايفا • ودون الجهر من القول • ومتكلما
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص • بالغدو
والاصال • باوقات الغدو والعشيات وقرى والايصال وهو مصدر اصل اذا
دخل في الاصيل مطابق للغدو • ولا تكن من الغافلين • عن ذكر الله • ان الذين عند ربك
يعني الملايكة الرفيق الاعلى • لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه • وينزهونه
• وله يسجدون • ويخصونه بالعبادة والتذلل فلا يشركون به غيره وهو تعريض
لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام
من قرا الاعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا
له يوم القيامة

سورة الانفال

مدنية وايها ست وسبعون اية • بسم الله
الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال • اي الغنايم وانما يعني حكمها وانما سميت
الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر
عطية له وزيادة له على سهمه • قل الانفال لله والرسول • اى امرها مختص بهما
يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم بدر
انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن كان له غنا ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين

ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا لانفال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كانوا ردا لكم وفيه يتحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم على السوا ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضي الله عنه
وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير
وقتلت به سعيد بن العاصي واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد
صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وادغام نون عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالونك الشبان ما شرطت
لهم • فاتقوا الله • في الاختلاف والمشاجرة • واصلحوا ذات بينكم • الحال التي بينكم
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله ورسوله • واطيعوا الله
ورسوله • فيه • ان كنتم مومنين • فان الايمان يقتضي ذلك وان كنتم كاملي الايمان فان
كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات
البين بالعدل والاحسان • انما المومنون • اي الكاملون الايمان • الذين اذا ذكر الله و جلت
قلوبهم • فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا له من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي
فاقت • واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا • لزيادة المومن به او لاطمينان النفس
ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد
بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه • وعلى ربهم يتوكلون • يفوضون
اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه • الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون اوليك هم المومنون حقا • لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها
الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر موكد كقولهم هو عبد الله
حقا • لهم درجات عند ربهم • كرامات وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها

باعمالهم

باعمالهم • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق كريم • اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي
امده • كما اخرجك ربك من بيتك بالحق • خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في
كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره
ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم • وان فريقا من المومنين لكارهون • في موضع
الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاصي ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن
تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا
نزل من السما فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شي منها
فحدث بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال اما ترضى رجالكم ان يتنبوا حتى يتنبا نسا   وهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه
لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل
عليه جبريل بالوعد باحدى الطايفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه
فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له خرجنا عليهم فردد عليهم
وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك
بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر في امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو
امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنوا اسرايل
اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي
ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عدده وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة

انهم يرا من امامه حتي يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه
بالمدينة فقام سعد بن معاذ لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جيتنا به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان نلقي عدونا
وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله تعالي يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله تعالي فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالي وابشروا
فان الله تعالي قد وعدني احدي الطايفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم
وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس
وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد اعطاك
ما وعدك فكره بعضهم قوله • يجادلونك في الحق • في ايثارك الجهاد باظهار الحق ۞
لا يثارهم تلقي العير عليه • بعد ما تبين • انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول
• كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون • اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي
انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايما الى ان مجادلتهم كانت لفرط
فزعهم ورعبهم • واذ يعدكم الله احدى الطايفتين • على اضمار اذكر واحدي ثاني
مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها • انها لكم • بدل الاشتمال • وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم • يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها
ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة والحدة مستعارة
من واحدة الشوك • ويريد الله ان يحق الحق • اي يثبته ويعليه • بكلماته • الموحي
بها في هذه الحال او باوامره للملايكة بالامداد وقري بكلمته • ويقطع دابر الكافرين •
ويستاصلهم والمعني انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد
اعلا الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين • ليحق الحق ويبطل الباطل •
اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من
التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصرة

عليها

عليها • ولو كره المجرمون • ذلك • اذ تستغيثون ربكم • بدل من اذ يعدكم او متعلق
بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال
اخذوا يقولون ربنا انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله
تعالي عنه انه عليه الصلاة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى الصحابة
وهم ثلاث مائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداوه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فاستجاب
لكم اني ممدكم • باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر
على ارادة القول او اجري استجاب مجري قال لان الاستجابة • بالف من الملايكة ۞
مردفين • متبعين المومنين او بعضهم بعضا من اردفته انا اذا جيت بعده او
متبعين بعضهم بعضا المومنين او انفسهم المومنين من اردفته اياه فردفه وقرا
نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش
او ساقتهم وقري مردفين بكسر الدال وضمها واصله مرتدفين بمعني مترادفين
فادغمت التا في الدال فالتقي ساكنان فحركت الرا بالكسر على الاصل او بالضم
على الاتباع وقري بالالف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه
وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها • وما
جعله الله • اي الامداد • الا بشري • الا بشارة لكم بالنصر • ولتطمين به قلوبكم •
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم • وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم •
وامداد الملايكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها • اذ يغشاكم النعاس • بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او
باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشي اذا غشيته اياه والفاعل
على القراتين هو الله تعالي وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع ۞
• امنة منه • امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشاكم النعاس

يتضمن معنى يتغشون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراة الاخيرة فعل النعاس على المجاز
لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه
حصلت لهم امنة من الله تعالى لولاه لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرى امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء
ما ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة
لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ما وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على
الما فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الما وانتم
تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اوليا الله وفيه رسوله فاشفقوا فانزل
الله تعالى المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى
ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف
الله تعالى بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا يسوخ في الرمل او بالربط على
القلوب حتى يثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت
الى الملايكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرى بالكسر
على ارادة القول او اجرا الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير
سوادهم او محاربة اعدايهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل
الخطاب فيه مع المومنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله
كل بنان تلقين للملايكة ما يثبتون به المومنين كانه قال قولوا لهم قولي هذا
فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الروس واضربوا منهم كل
بنان اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الى الامر
به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله
بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف

شق

شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة
بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريق الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره
مثل باشروا او عليكم لتكون الفا عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف
على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع
بينهما وقرى وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين
كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف
الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال
فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها
محكمة مخصوصة بقوله حرض المومنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا من
الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم
فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يوميذ دبره الا متحرفا لقتال يريد
الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فية او منحازا
الى فية اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب
لما روي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل
انتم الكرارون وانا فيتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل
له او الاستثنا من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفعل
لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد با بغضب من الله وماواه
جهنم وبيس المصير هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله الان خفف الله
عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم
تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقا الرعب

الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام هذه
قريش جات بخيلايها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه
جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقي الجمعان تناول كفا من
الحصبا فرمي بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه
فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على الغنايم
فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفا جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم
بقتلهم ولكن الله قتلهم • وما رميت • يا محمد رميا توصله الي اعينهم ولم تقدر عليه
• اذ رميت • اي اتيت بصورة الرمي • ولكن الله رمي • اتي بما هو غاية الرمي فاوصلها
الي اعينهم جميعا حتي انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق علي
الشيء وعلي ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصي ولكن الله رمي بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف
يوم احد ولم تخرج منه دم فجعل يخور حتي مات او رمية بسهم رماه يوم خيبر نحو
الحصن فاصاب لبابة بن ابي الحقيق علي فراشه والجمهور علي الاول وقرا ابن عامر
وحمزة والكساي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين • وليبلي المومنين
منه بلاء حسنا • ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الايات فعل
ما فعل • ان الله سميع • لاستغاثتهم ودعايهم • عليم • بنياتهم واحوالهم • ذلكم • اشارة
الي البلاء الحسن او القتل او الرمي ورفعه اي المقصود او الامر ذلكم وقوله • وان الله
موهن كيد الكافرين • معطوف عليه اي المقصود ابلا المومنين وتوهين كيد الكافرين
وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وخفض موهن كيد
بالاضافة والتخفيف • ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح • خطاب لاهل مكة علي سبيل
التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى
الجندين واهدي الفيتين واكرم الحزبين • وان تنتهوا • عن الكفر ومعاداة الرسول
• فهو خير لكم • لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلتين • وان تعودوا • لمحاربته • نعد
• نعد • لنصرته • ولن تغني • ولن تدفع عنكم • فيتكم • جماعتكم • شيا • من الاغنا او المضار
• ولو كثرت • فيتكم • وان الله مع المومنين • بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص

وان

وان بالفتح علي ولان الله مع المومنين كان كذلك وقيل الاية خطاب للمومنين والمعني
ان تستنصروا فقد جاكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة فيما يستا
ثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني
حينيذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويويد ذلك
• يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه • اي ولا تتولوا عن الرسول
فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطية
والتنبيه علي ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة • وانتم تسمعون • القران
والمواعظ سماع فهم وتصديق • ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا • كالكفرة او المنا
فقين الذين ادعوا السماع • وهم لا يسمعون • سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا
• ان شر الدواب عند الله • شر ما يدب علي الارض او شر البهايم • الصم • عن الحق
• البكم الذين لا يعقلون • اياه عدهم من البهايم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا
به وفضلوا لاجله • ولو علم الله فيهم خيرا • سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات
• لاسمعهم • سماع تفهم • ولو اسمعهم • وقد علم ان لا خير فيهم • لتولوا • ولم ينتفعوا به
وارتدوا بعد التصديق والقبول • وهم معرضون • لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي
احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتي يشهد لك ونومن بك والمعني لاسمعهم
كلام قصي • يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول • بالطاعة • اذا دعاكم • وحد
الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روي انه عليه الصلاة
والسلام مر علي ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جا فقال ما منعك عن
اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف
فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاه
كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب
الاول • لما يحييكم • من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال
• لا تعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفنه • او مما يورثكم الحياة الابدية
في النعيم الدايم من العقايد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقايكم اذ لو تركوه

لغلبهم العدو وقتلهم والشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون • واعلموا ان
الله يحول بين المرء وقلبه • تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها
اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين
القلب بالموت اوغيره اوتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه
ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى شقاوته وقرى بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على
الرا واجرى الوصل مجرى الوقف على لغة من شدد فيه • وانه اليه تحشرون • فيجازيكم
باعمالكم • واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة • اتقوا ذنبا يعمكم اثره
كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا
تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا تليق به النون الموكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة
لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على
ارادة القول كقوله • حتى اذا جن الظلام واختلط • جاوا بمذق هل رايت الذيب قط •
واما جواب قسم محذوف كقراة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون
نهيا بعد الامر باتقا الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين
وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم • واعلموا ان الله شديد العقاب
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض • ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلا في ايدي فارس والروم
تخافون ان يتخطفكم الناس • كفار قريش اومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين
مضادين لهم • فاواكم • الى المدينة اوجعل لكم ماوى تتحصنون على اعدايكم • و
ايدكم بنصره • على الكفار او بمظاهرة الانصار اوبامداد الملايكة يوم بدر •
ورزقكم من الطيبات • من الغنايم • لعلكم تشكرون • هذه النعم • يا ايها الذين

امنوا

امنوا لا تخونوا الله والرسول • بتعطيل الفرايض والسنن اوبان تضمروا خلاف ما
تظهرون اوبالغلول في الغنايم وروى انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماى حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت اويتوب الله تعالى علي فمكث سبعة
ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله تعالى عليه فقيل انه قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني
فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان
انخلع من مالي فقال عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل
الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه • وتخونوا
اماناتكم • فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو •
وانتم تعلمون • انكم تخونون اوانتم علما تميزون الحسن من القبيح • واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة • لانهم سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم
فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة • وان الله عنده اجر عظيم • لمن اثر رضى
الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يوديكم اليه • يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا • هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق
بين المحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة
عما تحذرون في الدارين اوظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل
كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح • ويكفر عنكم سيئاتكم • ويسترها • ويغفر لكم •
بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم • والله ذو الفضل العظيم • تنبيه
على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه

كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ۞ واذ يمكر بك الذين كفروا ۞ تذكار لما مكر قريش
به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلايه عليهم والمعنى واذكر اذ
يمكرون بك ۞ ليثبتوك ۞ بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته
لا حراك به ولا براح وقري ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك
او يقتلوك ۞ بسيوفهم ۞ او يخرجوك ۞ من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار
ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في
صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا
ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون
اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من
قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من
ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بيس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم به فقال ابو جهل
انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبايل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال
صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بالخبر
وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله
تعالى عنه الى الغار ۞ ويمكرون ويمكر الله ۞ برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة
الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ۞
والله خير الماكرين ۞ اذ لا يوبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة
ولا يجوز اطلاقها ابتدا لما فيه من ايهام الذم ۞ واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشا لقلنا مثل هذا ۞ قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رييس
القوم اليهم فانه كان قاضيهم وقيل هو قول الذين ايتمروا في امره عليه الصلاة والسلام
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاوا وقد
تحداهم وقرعهم بالعجز سبع سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ۞ ان هذا الا اساطير الاولين ۞
ما سطره الاولون من القصص ۞ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر

علينا

علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ۞ هذا ايضا من كلام ذلك القايل ابلغ في الجحود
روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم
ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا
عقوبة على انكاره او ايتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم
التام على كونه باطلا وقري الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وفايدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم
وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير
الاولين ۞ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ۞
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعايهم واللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج
عن عادته غير مستقيم في قضايه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي
فيهم من المومنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ۞ وما لهم ان لا
يعذبهم الله ۞ وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ۞ وهم يصدون
عن المسجد الحرام ۞ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجا الرسول صلى الله عليه وسلم
والمومنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ۞ وما كانوا اولياه ۞ مستحقين
ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من
نشا وندخل من نشا ۞ ان اولياوه الا المتقون ۞ من الشرك الذين لا يعبدون فيه
غيره وقيل الضميران لله ۞ ولكن اكثرهم لا يعلمون ۞ ان لا ولاية لهم عليه كانه
نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند فيه غيره او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
۞ وما كان صلاتهم عند البيت ۞ اي دعاوهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون
موضعها ۞ الا مكا ۞ صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقري بالقصر كالبكى ۞ وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقري
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب
او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون

عراة الرجال والنسا مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلي الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا

فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام تحتمل ان تكون للعهد والمعهود ايتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوي من استحاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال علي حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد علي ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا [illegible] الذين ثبتوا علي الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الي جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المومن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه علي بعض حتي يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الي الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين فيجعله في جهنم كله اوليك اشارة الي الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الي المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعني قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلي الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقري بالتا والكاف علي انه خطابهم ويغفر علي

البنا للفاعل وهو الله وان يعودوا الي قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا علي الانبيا بالتدمير كما جري علي اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما تعملون بصير فيجازيهم علي انتهايهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتا علي معني فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الي الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الي نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهايهم دلالة علي انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا

لوا

بمعاداتهم نعم المولي لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشي حتي الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقري فان لله بالكسر والجمهور علي ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس علي الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه تصرف الي هولاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلي الله عليه وسلم يصرف الي ما كان يصرف اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله تعالي عنهما وقيل الي الامام وقيل الي الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضي الله تعالي عنه سقط سهمه وسهم ذوي القربي [illegible] وصار الكل مصروفا الي الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الي راي الامام يصرفه الي ما يراه اهم وذهب ابو العالية الي ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الي الكعبة لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي علي الخمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الي سهم النبي صلي الله عليه وسلم وذو القربي بنو هاشم وبنو عبد المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربي عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هولا اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت

اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم
وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سوا وقيل هو مخصوص بفقرايهم كيتيهم بن
السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
منهم فالعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع
بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة
• ان كنتم امنتم بالله • متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله فاعلموا
انه جعل الخمس لهولاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم
العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات
هو العمل • وما انزلنا على عبدنا • محمد من الايات والملايكة والنصر وقرى عُبُدنا بضمتين
اي الرسول والمومنين • يوم الفرقان • يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل
• يوم التقى الجمعان • المسلمون والكفار • والله على كل شي قدير • فيقدر على نصر القليل
على الكثير والامداد بالملايكة • اذ انتم بالعدوة الدنيا • بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرى بها والمشهور الضم والكسر
وهو قراة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب • وهم بالعدوة القصوى • البعدى من المدينة
تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجا على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا • والركب • اي العير او قواده
• اسفل منكم • من مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع
موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفايدتها الدلالة على قوة العدو
واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقابلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ
فيها الارجل ولا تمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ما بخلاف العدوة القصوى وكذا
قوله • ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد • اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم
حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا

ان

ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا • ولكن •
جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد • ليقضي الله امرا كان مفعولا • حقيقا بان يفعل
وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه وقوله • ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة •
بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش
من يعيش عن حجة شاهدها لييلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من
الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد من هلك ومن حيي المشارف للهلاك
والحياة او من هذه حالة في علم الله تعالى وقضايه وقرى ليهلك بالفتح وقرا
قنبل عن ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل
• وان الله لسميع عليم • بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين
الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد • اذ يريكهم الله في منامك
قليلا • مقدر باذكر او بدل من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ
يقللهم في عينك في رويا ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم • ولو اراكهم كثيرا لفشلتم • لجبنتم • ولتنازعتم في الامر • في امر القتال
وتفرقت اراوكم من الثبات والفرار • ولكن الله سلم • انعم بالسلامة من
الفشل والتنازع • انه عليم بذات الصدور • يعلم ما سيكون فيها وما تغير من
احوالها • واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا • الضميران مفعولا يري
وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مايه تثبيتا لهم وتصديقا
لرويا النبي صلى الله عليه وسلم • ويقللكم في اعينهم • حتى قال ابو جهل ان محمدا
اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترووا عليهم ولا يستعدوا لهم
ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم لتفاجيهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم
وهذا من عظايم ايات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا
والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله
الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط • ليقضي الله امرا

كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالاول ثم الاكتفا على الوجه
المحكي وهنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه • والى الله ترجع الامور
يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية • حاربتم جماعة ولم يصفها لان المومنين ما كانوا
يلقون الا الكفار واللقا مما غلب في القتال فاثبتوا للقايهم • واذكروا
الله كثيرا • في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره • لعلكم
تفلحون • تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي
ان لا يشغله شي عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدايد ويقبل عليه بشراشره
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شي من الاحوال • واطيعوا الرسول
الله ورسوله ولا تنازعوا • باختلاف الارا كما فعلتم ببدر واحد • فتفشلوا الجواب
النهي وقيل عطف عليه ولذلك قري • وتذهب ريحكم • بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل
وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور • واصبروا ان الله مع الصابرين • بالكلاة والنصر
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم • يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير • بطرا •
فخرا واشرا • ورياء الناس • ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا
الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله
حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كوس المنايا وناحت عليهم النوايح فنهى المومنين ان يكونوا امثالهم
لهم بطرين مرايين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشي
امر بضده • ويصدون عن سبيل الله • معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس
اليهم • وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم • مقالة نفسانية والمعنى انه القى
في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان
اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفيتين
وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب قولك لا ضاربا

زيدا

زيدا عندنا • فلما ترات الفيتان • اي تلاقي الفريقان • نكص على عقبيه • رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم • وقال اني بري منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله • اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله
المسلمين بالملايكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة
من الاحنة وكان ذلك تثبيطهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملايكة تنزل نكص وكان
يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا
ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما
اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخاف
ان يصيبني مكروه من الملايكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى
فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر • والله شديد العقاب •
يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا • اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض • والذين لم يطمينوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون
وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين • غر هولاء • يعنون المومنين • دينهم •
حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاث ماية وبضعة عشر الى زها الف
ومن يتوكل على الله • جواب لهم • فان الله عزيز حكيم • غالب لا يذل من استجار به وان
قل • حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه • ولو ترى •
ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان • اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة •
ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينيذ
والملايكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضميرا
لله وهو مبتدا خبره • يضربون وجوههم • والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملايكة او منهما لاشتماله على
الضميرين • وادبارهم • ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر • وذوقوا عذاب الحريق • عطف على يضربون باضمار القول

اي مقدار الف

اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما
ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتقطيع الامر وتهويله • ذلك • اي الضرب
والعذاب • بما قدمت ايديكم • بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
• وان الله ليس بظلام للعبيد • عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمام
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك
التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
وظلام للتكثير لاجل العبيد • كداب ال فرعون • اى داب هولاء مثل داب ال فرعون
وهو عملهم وطريقتهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه • والذين من قبلهم • من قبل ال
فرعون • كفروا بايات الله • تفسير لدابهم • فاخذهم الله بذنوبهم • كما اخذ هولاء • ان
الله قوي شديد العقاب • لا يغلبه في دفعه شي • ذلك • اشارة الى ما حل بهم
• بان الله • بسبب ان الله • لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم • مبدلا اياها بالنقمة
• حتى يغيروا ما بانفسهم • يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوا كتغيير قريش حالهم
في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن تبعه والسعي في اراقة دمايهم والتكذيب بالايات والاستهزا بها الى غير
ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا
حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل
يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقا الساكنين ثم النون لشبهه بحروف
اللينة تخفيفا • وان الله سميع • لما يقولون • عليم • بما يفعلون • كداب ال فرعون
والذين من قبلهم كفروا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون • تكرير
للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به
ال فرعون وقيل الاول سببية الكفر والاخذ به والثاني بسببية التغيير في
النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم • وكل • من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى
قريش • كانوا ظالمين • انفسهم بالكفر والمعاصي • ان شر الدواب عند الله الذين كفروا •
اصروا على الكفر ورسخوا فيه • فهم لا يومنون • فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار
عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يومنون والفا للعطف والتنبيه على ان تحقق

المعطوف

المعطوف عليه مستدع تحقق المعطوف وقوله • الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة • بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود
قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالوا عليه واعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب
كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة
مرة المعاهدة او المحاربة • وهم لا يتقون • سبة الغدر وتبعته او لا يتقون الله
فيه او نصرة للمومنين وتسليطه عليهم • فاما تثقفنهم • فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم • في الحرب فشرد بهم • ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم
• من خلفهم • من وراهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقري شرذ بالذال
المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراهم
فقد فعل التشريد في الورا • لعلهم يذكرون • لعل المشردين يتعظون • واما
تخافن من قوم • معاهدين • خيانة • نقض عهد بامارات تلوح لك • فانبذ اليهم
فاطرح اليهم عهدهم • على سواء • على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم
في الحرب فانه يكون خيانة منك او على سوا في الخوف او العلم بنقض العهد
وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه
او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله • ان الله لا يحب الخاينين • تعليل
للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
الاستيناف • ولا تحسبن • خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله • الذين
كفروا سبقوا • مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص باليا على ان الفاعل
ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او
على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف
او على ايقاع الفعل على • انهم لا يعجزون • بالفتح على قراة وان لا صلة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم
سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
ولذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر

به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن اقلت من قتل المشركين • واعدوا
ايها المومنون لهم • لناقضي العهد او للكفار • ما استطعتم من قوة • من كل ما يتقوى
به في الحرب وعن عقبة ابن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول الا ان القوة الرمي
قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه • ومن رباط
الخيل • اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال
ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرى
ربط الخيل بضم البا وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل
على الملائكة • ترهبون به • تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير
لما استطعتم او للاعداد • عدو الله وعدوكم • يعني كفار مكة • واخرين من دونهم •
من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس • لا تعلمونهم •
لا تعرفونهم باعيانهم • الله يعلمهم • يعرفهم • وما تنفقوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم • جزاؤه • وانتم لا تظلمون • بتضييع العمل او نقص الثواب • وان جنحوا •
مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى • للسلم • للصلح او الاستسلام وقرا
ابو بكر بالكسر • فاجنح لها • وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها
فيه قال • السلم تاخذ منها ما رضيت به • والحرب يكفيك من انفاسها جرع • وقرى
فاجنح بالضم • وتوكل على الله • ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك
من مكرهم ويحيقه بهم • انه هو السميع • لاقوالهم • العليم • بنياتهم والاية مخصوصة
باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف • وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله • فان محسبك الله او كافيك قال جرير اني وجدت
من المكارم حسبكم • ان تلبسوا خز الثياب كي تشبعوا • هو الذي ايدك بنصره
وبالمومنين • جميعا • والف بين قلوبهم • مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى
شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس
واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه • لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم • اي تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح
ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح • ولكن الله الف

بينهم

بينهم • بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء • انه عزيز • تام
القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده • حكيم • يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده
وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها
ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا
• يا ايها النبي حسبك الله • كافيك • ومن اتبعك من المومنين • اما في محل النصب
على المفعول معه كقوله • اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا • فحسبك والضحاك
سيف مهند • او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله تعالى
اي كفاك الله والمومنون والاية نزلت بالبيدا في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى
عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه • يا ايها
النبي حرض المومنين • بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى
على الموت وقرى حرص من الحرص • ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين
وان يكن منكم ماية يغلبوا الفا من الذين كفروا • شرط في معنى الامر بمصابرة
الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان يكن • بانهم قوم
لا يفقهون • بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المومنين
رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان
والخذلان • الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم ماية صابرة
يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله • لما اوجب على الواحد
مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى
الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين • والله مع الصابرين • بالنصر
والمعونة فكيف لا يغلبون • ما كان لنبي • وقرى للنبي على العهد • ان يكون له

اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى
يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله
واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها
باخذكم الفداء والله يريد الاخرة والله يريد لكم ثواب الاخرة اوسبب نيل الاخرة
من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف لقوله اكل امرئ
تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم
يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت
الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين
روي انه عليه الصلاة والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل
ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك فقال عمر رضي الله تعالى
عنه اضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا مكني من فلان
لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل
ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل
نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا
فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكا بكيت والا تباكيت فقال
ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
والاية دليل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطا
ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في
اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم
لنالكم فيما اخذتم من الفدا عذاب عظيم روي انه عليه الصلاة والسلام قال

لو انزل

لو انزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان
فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنايم وقيل امسكوا عن الغنايم فنزلت
والفا للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنايم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها
على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور
غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
الاسارى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا روي انها لما نزلت في العباس رضي الله تعالى
عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل
ابن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم
فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا
الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان ادناهم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة
وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله
بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم
كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين
امنوا وهاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في
الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال
والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
اولئك بعضهم اوليا بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون

بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
او بالنصرة والمظاهرة • والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا • وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر • فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين • الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق • عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليه • والله بما تعملون بصير
والذين كفروا بعضهم اوليا بعض • في الميراث وهو مفهومه يدل على منع التوارث
او الموازرة بينهم وبين المسلمين • الا تفعلوه • الا ان تفعلوا ما امرتم به من
التواصل بينكم وتولي بعضكم على بعض حتى في التوارث وقطع العلايق بينكم وبين
الكفار • تكن فتنة في الارض • تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور
الكفر • وفساد كبير • في الدين وقري كثير • والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله والذين اووا ونصروا اوليك هم المومنون حقا • لما قسم المومنين ثلاثة
اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه
من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال • لهم مغفرة
ورزق كريم • لا تبعة ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم
فقال • والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاوليك منكم • اي من جملتكم
ايها المهاجرون والانصار • واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • في التوارث من الاجانب
• في كتاب الله • في حكمه او في اللوح او القران واستدل به على توريث ذي الارحام • ان الله
بكل شي عليم • من التوارث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراة فانا شفيع
له يوم القيامة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة براة

مدنيه وقيل الا ايتين من قوله لقد جاكم رسول وهي اخر ما نزلت ولها اسما اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمومنين والقشقشة

من النفاق

من النفاق وهي التبرو منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما
تخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واياتها مايه وثلاثون وقيل
وتسع وعشرون وانما تركت البسملة فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله
امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها
وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في
الانفال ذكر العهود وفي براة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة وهي سابعة الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله • براة من الله ورسوله • اي هذه براة ومن ابتدايية متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براة مبتدا لتخصيصها بصفتها
والخبر • الى الذين عاهدتم من المشركين • وقري بنصبها على اسمعوا براة والمعنى ان الله
ورسوله بريان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراة بالله
وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين
اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهم بروا منها وذلك
انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم
بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاوا فقال
• فسيحوا في الارض اربعة اشهر • شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت
في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر
لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا راكب العضبا ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه
• اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما دنى
علي سمع ابو بكر الرغا فوقف وقال هذا رغا ناقة النبي صلى الله عليه وسلم فلما لحقه
قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم
على مناسكهم وقام علي كرم الله تعالى وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها
الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم
ثلاثين واربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام

مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل
ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يودي عني الا رجل مني ليس على العموم
فانه عليه الصلاة والسلام بعث لان يودي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو
مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل
منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي
• واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم • وان الله مخزي الكافرين
بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة • واذان من الله ورسوله الى الناس
اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع براءة على الوجهين
• يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان
فيه ولما روي انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما
يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون ووافق عيده عيد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين • ان الله اي بان الله • بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله
عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان
مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه
فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك
ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين • فان تبتم من الكفر والغدر فهو
فالثواب • خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا
انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم في الاخرة • الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من
المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين
ولكن الذين عاهدوا منهم • ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم
يقتلوا منكم ولم يضروكم قط • ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم • فاتموا اليهم

عهدهم

عهدهم الى مدتهم اي تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين • ان الله يحب المتقين
تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم من باب التقوى • فاذا انسلخ انقضى واصل
الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة • الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين
ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ما
ينسخها • فاقتلوا المشركين الناكثين • حيث وجدتموهم من حل وحرم • وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير • واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد
الحرام • واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
• فان تابوا عن الشرك بالايمان • واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم • فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه
دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله • ان الله غفور رحيم
تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم
الثواب بالتوبة • وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم • استجارك
استامنك وطلب منك جوارك • فاجره فامنه • حتى يسمع كلام الله ويتدبره
ويطلع على حقيقة الامر • ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع
بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل • ذلك الامن او الامر
• بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم
ريثما يسمعون ويتدبرون • كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يثبتوا مع وغرة
صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوا وخبر يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف
له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا
فتبيين • الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
نصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي
ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام • فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم

لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا علي العهد فاستقيموا علي الوفا وهو كقوله
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم علي العهد او
بقاحكمه مع التنبيه علي العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما
الموت بالقري فكيف وها ناهضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا
عليكم اي وحالهم انهم يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا
وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال الشعب من ال النعام
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين القرابة ما لا
يعقده الحلف من الاول ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشي اذا
حدده اومن ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قري ايلا كجبرال
وجبرايل ولا ذمة عهدا وحلفا يعاب علي اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف ببيان حالهم المنافية لثباتهم علي العهد المودية الي عدم مراقبتهم عند
الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان
المراد اثبات ارضايهم المومنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه
وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة
تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر من التفاوي عن الغدر والتعفف
عما يجر الي احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا
قليلا عوضا يسيرا وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا عن سبيله دينه
الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار [illegible]
اداهم الي الصد انهم ساما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون
في مومن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص
بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واوليك
هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة واتوا الزكاة

فاخوانكم

فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم
يعلمون اعتراض للحث علي تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التايبين
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء
بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ايمة
الكفر اي فقاتلوهم فوضع ايمة الكفر موضع الضمير للدلالة علي انهم صاروا
بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقا بالقتل وقيل المراد بالايمة روسا
المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا
عاصم وابن عامر وحمزة والكساي وروح عن يعقوب ايمة بتحقيق الهمزتين علي
الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم علي الحقيقة والا لما
طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل علي ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده
واستشهد به الحنفية علي ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد
نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر
لا ايمان لهم بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لا يقبل توبة المرتد وهو
ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يومنون علي الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم
ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في
المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة الموذين
الا تقاتلون قوما تحريض علي القتال لان الهمزة دخلت علي النفي للانكار
فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنين علي ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر علي خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة علي ما ذكره في قوله واذ يمكر
بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بداهم
بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الي المعاداة
والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا

ولا تتركوا امره • ان كنتم مومنين • فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه • قاتلوهم •
امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه • يعذبهم الله ن
بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم • وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكين
من قبلهم واذلالهم • ويشف صدور قوم مومنين • يعني بني خزاعة وقيل بطونا من
اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب • ويذهب غيظ قلوبهم •
لما لقوا منهم وقد وفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات • ويتوب الله على من يشاء •
ابتدا اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرى ويتوب بالنصب
على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتعذيب اخرين • والله عليم • بما كان وما سيكون • حكيم • لا يفعل
ولا يحكم الا على وفق الحكمة • ام حسبتم • خطاب للمومنين حين كره بعضهم القتال
وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان • ان ن
تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم • ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث
ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه • ولم يتخذوا • عطف على جاهدوا وداخل في
الصلة • من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة • بطانة يوالونهم ويفشون
اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع • والله
خبير بما تعملون • يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم
الله • ما كان للمشركين • ما صح لهم • ان يعمروا مساجد الله • شيا من المساجد ن
فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره
كعامر الجميع ويدل عليه قراة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد • شاهدين
على انفسهم بالكفر • باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره
روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي
رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر

المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت • اوليك حبطت
اعمالهم • التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك • وفي النار هم خالدون • لاجله
• انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة • اي انما
تستقيم عمارتها لهولاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة فيها والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها
لما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي
في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه
وسلم لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة
واتى الزكاة عليه • ولم يخش الا الله • اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير
جبلية لا يكاد الرجل يتمالك • فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين • ذكره ن
بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا
لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هولاء مع كمالهم اذا كان اهتداوهم دايرا بين عسى
ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمومنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها
• اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد
في سبيل الله • السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد
من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن او جعلتم سقاية الحاج ن
كايمان من امن ويويد الاول قراة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار
ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمومنين واعمالهم المثبتة ثم قرر
ذلك بقوله • لا يستوون عند الله • وبين عدم تساويهم بقوله • والله لا يهدي
القوم الظالمين • اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في
الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المومنين • الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله • اعلا رتبة واكثر كرامة
ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم • واوليك هم

الفائزون: بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها: في الجنات. نعيم مقيم: دائم وقراءة حمزة يبشرهم بالتخفيف
وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف. خالدين فيها ابدا: اكد
الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل. ان الله عنده اجر عظيم: يستحقر
دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا. يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم
اوليا: نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا
وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اوليا يمنعونكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله. ان استحبوا الكفر على الايمان: ان اختاروه وحرصوا
عليه. ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون: بوضعهم الموالاة في غير محلها
. قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم: اقرباؤكم مأخوذ من
العشرة وقيل من العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشايركم. واموال اقترفتموها: اكتسبتموها. وتجارة
تخشون كسادها: فوات وقت نفاقها. ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله: الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف
التحفظ عنه. فتربصوا حتى ياتي الله بامره: جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة
او اجلة وقيل فتح مكة. والله لا يهدي القوم الفاسقين: لا يرشدهم وفي الاية
تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه. لقد نصركم الله في مواطن كثيرة: يعني مواطن
الحرب وهي مواقفها. ويوم حنين: وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام
مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابداله قوله اذ اعجبتكم
كثرتكم: منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف
اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطايف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني
عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن
وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر

او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك
المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان
ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا
واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملايكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه
الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال
انهزموا ورب الكعبة. فلم تغن عنكم: اي الكثرة. شيا: من الاغناء او من امر العدو
. وضاقت عليكم الارض بما رحبت: برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن
اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه. ثم وليتم: الكفار
ظهوركم. مدبرين: منهزمين. والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال. ثم
انزل الله سكينته: رحمته التي سكنوا بها وامنوا. على رسوله وعلى المومنين: الذين
انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول
ولم يفروا. وانزل جنودا لم تروها: باعينكم يعني الملايكة وكانوا خمسة الاف او
ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال. وعذب الذين كفروا: بالقتل والاسر
والسبي. وذلك جزاء الكافرين: اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا. ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء: منهم بالتوفيق للاسلام. والله غفور رحيم: يتجاوز
عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اولادنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا
يحصى فقال اختاروا اما سبيكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هولاء جاؤوا مسلمين وانا
خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيا فمن كان بيده شيء
وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب
شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا

يرضي فخروا عرفاكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا • يا ايها الذين امنوا انما
ايد العرفاه ابم
المشركون نجس • لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن بن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة
كالكلاب وقري نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جا تابعا لرجس
• فلا يقربوا المسجد الحرام • لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن
دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب
ابو حنيفة وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان
الكفار مخاطبون بالفروع • بعد عامهم هذا • يعني سنة براة وهي التاسعة
وقيل سنة حجة الوداع • وان خفتم عيلة • فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما
كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق • فسوف يغنيكم الله من فضله • من عطائه
او تفضيله لوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السما عليهم مدرارا ووفق اهل
تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض وقري عايلة على انها مصدر كالعاقبة او حال • ان شا • قيده
بالمشية لتنقطع الامال الى الله تعالى ولينبه على انه متفضل في ذلك وان
الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام • ان الله عليم • باحوالكم
• حكيم • فيما يعطي ويمنع • قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر • اي لا
يومنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول سورة البقرة فان ايمانهم كلا ايمان
• ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله • ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله
هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا • ولا يدينون دين الحق • الثابت الذي هو ناسخ [illegible] ومبطلها ٥
• من الذين اوتوا الكتاب • بيان للذين لا يومنون • حتى يعطوا الجزية • ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه • عن يد • حال من الضمير
اي عن يد مواسية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين
بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا توخذ من الفقرا

او عن

او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلا او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى
يد او عن انعام عليهم فان ابقاهم بالجزية نعمة عظيمة • وهم صاغرون • اذلا
وعن بن عباس رضي الله تعالى عنهما توخذ الجزية من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم
الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويويده ان عمر رضي الله تعالى عنه
لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه
عليه الصلاة والسلام اخذ من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب
وذلك ان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا توخذ
منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه توخذ منهم الا من مشركي
العرب لما روى الزهري انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك رضي الله عنه توخذ من كل كافر الا المرتد واقلها
في كل سنة دينار سوي فيها الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شي على
فقير غير كسوب • وقالت اليهود عزير بن الله • انما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر
من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التوراة
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا
القول كان فيهم ان الاية قريت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب
وقرا عاصم والكساي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن
غير موصوف به وحذفه في القراة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف
• او لالتقا الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر
محذوف مثل معبودنا او نبينا وهو مزيف يودي الى تسليم النسب
وانكار الخبر المقدر • وقالت النصارى المسيح ابن الله • هذا ايضا قول بعضهم
وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابرا الا كمه
والابرص واحيا الموتى من لم يكن الها • ذلك قولهم بافواههم • اما تاكيد لنسبة
هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق

مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان • يضاهون قول
الذين كفروا • اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه • من قبل • اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم
فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير
للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم
امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض • قاتلهم الله •
دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم • انى
يوفكون • كيف يصرفون عن الحق الى الباطل • اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله • بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود
لهم • والمسيح بن مريم • بان جعلوه ابنا لله • وما امروا • اي وما امر المتخذون
او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ • الا ليعبدوا • ليطيعوا
• الها واحدا • وهو الله واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في
الحقيقة طاعة الله • لا اله الا هو • صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد
• سبحانه عما يشركون • تنزيه له عن ان يكون له شريك • يريدون ان يطفئوا •
يخمدوا • نور الله • حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن
او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • بافواههم • بشركهم او تكذيبهم • ويأبى الله •
لا يرضى • الا ان يتم نوره • باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد ان يزيله بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ
والفعل موجب لانه في معنى النفي • ولو كره الكافرون • محذوف الجواب لدلالة
ما قبله عليه • هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر • ولو كره المشركون • غير
انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى
الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس
اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم • يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا

من

من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل • يأخذونها بالرشى في الحكم
سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه • ويصدون عن سبيل الله • دينه
• والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله • يجوز ان يراد به
الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن
به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون
اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين
فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة
الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام ما ادي زكاته فليس
بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى
ان ينفق فيه واما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها
ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده
الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وجبينه وظهره • فبشرهم بعذاب اليم • هو الكي بهما • يوم يحمى عليها
في نار جهنم • اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل
الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها
على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى
عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل
الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون
المتمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى
بهذا الحكم • فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم • لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او
لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضا
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد

اولانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن وماخره وجنبتاه• هذا ما
كنزتم؛ على ارادة القول• لانفسكم؛ بمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
•فذوقوا ماكنتم تكنزون؛ اي وبال كنزكم او ماتكنزونه وقرئ تكنزون بضم
النون• ان عدة الشهور؛ اي ان مبلغ عددها• عند الله؛ معمول عدة لانها مصدر
•اثني عشر شهرا في كتاب الله؛ في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر
وقوله• يوم خلق السموات والارض؛ متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب
ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام
والازمنة• منها اربعة حرم؛ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم• ذلك الدين القيم؛ اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم
دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام وورثوه منهما• فلا تظلموا فيهن
انفسكم؛ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها
واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال
الاحرام وعن عطا انه لا تحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان
يقاتلوا او يوبيد الاول ما روي انه عليه الصلاة والسلام حاصر الطايف وغزا
هوازن بحنين في شوال وذي القعدة• وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة؛ جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة ووقع موقع
الحال• واعلموا ان الله مع المتقين؛ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم
•انما النسي؛ انما تاخير حرمة الشهر الي شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم
محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة يا وادغام اليا فيها
وقرئ النسي بحذفها والنسئ والنسا ثلاثتها مصادر نساه اذا اخره• زيادة في
الكفر؛ لانه تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى
كفرهم• يضل به الذين كفروا؛ ضلالا زايدا وقرا حمزة والكساي وحفص يضل
على البنا للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى• يحلونه عاما؛ يحلون
النسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر• ويحرمونه عاما؛ فيتركونه

على

على حرمته وقيل اول من احدث ذلك خيادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في
الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في قابل ان الهتكم
قد حرمت عليكم المحرم والجملتان تفسير للضلال او حال• ليواطئوا عدة ما حرم
الله؛ اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل
عليه مجموع الفعلين• فيحلوا ما حرم الله؛ بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت• زين لهم سوء اعمالهم؛ وقرئ على البنا للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم
واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا• والله لا يهدي القوم الكافرين؛ هداية
موصلة الى الاهتداء• يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم؛
تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ• الى الارض؛
متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك
امروا بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسر وقيظ مع بعد الشقة وكثرة
العدو فشق عليهم• ارضيتم بالحياة الدنيا؛ وغرورها• من الاخرة؛ بدل الاخرة
ونعيمها• فما متاع الحياة الدنيا؛ فما التمتع بها• في الاخرة؛ في جنب الاخرة• الا
قليل؛ مستحقر• الا تنفروا؛ ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه• يعذبكم
عذابا اليما؛ بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو• ويستبدل قوما
غيركم؛ ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابنا فارس• ولا تضروه
شيئا؛ اذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل
الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق• والله
على كل شيء قدير؛ فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى
•الا تنصروه فقد نصره الله؛ اي ان لم تنصروه فينصره الله كما نصره• اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين؛ لم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزا واقيم ما هو كالدليل
عليه مقامه او ان لم ينصروه فقد اوجب الله تعالى له النصر حتى نصره في مثل ذلك
الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او
تسبب لاذن الله تعالى له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من
يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال• اذ هما في الغار؛ بدل

قلتم؛

من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلا ثور وثور جبل
في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا • اذ يقول • بدل ثان او ظرف لثان
لصاحبه • وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه • لا تحزن ان الله معنا • بالعصمة
والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما فاعماهم الله تعالى عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما
دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت
عليه • فانزل الله سكينته • امنه الذي سكن عنده القلوب • عليه • على النبي
صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا • وايده بجنود
لم تروها • يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر
والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله • وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى • يعني الشرك او دعوة الكفر • وكلمة الله هي العليا • يعني كلمة
التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى جعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة
الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها
فلا ثبات له لتفرقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل • والله عزيز حكيم • في
امره وتدبيره • انفروا خفافا • لنشاطكم له • وثقالا • عنه لمشقته عليكم او لقلة
عيالكم او لكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا
ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم
حتى نزل ليس على الاعمى حرج • وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله • بما امكن لكم
منهما كليهما او احدهما • ذلكم خير لكم • من تركه • ان كنتم تعلمون • الخير علمتم انه
خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه • لو كان
عرضا • اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا • قريبا • سهل الماخذ • وسفرا قاصدا •
متوسطا • لاتبعوك • لوافقوك • ولكن بعدت عليهم الشقة • اي المسافة التي

تقطع

التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والسين • وسيحلفون بالله • اي المتخلفون
اذا رجعت من تبوك معتذرين • لو استطعنا • يقولون لو كان لنا استطاعة
العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا
الضلالة • لخرجنا معكم • ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات
لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه • يهلكون انفسهم • بايقاعها في العذاب وهو بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون • في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج • عفا الله
عنك • كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه • لم اذنت لهم • بيان
لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شي اذنت لهم في القعود حين
استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت • حتى يتبين لك الذين
صدقوا • في الاعتذار • وتعلم الكاذبين • فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله
عليهما • لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم • اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان
الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا
في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا • والله عليم
بالمتقين • شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه • انما يستاذنك • في التخلف
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر • تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في
الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عن الايمان وعدم الايمان
بهما • وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون • يتحيرون • ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له • للخروج • عدة • اهبة وقرئ عده بحذف التا عند الاضافة كقوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وعده بكسر العين باضافة وبغيرها • ولكن
كره الله انبعاثهم • استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا
ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج • فثبطهم • فحبسهم
بالجبن والكسل • وقيل اقعدوا مع القاعدين • تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة

الخروج في قلوبهم وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض
او اذن الرسول لهم والقاعدين بحتمل المعذورين وغيرهم وعلي الوجهين لا يخلو
عن ذم • لو خرجوا فيكم ما زادوكم • بخروجهم شيا • الا خبالا • فسادا وشرا ولا
يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتي لو خرجوا زادوهم لان الزيادة باعتبار العموم
العام الذي وقع منه الاستثنا ولان هذا التوهم جعل الاستثنا منقطعا
وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا • ولا وضعوا خلالكم • ولاسرعوا ركايبهم
بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
• يبغونكم الفتنة • يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب
في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا • وفيكم سماعون لهم • ضعفة سماعون
قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم • والله عليم بالظالمين •
فيعلم ضمايرهم وما ياتي منهم • لقد ابتغوا الفتنة • تشتيت امرك وتفريق
اصحابك • من قبل • يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما
خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا
يوم احد • وقلبوا لك الامور • ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في
ابطال امرك • حتى جا الحق • النصر والتاييد الالهي • وظهر امر الله • علا دينه • وهم
كارهون • على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين
على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة لاعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه • ومنهم من يقول ايذن لي • في القعود • ولا تفتني •
ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه
لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا
كافل لهم بعدي او في الفتنة بنسا الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت
الانصار اني مولع بالنسا فلا تفتني ببنات اصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني • الا
في الفتنة سقطوا • اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور
النفاق لا ما احترزوا عنه • وان جهنم لمحيطة بالكافرين • جامعة لهم يوم القيامة

اوالان

اوالان لان احاطة اسبابهم كوجودها • ان تصبك • في بعض غزواتك • حسنة • ظفر
وغنيمة • تسوهم • لفرط حسدهم • وان تصبك • في بعضها • مصيبة • كسر او شدة
كما اصاب يوم احد • يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل • يتبجحوا بانصرافهم واستحمدوا امرهم
في التخلف • ويتولوا • عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول • وهم فرحون •
مسرورون • قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا • الا ما اختصنا باثباته وايجابه من
النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم
وقري هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم
اصاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشي فيما قصد به وقيل
من الصوب • هو مولانا • ناصرنا ومتولي امرنا • وعلى الله فليتوكل المومنون • لان
حقهم ان لا يتوكلوا على غيره • قل هل تربصون بنا • تنتظرون بنا • الا احدى
الحسنيين • الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما احسن العواقب النصرة
والشهادة • ونحن نتربص بكم • ايضا احدى السوايين • ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده • بقارعة من السما • او بايدينا • او بعذاب بايدينا وهو القتل على
الكفر • فتربصوا • ما هو عاقبتنا • انا معكم متربصون • ما هو عاقبتكم • قل
انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم • امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفايدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول
كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول
جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يوخذ منهم وان
لا يثابوا عليه وقوله • انكم كنتم قوما فاسقين • تعليل له على سبيل الاستيناف
وما بعده بيان وتقرير له • وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله
وبرسوله • اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكساي ان يقبل
بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقري يقبل على ان الفعل لله • ولا ياتون
الصلاة الا وهم كسالى • متثاقلين • ولا ينفقون الا وهم كارهون • لانهم لا
يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا • فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم •
فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال • انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا

بسبب ما يكابدون بجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد
والمصايب • وتزهق انفسهم وهم كافرون • فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة
• ويحلفون بالله انهم لمنكم • لمن جملة المسلمين • وما هم منكم • لكفر قلوبهم ۝
• ولكنهم قوم يفرقون • يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين ۝
فيظهرون الاسلام تقية • لو يجدون ملجا • حصنا يلجاون اليه • او مغارات •
غيرانا • او مدخلا • نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا
من دخل وقري مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومندخلا ومندخلا من تدخل
واندخل • لولوا اليه • لاقبلوا نحوه • وهم يجمحون • يسرعون اسراعا لا يردهم
شي كالفرس وقري يجمزون ومنه الجمازة • ومنهم من يلمزك • يعيبك وقرا يعقوب
يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك • في الصدقات • في قسمها • فان اعطوا منها رضوا
وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون • قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال
الا ترون الي صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل ۝
وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل
يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل فاذا الملاجاة نابت مناب
العرا الجزايه • ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله • ما اعطاهم الرسول من الغنايم
او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره • وقالوا
حسبنا الله • كفانا فضله • سيوتينا الله من فضله ورسوله • صدقة او غنيمة
اخري فيوتينا اكثر مما اتانا • انا الى الله راغبون • في ان يغنينا من فضله
والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين
مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
• انما الصدقات للفقراء والمساكين • اي الزكوات لهولاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنايم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار فكانه اصيب فقاره ۝

والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه
قوله اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلاة والسلام سال المسكنة
وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة • والعاملين عليها •
الساعين في تحصيلها وجمعها • والمولفة قلوبهم • قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة
فيه فتستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطايهم ومراعاتهم اسلام نظرايهم
وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس كذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه
الصلاة والسلام كان يعطيهم من خمس الخمس والاصح انه كان يعطيهم من خمس الذي
كان خاص ماله وقد عد منهم من يولف قلبه بشي منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة
وقيل كان سهم المولفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط • وفي
الرقاب • وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشي منها على اداء النجوم
وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان تفدي الاسارى
والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل
للايذان بانهم احق بها • والغارمين • المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم
يكن لهم وفا او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنيا لقوله عليه الصلاة والسلام
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة غاز في سبيل الله تعالى او غارم او رجل اشتراها
بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل
عليها • وفي سبيل الله • وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع
الكراع والسلاح وقيل وفي بنا القناطر والمصانع • وابن السبيل • المسافر
المنقطع عن ماله • فريضة من الله • مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات
فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقرا وقري بالرفع على تلك فريضة • والله
عليم حكيم • يضع الاشيا في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة
التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى جنس واحد وبه

قال الايمة الثلاثة ولختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمه الله
تعالى على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين
يوذون النبي ويقولون هو اذن يسمع ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق
له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعه
نقول ما شينا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم
بانه اذن لكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله
ثم فسر ذلك بقوله يومن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويومن للمومنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه
بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر
الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا
بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب
على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرا نافع اذن بالتخفيف
فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يوذون رسول الله
لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا
ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمومنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضا بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام
اولان الكلام في ايذا الرسول وارضايه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسو
كذلك ان كانوا مومنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتا من يحادد
الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر
اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي
العظيم يعني الهلاك الدايم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المومنين
سورة تنبيهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير
للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم

وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشي
وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل
استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرون من
انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولين سالتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام
وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا
وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شي من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شي مما يخوض
فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض في السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزءون توبيخا على استهزايهم بمن لا يصح الاستهزا به والزاما للحجة
عليهم ولا يعبا باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذا الرسول والطعن فيه
بعد ايمانكم بعد اظهار الايمان ان نعف عن طايفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
او لتجنبهم عن الايذا والاستهزا تعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق او مقدمين على الايذا والاستهزا وقرا عاصم بالنون وقرئ بالبا
وبنا الفاعل فيهما وهو الله تعالى وان تعف بالتا والبنا على المفعول ذهابا
الى المعنى كانه قال ان ترحم طايفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشي الواحد وقيل انه
تكذيبهم في حلفهم انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه
فانه يدل على مضادة حالهم لحال المومنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر
والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم
عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته
فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في
التمرد والفسوق عن دايرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزا وفيه دليل

علي عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا
ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاس كالذين من قبلكم
اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا
بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر
لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهابهم بها عن النظر
في العاقبة والسعي في تحصيل اللذايذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفا اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين
خاضوا او كالفوج الذين خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اوليك حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واوليك هم
الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبو الذين من قبلهم قوم
نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم
ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين
وهم قوم شعيب واهلكوا بالنار يوم الظلة والموتفكات قريات قوم لوط
ايتفكت بهم اي انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل
قريات المكذبين المتمردين وايتفاكهن انقلابهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس
كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقين
والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في ساير الامور اوليك سيرحمهم
الله لا محالة فان السين موكدة للوقوع ان الله عزيز غالب علي كل شي لا يمتنع
عليه ما يريده حكيم يضع الاشيا مواضعها وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس

اويطيب

اويطيب بها العيش في الحديث انها قصور من اللولو والزبرجد والياقوت
الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار
الله تعالي التي لم ترها عين ولم تخطر علي قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهدا يقول الله تعالي طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها
يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود بكل واحد او للجميع علي سبيل التوزيع او الى تغاير
وصفه وكانه وصفه اوانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها التميل
اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معري
عن شوايب الكدورات التي لا تخلوا عن شي منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا
يعتريهم فيها فنا ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكثر من ذلك فقال ورضوان من الله
لانه المبدا لكل سعادة وكرامة والمودي الى نيل الوصول والفوز باللقا وعنه
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالي يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضي وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واي شي افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا
اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي
يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنا
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماواهم
جهنم وبيس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه
الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب
المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لان كان يقول محمد لاخواننا حقا فنحن
شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله
ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم
ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من
تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذ تسنم العقبة بالليل فاخذ

فقين

عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ
سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا واخراجه واخراج المومنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان
لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهموا بما لم ينالوا • وما انكروا او وما وجدوا ما يورث
نقمتهم • الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله • فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج
في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنايم وقتل
للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم
فاستغنى والاستثنا مفرغ من اعم المفاعيل او العلل • فان يتوبوا يك خيرا
لهم • هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتواب • وان يتولوا •
بالاصرار على النفاق • يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة • بالقتل والنار
• وما لهم في الارض من ولي ولا نصير • فينجيهم من العذاب • ومنهم من عاهد
الله لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • نزلت في ثعلبة بن
حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله تعالى ان يرزقني مالا فقال
عليه الصلاة والسلام قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال
والذي بعثك بالحق نبيا لين رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له
فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن
الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبه فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلها
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبه فسالاه الصدقة واقراه الكتاب الذي فيه
الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هي الا اخت الجزية فارجعا حتى اري رايي
فنزلت فجا ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو
التراب فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجا بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جا الى عمر في خلافته فلم يقبلها
وهلك في زمان عثمان • فلما اتاهم من فضله بخلوا به • منعوا حق الله تعالى
منه • وتولوا • عن طاعة الله • وهم معرضون • وهم قوم عادتهم الاعراض عنها •

فاعقبهم

• فاعقبهم نفاقا في قلوبهم • اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد
في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في
قلوبهم • الى يوم يلقونه • يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو
يوم القيامة • بما اخلفوا الله ما وعدوه • بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق
والصلاح • وبما كانوا يكذبون • وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن
للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقري يكذبون بالتشديد
• الم يعلموا • اي المنافقون او من عاهد الله وقري بالتا على الالتفات • ان الله
يعلم سرهم • ما اسروه في انفسهم من النفاق والعزم على الاخلاف • ونجواهم •
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الزكاة جزية • وان الله
علام الغيوب • فلا يخفى عليه ذلك • الذين يلمزون • ذم مرفوع او منصوب
او بدل من الضمير في سرهم وقري يلمزون بالضم • المطوعين • المتطوعين
من المومنين في الصدقات • روي انه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة
فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت
ربي اربعة الاف وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى
امراتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بماية
وسق تمر وجا ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجيت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره
على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن بن عوف وعاصم
الا ريا وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات • والذين لا يجدون الا جهدهم • الا طاقتهم وقري
بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه • فيسخرون منهم • يستهزون
بهم • سخر الله منهم • جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزي بهم • ولهم
عذاب اليم • على كفرهم • استغفر لهم او لا تستغفر لهم • يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله • ان تستغفر لهم سبعين مرة

فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال
عليه الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سوا عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام
فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبع مايه ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على
جملة اقسام العدد فكانه باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان
الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم
قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر
والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم
مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو
خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثار
الدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمومنين الذين اثروا عليها تحصيل
رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه
للمومنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا
يفقهون ان ماٰلهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزا بما كانوا يكسبون اخبار عما يول اليه حالهم
في الدنيا والاخرة اخرجه على صفة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان
يكون الضحك والبكا كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك

الله الي طايفة منهم فان ردك الي المدينة وفيها طايفة من المتخلفين يعني منافقيهم
فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا
فاستاذنوك للخروج الي غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول
مرة تعليل لهم وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول
مرة هي الخرجة الي غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم
للجهاد كالنسا والصبيان وقري مع الخلفين اي على قصر الخلفين ولا تصل
على احد منهم مات ابدا روي ان عبد الله بن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي
جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت
وقيل صلي عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في القميص ونهى عن الصلاة عليه
لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس
قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعا للميت والاستغفار له وهو
ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياء الكافر للتعذيب لا للتمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون انه
تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذ [بهم]
بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان
الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون
هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها
ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك [ذلك]
اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين
قعدوا للعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة وقد يقال
الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من السعادة لكن الرسول والذين امنوا

معه جاهدوا باموالهم وانفسهم ؛ اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو
خير منهم ، واوليك لهم الخيرات ؛ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة
والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة
وهو جمع خيرة تخفيف خيرة ، واوليك هم المفلحون ؛ الفايزون بالمطالب ،
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ؛ بيان
لما لهم من الخيرات الاخروية ، وجا المعذرون من الاعراب ليوذن لهم ؛ يعني اسد
او غطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا
والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر
اذا مهد العذر بادغام التا في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقا الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقراة يعقوب معذرون
من اعذر اذا اجتهد في العذر وقري المعذرون بتشديد العين والذال على انه
من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التا لا تدغم في العين وقد اختلف انهم كانوا
معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ؛
في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعا الايمان وان كانوا
هم الاولين فكذبهم بالاعتذار ، سيصيب الذين كفروا منهم ؛ من الاعراب او
المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ، عذاب اليم ؛ بالقتل او النار ،
ليس على الضعفا ، ولا على المرضى ؛ كالهرمى والزمنى ، ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون ؛ لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة ، حرج ؛ اثم في التاخير ، اذا
نصحوا لله ورسوله ؛ بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الولي الناصح
او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ، ما على
المحسنين من سبيل ؛ اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين
في ذلك ، والله غفور رحيم ؛ لهم او للمسي فكيف للمحسن ، ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم ؛ عطف على الضعفا او على المحسنين وهم البكاوون سبعة من الانصار

معقل

معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة
وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا
الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا
اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
ابو موسى واصحابه ، قلت لا اجد ما احملكم عليه ؛ حال من الكاف في اتوك او
باضمار قد ، تولوا ؛ جواب اذا ، واعينهم تفيض ؛ تسيل ، من الدمع ؛ اي دمعا
فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز من تفيض دمعها
لانه ابلغ على ان العين صارت دمعها فياضا ، حزنا ؛ نصب على العلة او الحال
او المصدر لفعل دل عليه ما قبله ، ان لا يجدوا ؛ اي لئلا يجدوا ومتعلق
بحزنا او بتفيض ، ما ينفقون ؛ في مغزاهم ، انما السبيل ؛ بالمعاتبة ، على
الذين يستاذنوك وهم اغنيا ؛ واجدون للاهبة ، رضوا بان يكونوا مع
الخوالف ؛ استيناف ببيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو
رضاهم بالدناة والانتظام في جملة الخوالف ايثار البدعة ، وطبع الله على
قلوبهم ؛ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ، فهم لا يعلمون مغبته ؛ يعتذرون اليكم
في التخلف ، اذا رجعتم اليهم ؛ من هذه السفرة ، قل لا تعتذروا ؛ بالمعاذير
الكاذبة لان ، لن نومن لكم ؛ لن نصدقكم لانه ، قد نبانا الله من اخباركم ؛ اعلمنا
بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد ، وسيرى
الله عملكم ورسوله ؛ اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة
وامهال للتوبة ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ؛ اي اليه فوضع الوصف
موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت من علمه شي من
ضمايرهم واعمالهم ، فينبيكم بما كنتم تعملون ؛ بالتوبيخ والعقاب عليه ،
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ؛ فلا تعاتبوهم ، فاعرضوا
عنهم ؛ ولا توبخوهم ، انهم رجس ؛ لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه
التطهير بالحمل على الانابة وهولا ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض
وترك المعاتبة ، وماواهم جهنم ؛ من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من

اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم
عتابا فلا تتكلفوا عتابهم • جزاء بما كانوا يكسبون ؛ يجوز ان يكون مصدرا
وان تكون علة • يحلفون لكم لترضوا عنهم ؛ فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون
بهم • فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ؛ اي فان رضاكم
لا يستلزم رضي الله تعالى ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله
وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تعالى
فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم
والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم • الاعراب
اهل البدو • اشد كفرا ونفاقا ؛ من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة • واجدر ان لا يعلموا ؛
واحق بان لا يعلموا • حدود ما انزل الله على رسوله ؛ من الشرايع فرايضها وسننها
• والله عليم ؛ يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم ؛ فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم عقابا وثوابا • ومن الاعراب من يتخذ ؛ يعد • ما ينفق ؛ يصرفه في سبيل
الله تعالى ويتصدق به • مغرما ؛ غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله تعالى
ولا يرجوا عليه ثوابا وانما ينفق ريا او تقية • ويتربص بكم الدوابر ؛ دوابر الزمان
ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق • عليهم دايرة السوء ؛ اعتراض
بالدعا عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدايرة
في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح
مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو
السوء هنا وفي الفتح بضم السين • والله سميع ؛ بما يقولون عند الانفاق • عليم
بما يضمرون • ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات ؛
سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ • عند الله ؛ صفتها او ظرف ليتخذ
• وصلوات الرسول ؛ وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعوا
للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمصدق ان يدعوا للمتصدق عند اخذ
صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل

على

على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره • الا انها قربة لهم ؛ شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجايهم على الاستيناف مع حرف التنبيه
وان المحققة للتثبيت والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء • سيدخلهم
الله في رحمته ؛ وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله • ان
الله غفور رحيم ؛ لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية
في عبد الله ذي البجادين وقومه • والسابقون الاولون من المهاجرين ؛ هم
الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
• والانصار ؛ اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على والسابقون • والذين اتبعوهم باحسان ؛ اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة • رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضا اعمالهم • ورضوا عنه ؛ بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية
• واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ؛ وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في ساير
المواضع • خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم • وممن حولكم ؛ اي وممن حول
بلدتكم يعني المدينة • من الاعراب منافقون ؛ وهم جهينة ومزينة واسلم
وغفار واشجع كانوا نازلين حولها • ومن اهل المدينة ؛ عطف على ممن حولكم او خبر
لمحذوف صفته • مردوا على النفاق ؛ ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله ؛ انا ابن جلا وطلاع الثنايا ؛ وعلى الاول صفة للمنافقين فصل
بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق
• لا تعلمهم ؛ لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع
التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك • سنعذبهم
مرتين ؛ بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك
الابدان • ثم يردون الى عذاب عظيم ؛ الى عذاب النار • واخرون اعترفوا
بذنوبهم ؛ ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طايفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول

خلهم

الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم • خلطوا عملا صالحا واخر سيئا • خلطوا العمل
الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيئ هو التخلف وموافقة
اهل النفاق والواو اما بمعنى البا كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة
على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر • عسى الله ان يتوب عليهم • ان يقبل توبتهم
وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم • ان الله غفور رحيم • يتجاوز عن التايب
ويتفضل عليه • خذ من اموالهم صدقة • روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه
اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا
فنزلت • تطهرهم • عن الذنوب او حب المال المودي بهم الى مثله وقري تطهرهم
من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر • وتزكيهم بها • وتنمي بها
حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين • وصل عليهم • واعطف عليهم بالدعا
والاستغفار لهم • ان صلواتك سكن لهم • تسكن اليها نفوسهم وتطمين بها قلوبهم
وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكساي وحفص بالتوحيد • والله سميع •
باعترافهم • عليم • بندامتهم • الم يعلموا • الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان
يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض
عليها • ان الله هو يقبل التوبة عن عباده • اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز • وياخذ الصدقات • يقبلها قبول من ياخذ شيا ليودي بدله • وان
الله هو التواب الرحيم • وان من شانه قبول توبة التايبين والتفضل عليهم • وقل
اعملوا • ما شيتم • فسيرى الله عملكم • فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا • ورسوله
والمومنون • فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم • وستردون الى عالم
الغيب والشهادة • بالموت • فينبيكم بما كنتم تعملون • بالمجازاة عليه • واخرون
من المتخلفين • مرجون • موخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا
نافع وحمزة والكساي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان • لامر الله • في شانهم
• اما يعذبهم • ان اصروا على النفاق • واما يتوب عليهم • ان تابوا والترديد للعباد

بد

وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى • والله عليم • باحوالهم • حكيم • فيما
يفعل بهم وقري والله غفور رحيم والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله تعالى فرحمهم
• والذين اتخذوا مسجدا • عطف على واخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف
اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر
بغير واو • ضرارا • مضارة للمومنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا
مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه
مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن ابي
عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة • وكفرا • وتقوية للكفر الذي
يضمرونه • وتفريقا بين المومنين • يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في
مسجد قبا • وارصادا • ترقبا • لمن حارب الله ورسوله • يعني الراهب فانه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر
بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل
كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام • من قبل • متعلق بحارب
او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بني
قبل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح
سفر واذا قدمنا ان شا الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت • وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى • ما اردنا ببنايه الا الخصلة الحسنى والارادة الحسنى
وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين • والله يشهد انهم لكاذبون • في حلفهم

لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق
للقصه او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينه
من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار تقنة الحجر
اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضات الله تعالى وقيل من
الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادنا
المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى
حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون انتم فسكتوا ثم
فاعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر انهم مومنون وانا معهم فقال
عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم
قال اتشكرون فى الرخا قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مومنون ورب الكعبة
فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون
عند الوضو وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم
نتبع الاحجار الما فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه
على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته
بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هى اضعف القواعد
وارخاها فانهار به فى نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط
فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهاير فى مقابلة التقوى
تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره
فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه
عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته التى الجنة ادناها ثم
وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان
مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البنا للمفعول وقرى

اساس

اساس بنيانه واس على الاضافة واسس واساس بالفتح واساس بالكسر وثلاثتها
جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث لتقوى وقرا ابن عامر
وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدى القوم الظالمين الى ما فيه صلاح
ونجاه لا يزال بنيانهم الذى بنوا بناوهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد تدخله التا ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة فى
قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد
نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك
فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث
لا تبقى لهم قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثنا من
اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كاين بالقتل او فى القبر او فى النار وقيل
التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتها وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراة ابن عامر وحمزة وحفص وقرى يقطع باليا وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البنا للفاعل والمفعول والله عليم
بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنايهم ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله
يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرا
وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرا حمزة والكساى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت
ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا
مصدر موكد لما دل عليه الشرا فانه فى معنى الوعد فى التوراة والانجيل والقران
مذكور فيهما كما اثبت فى القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة فى الانجاز
وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التايبون رفع
على المدح اى هم التايبون والمراد بهم المومنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا
خبره محذوف تقديره التايبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا
وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اى التايبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون

لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمومنين • العابدون • الذين
عبدوا الله مخلصين له الدين • الحامدون • لنعمائه او لما نابهم من البأساء والضراء
• السائحون • الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصوم شبه
بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى
الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم • الراكعون
الساجدون • في الصلاة • الامرون بالمعروف • بالايمان والطاعة • والناهون
عن المنكر • بين الوصفين وفي قوله تعالى • والحافظون لحدود الله • اي فيما بينه
وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذه مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام
والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية • وبشر المومنين •
يعني به هولاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المومنين موضع مضمرهم للتنبيه
على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به
للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتغيير الكلام • ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين • روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب
لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم
انه عنك فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم
ياذن لي وانزل علي الايتين • ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم •
بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم
للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال • وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه • وعدها ابراهيم اياه بقوله لاستغفرن
لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة
من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان • فلما تبين له انه عدو لله •
بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يومن • تبرا منه • قطع استغفاره • ان ابراهيم
لاواه • لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه • حليم • صبور على الاذى

والجملة

والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه • وما كان الله ليضل قوما •
اي ليسميهم ضلالا ويواخذهم مواخذتهم • بعد اذ هداهم • للاسلام • حتى يبين لهم ما
يتقون • حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاوه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه
او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول
في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف • ان الله بكل شيء
عليم • فيعلم امرهم في الحالين • ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • لما منعهم عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا
اولي قربى تضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل
موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا
اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه • لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار • من اذن المنافقين في التخلف او برائهم
عن علقة الذنوب بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو
بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه
وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا
وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة و
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده • والذين اتبعوه في
ساعة العسرة • في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان التمرة والماء
حتى شربوا الفظ • من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم • عن الثبات على الايمان
او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في
منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين • ثم تاب عليهم • تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه تاب عليهم من بعد ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم تم
• انه بهم رءوف رحيم • وعلى الثلاثة • وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن
امية ومرارة بن الربيع • الذين خلفوا • تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم

المرجون حتي اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم
بالكلية وصومهم لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة
والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه
الا اليه الا الي استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل
قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخري
ليستقيموا علي توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
الرحيم يتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا
مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرى من الصادقين
اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هولا الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهي عبر عنه بصيغة النفي
للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه
عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت
له امراة حسنا فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت له الرطب والما
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وما بارد وامراة حسنا ورسول الله صلي
الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلي الله عليه وسلم طرفه الي الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلي الله عليه وسلم واستغفر
له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الي ما دل عليه قوله ما كان
من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما من العطش
ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطيون ولا يدوسون
موطيا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطيه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل
والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما
يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين علي احسانهم وهو تعليل لكتب
وتنبيه علي ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصي ما
يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المومنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار

واستيلايهم

واستيلايهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل
منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع معني الارض الا كتب
لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزا احسن
اعمالهم او احسن جزا اعمالهم وما كان المومنون لينفروا كافة وما استقام لهم
ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتبطوا جميعا
فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة فهلا نفر من كل جماعة
كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا
غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه
بالذكر لانه اهم وفيه دليل علي ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه
ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع علي الناس
والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه
واستدل به علي ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلاثة نفر او يقرب به طايفة الي التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم تعتبر الاخبار ما لم يتواتر ما لم يفد ذلك وقد اشبعت
القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معني اخر وهو
انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المومنون الي النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقه طايفة الي الجهاد وتبقي اعقابهم يتفقهون حتي
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل
والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق
بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف اي ولينذر البواقي قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين
امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب
كما امر رسول الله صلي الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق

بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر
وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة • وليجدوا فيكم غلظة •
شدة وصبرا علي القتال وقري بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها • واعلموا ان
الله مع المتقين • بالحراسة والاعانه • واذا ما انزلت سورة فمنهم • فمن المنافقين
• من يقول • انكارا واستهزا • ايكم زادته هذه • السورة • ايمانا • وقري ايكم بالنصب
علي اضمار فعل يفسره زادته • فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا • بزيادة العلم
الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم • وهم
يستبشرون • بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم • واما
الذين في قلوبهم مرض • كفر • فزادتهم رجسا الى رجسهم • كفرا بها مضموما الي الكفر
بغيرها • وماتوا وهم كافرون • واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه • اولا يرون •
يعني المنافقين وقري بالتا • انهم يفتنون • يبتلون باصناف البليات او
بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات
• في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون • لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم • ولا
هم يذكرون • ولا يعتبرون • واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض •
تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم • هل يريكم
من احد • اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد
قاموا وان يرهم احد لم يقوموا • ثم انصرفوا • عن حضرته مخافة الفضيحة • صرف
الله قلوبهم • عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء • بانهم • بسبب انهم • قوم لا
يفقهون • لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم • لقد جاءكم رسول من انفسكم • من جنسكم
عربي مثلكم وقري من انفسكم اي من اشرفكم • عزيز عليه • شديد شاق • ما عنتم •
عنتكم ولقاؤكم المكروه • حريص عليكم • اي على ايمانكم وصلاح شانكم • بالمومنين
منكم ومن غيركم • رؤوف رحيم • قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرافة شدة
الرحمة محافظة على الفواصل • فان تولوا • عن الايمان بك • فقل حسبي الله •
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم • لا اله الا هو • كالدليل عليه • عليه توكلت •
فلا ارجو ولا اخاف الا منه • وهو رب العرش العظيم • الملك العظيم او الجسم

الاعظم

الاعظم المحيط التي تنزل منه الاحكام والمقادير وقري العظيم بالرفع وعن ابي رضي
الله تعالى عنه اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل
القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما
نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة

سورة يونس مكية

وهي ماية وتسع ايات • بسم الله الرحمن الرحيم الر • فخمها ابن كثير ونافع وحفص
وامالها الباقون اجرا لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء • تلك ايات الكتاب
الحكيم • اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد بالكتاب
احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته
لم ينسخ شي منها • اكان للناس عجبا • استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان
واسمه • ان اوحينا • وقري بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان
اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يتوجهون نحوه
• انكارهم واستهزايهم • الى رجل منهم • من افناء رجالهم دون عظيم من عظمايهم
قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي
طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم
بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن
عظمايهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك
كان اكثر الانبيا قبله كذلك وقد تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في
سورة الانعام • ان انذر الناس • ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون
في موقع مفعول اوحينا • وبشر الذين امنوا • عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه
ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به • ان
لهم • بان لهم • قدم صدق عند ربهم • سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان
السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية • قال الكافرون ان هذا •
يعنون الكتاب وما جاء به الرسول • لسحر مبين • وقرا ابن كثير والكوفيون
لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا

خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين • ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض • التي هي اصول الممكنات • في ستة ايام ثم
استوى على العرش يدبر الامر • يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت
به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور
لتجيء محمودة العاقبة • ما من شفيع الا من بعد اذنه • تقرير لعظمته وعز جلاله
ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له
• ذلكم الله • اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ۞
• ربكم • لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك • فاعبدوه • وحدوه بالعبادة
• افلا تذكرون • تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة
لا ما تعبدونه • اليه مرجعكم جميعا • بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا
للقائه • وعد الله • مصدر موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله • حقا •
مصدر اخر موكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله • انه يبدئ الخلق ثم يعيده •
بعد بديه واهلاكه • ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط • اي بعدله
او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان
الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله • والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم
وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العقاب
والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدا والاعادة وهو الاثابة والعقاب
واقع بالغرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه اما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم
والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابدا ۞
والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويويد
قول من قرا انه يبدو بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب
وعد الله او بما نصب حقا • هو الذي جعل الشمس ضياء • اي ذات ضياء وهو
مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير

ضيا بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين • والقمر نورا • اي
ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما
بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بالعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها • وقدره منازل • الضمير لكل واحد
اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه ۞
بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك
علله بقوله • لتعلموا عدد السنين والحساب • وحساب الاوقات من الاشهر
والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم • ما خلق الله ذلك الا بالحق • الا ملتبسا بالحق
مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة • يفصل الايات لقوم يعلمون • فانهم المنتفعون
بالتامل فيها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص يفصل بالياء • ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض • من انواع الكائنات • لايات • على
وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته • لقوم يتقون • العواقب فانه يحملهم
على التفكر والتدبر • ان الذين لا يرجون لقاءنا • اي لا يتوقعونه لانكارهم
بالبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها • ورضوا بالحياة الدنيا • من الاخرة
لغفلتهم عنها • واطمانوا بها • وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها • والذين هم عن اياتنا غافلون •
لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين ۞
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك في ۞
الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل
عن التامل في الاجل والاعداد له • اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون • بما ۞
واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم • بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يودي الى الجنة او لادراك الحقائق
كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم او لما
يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان

بق

والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان
العمل الصالح كالتتمة والرديف تجري من تحتهم الانهار استينافا او خبر ثان او
حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك
اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية
الملايكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين
اي ان يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى
وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملايكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام
وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر
ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة
اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه
كقوله فامطر علينا حجارة من السما وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله
للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي
عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البنا
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون عطف على فعل محذوف دل عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا يعجل ولا
يقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته
مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قايما وفايدة الترديد
تعميم الدعا لجميع الاحوال ولاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على
طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعا لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه
لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان
الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا
يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى

والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم
وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا ما استقام
لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزا وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل
واصرارهم عليه بحيث تحقق انهم لا فايدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين
نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم
وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها
بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون ابعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفايدته الدلالة على ان المعتبر في الجزا
جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة
ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر نقراه ليس فيه ما نستبعد
من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكره من معايب الهتنا او بدله
بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي
يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما النفي بالجواب عند التبديل
لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي
تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب
للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السوال من ان القران
كلامه واختراعه ولذلك قيل التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني
اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايما بانهم استوجبوا
العذاب بهذا الاقتراح قل لو شا الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شا الله
ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه

عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقوي ولا ادراكم ولا دراتكم بالهمزة فيهما
علي لغة من يقلب الالف المبدلة من اليا همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي
ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله تعالى
لا بمشيتي حتى اجعله علي نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله • فقد لبثت
فيكم عمرا • مقدار عمر اربعين سنة • من قبله • من قبل القران لا اتلوه ولا
اعلمه فانه اشارة الي القران معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم
اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة
ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته كل منطيق وعلا كل منظوم ومنثور
واحتوى علي قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الاخرين علي ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى • افلا تعقلون • افلا
تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله تعالى • فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا • تفادى مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم
على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد • او كذب باياته • فكفر بها • انه لا
يفلح المجرمون • ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم • فانه جماد لا
يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته
جلب نفع او دفع ضر • ويقولون هؤلاء • الاوثان • شفعاؤنا عند الله • يشفع لنا
فيما يهمنا في امور الدنيا وفي الاخرة ان لم يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه
وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم
قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه مما يشفع لهم عنده • قل اتنبئون الله
اتخبرونه • بما لا يعلم • وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم اي [illegible]
شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما • في
السموات ولا في الارض • حال من العايد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما
يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو
حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به • سبحانه وتعالى عما يشركون • عن
اشراكهم او عن الشركا الذين يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين

في اول النحل والروم بالتاء • وما كان الناس الا امة واحدة • موحدين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
او على العرب الي فترة من الرسل • فاختلفوا • باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة
الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى • ولولا كلمة سبقت من ربك • بتاخير الحكم
بينهم او العذاب الفاصل بينهم الي يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء • لقضي بينهم
عاجلا • فيما فيه يختلفون • باهلاك المبطل وابقاء المحق • ويقولون لولا انزل
عليه اية من ربه • اي من الايات التي اقترحوها • فقل انما الغيب لله • هو المختص
بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها • فانتظروا •
لنزول ما اقترحتموه • اني معكم من المنتظرين • لما يفعل الله تعالى بكم بجحودكم
ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم غيره • واذا اذقنا الناس رحمة • صحة
وسعة • من بعد ضراء مستهم • كقحط ومرض • اذا لهم مكر في اياتنا • بالطعن
فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالمطر فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله • قل الله اسرع
مكرا • منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المتفضل عليها
كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما
الاستدراج او الجزاء على المكر • ان رسلنا يكتبون ما تمكرون • تحقيق للانتقام
وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن
يعقوب يمكرون بالياء لتوافق ما قبله • هو الذي يسيركم • يحملكم على السير
ويمكنكم منه • في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك • في السفن • وجرين بهم • بمن
فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم
وينكر عليهم • بريح طيبة • لينة الهبوب • وفرحوا بها • بتلك الريح • جاءتها • جواب
اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها • ريح عاصف • ذات عصف
شديدة الهبوب • وجاءهم الموج من كل مكان • يجيء الموج منه • وظنوا انهم احيط
بهم • اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو • دعوا الله
مخلصين له الدين • من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة

الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول ومفعول دعوا لانه من جملة القول
فلما انجاهم اجابة لدعايهم اذا هم يبغون في الارض فاجاوا الفساد فيها
وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب
المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق ۝
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء
جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه
على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع
الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر
محذوفا تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه
البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبيكم بما كنتم تعملون
بالجزا عليه انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كما انزلناه من السما فاختلط به نبات
الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من
الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف
النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة
فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرى على الاصل وازينت على ۝
افعلت من غير اعلال كاعيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا
ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في
الموضعين للمبالغة وقد قرى باليا على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في
الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه
حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه
قد سلم من الجوايح لا الماء وان وليه حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب كذلك

نفصل

نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام
دار السلامة من النقص والافة او دار الله تعالى وتخصيص هذا الاسم ايضا
للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملايكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة
ويهدي من يشا بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام
والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل
على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم
من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
اللقا ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ۝
هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن
وسو حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون لا زوال فيها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيات
جزا سية بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز
في الدار زيد والحجرة عمرو والذين مبتدا والخبر جزاء سية على تقدير وجزاء
الذين كسبوا السيات جزا سية بمثلها اي ان تجازي سية بسية مثلها
لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما
اغشيت واولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزا سية مبتدا ۝
خبره محذوف اي فجزاء سية بمثلها او فحق او بمثلها على زيادة البا وتقدير
مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرى باليا ما لهم من الله من عاصم ما من احد
يعصمهم من سخط الله تعالى او رحمته او من جهة الله تعالى ومن عنده كما يكون
او من عنده كما يكون للمومنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه
العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل
في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسايي ويعقوب قطعا

بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه • اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون • مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار
لاشتمال السيات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب
الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه • ويوم نحشرهم جميعا • يعني الفريقين
جميعا • ثم نقول للذين اشركوا مكانكم • الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم
• انتم • تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله • وشركاؤكم • عطف عليه وقرى
بالنصب على المفعول معه • فزيلنا بينهم • ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي
كانت بينهم • وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون • مجاز عن براءة ما عبدوه
من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ان الله تعالى ينطق الاصنام فيشافههم بذلك مكان
مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح
وقيل الشياطين • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم • فانه العالم بكنه الحال
• ان كنا عن عبادتكم لغافلين • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
• هنالك • في ذلك المقام • تبلوا كل نفس ما اسلفت • تختبر ما قدمت من عمل
فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلوا من التلاوة اي تقرا ذكر ما
قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرى نبلوا بالنون
ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها
المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد
نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما
منصوبة بنزع الخافض • وردوا الى الله • الى جزائه اياهم عما اسلفوا • مولاهم الحق •
ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرى الحق بالنصب على المدح
او المصدر المؤكد • وضل عنهم • وضاع عنهم • ما كانوا يفترون • من ان الهتهم تشفع
لهم او ما كانوا يدعون انها الهة • قل من يرزقكم من السماء والارض • اي منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما
توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض • امن

يملك

• يملك السمع والابصار • اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من
الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شي • ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي • ومن يحيي ويميت او من ينشي الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر • ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص • فسيقولون
الله • اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه • فقل افلا
تتقون • انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شي من ذلك • فذلكم
الله ربكم الحق • اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لانه هو الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم • فماذا بعد
الحق الا الضلال • استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق
الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال • فانى تصرفون • عن الحق الى الضلال
• كذلك حقت كلمة ربك • اي كما حقت الربوبية لله تعالى او ان الحق بعده الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه • على الذين فسقوا • تمردوا في
كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح • انهم لا يومنون • بدل من الكلمة او تعليل
لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب • قل هل من شركائكم من يبدوا الخلق ثم يعيده •
جعل الاعادة كالابدا في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعد عليها
ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب • قل الله يبدا
الخلق ثم يعيده • لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها • فانى توفكون • تصرفون
عن قصد السبيل • قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق • بنصب الحجج وارسال
الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما تعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء تعدى
باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك عدي بالى ما اسند الله تعالى • قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى • اما الذي لا يهتدي الا ان يهدى من
من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا
حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن
عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد •

والاصل يهتدي فادغم وفتحت الها بحركة اليا او كسرت لالتقا الساكنين وروي
ابو بكر يهدي باتباع اليا الها وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقا الساكنين
لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقري الا ان يهدي على المبالغة ﴿فما لكم كيف
تحكمون﴾ بما يقتضي صريح العقل بطلانه ﴿وما يتبع اكثرهم﴾ فيما يعتقدونه ﴿الا
ظنا﴾ مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد
والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من سمي منهم
الى تمييز ونظر ولا يرضي بالتقليد الصرف ﴿ان الظن لا يغني من الحق شيا﴾ من العلم
والاعتقاد الحق ﴿شيا﴾ من الاغنا ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه
وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفا بالتقليد والظن غير
جايز ﴿ان الله عليم بما يفعلون﴾ وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان
﴿وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله﴾ افترا من الخلق ﴿ولكن تصديق الذي بين
يديه﴾ مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهورة على صدقها ولا يكون كذبا
كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان
مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقري بالرفع على
تقدير ولكن هو تصديق ﴿وتفصيل الكتاب﴾ وتفصيل ما حق واثبت من العقايد
والشرايع ﴿لا ريب فيه﴾ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع
الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ﴿ام يقولون افتراه﴾ بل ايقولون افتراه
محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار ﴿قل فاتوا بسورة مثله﴾ في البلاغة في حسن النظم
وقوة المعنى على وجه الافترا فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم
والعبارة ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به ﴿من دون الله﴾ سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾
انه اختلقه ﴿بل كذبوا﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ بالقران
بل اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم
يحيطوا بها علما من ذكر البعث والجزا وساير ما يخالف دينهم ﴿ولما ياتهم تاويله﴾

ولم يقفوا

ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من
الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة
اللفظ والمعنى ثم انهم فاجاوا تكذيبه قبل ان يتدبروا لفظه ويتفحصوا معناه
ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم
في معارضته فتضالت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا
فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ انبياهم
﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ﴿ومنهم﴾
ومن المكذبين ﴿من يومن به﴾ من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او
من سيومن به ويتوب عن كفره ﴿ومنهم من لا يومن به﴾ في نفسه لفرط غباوته
وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿وربك اعلم بالمفسدين﴾ بالمعاندين
او بالمصرين ﴿وان كذبوك﴾ وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة ﴿فقل لي
عملي ولكم عملكم﴾ فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزا عملي ولكم جزا عملكم حقا
كان او باطلا ﴿انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون﴾ لا تواخذون بعملي ولا ان
اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية
السيف ﴿ومنهم من يستمعون اليك﴾ اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكن
لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا ﴿افانت تسمع الصم﴾ تقدر على اسماعهم
﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان
حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهايم وهو
لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مافة بمعارضة الوهم
ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ﴿ومنهم من ينظر اليك﴾
يعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون ﴿افانت تهدي العمي﴾ تقدر على هدايتهم
﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة ولذلك يحدس الاعمى
المتبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري
والاعراض عنهم ﴿ان الله لا يظلم الناس شيا﴾ بسبب حواسهم وعقولهم ﴿ولكن الناس﴾

انفسهم يظلمون• بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا
وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعم الجبرية ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله تعالى لا يظلمهم به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه• ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار•
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في
موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة او صفة ليوم والعايد
محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او مصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا
قبله• يتعارفون بينهم• يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا
اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان
لقوله تعالى كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم
•قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله• للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان
يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول• وما كانوا مهتدين• لطرق
استعمال ما منحوا من المعارف في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات
ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم• واما نرينك• بنصرتك• بعض الذي نعدهم•
من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر• او نتوفينك• قبل ان نريك• فالينا
مرجعهم• فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك• ثم الله شهيد على ما يفعلون• مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها
ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مود شهادته على افعالهم يوم القيامة
•ولكل امة• من الامم الماضية• رسول• يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق• فاذا جاء
رسولهم• بالبينات فكذبوه• قضي بينهم• بين الرسول ومكذبيه• بالقسط•
بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون• وهم لا يظلمون• وقيل معناه لكل
امة يوم القيامة رسول ينسب اليه فاذا جا رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم بانجا المومنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم• ويقولون متى هذا الوعد• استبعاد له واستهزا به
•ان كنتم صادقين• خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين• قل لا املك

لنفسي

لنفسي ضرا ولا نفعا• فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم• الا ما شاء الله• ان
املكه ولكن ما شاء الله من ذلك كاين• لكل امة اجل• مضروب لهلاكهم• اذا جاء اجلهم
فلا يستاخرون• ساعة ولا يستقدمون• لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا يستعجلون
فسيحين وقتكم وينجز وعدكم• قل ارايتم ان اتاكم عذابه• الذي تستعجلون به
•بياتا• وقت بيات واشتغال بالنوم• او نهارا• حين كنتم مشتغلين بطلب
معاشكم• ماذا يستعجل منه• اي شي من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا
يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع
موضع المضمر للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجي العذاب لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه ويجوز ان يكون
الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم
او قوله• اثم اذا ما وقع امنتم به• بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار
التاخير• الان• على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم
به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام• وقد كنتم به تستعجلون•
تكذيبا واستهزاء• ثم قيل للذين ظلموا• عطف على قيل المقدر• ذوقوا عذاب
الخلد• المولم على الدوام• هل تجزون الا بما كنتم تكسبون• من الكفر والمعاصي
•ويستنبيونك• ويستخبرونك• احق هو• احق ما تقول من الوعد وادعا النبوة
بقوله ام باطل تقوله به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله لقوله ويستنبيونك وقيل انه للانكار ويويده انه قري الحق هو فان
فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم
والجملة في موضع النصب بيستنبيونك• قل اي وربي انه لحق• ان العذاب لكاين
او ما ادعيت لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم
القسم ولذلك توصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده• وما
انتم بمعجزين• فايتين العذاب• ولو ان لكل نفس ظلمت• بالشرك او التعدي على
الغير• ما في الارض• من خزاينها واموالها• لافتدت به• لجعلته فدية لها من العذاب

من قوله افتدا به بمعنى فداه • واسروا الندامة لما راوا العذاب • لانهم بهتوا لما عاينوا
مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة
اخلصوها لان اخفاها اخلاصها او لانه يقال سر الشي لخالصته من حيث انها
تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قوله سر الشي واسره اذا اظهره • وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون • ليس بتكرير لان الاول قضا بين الانبيا ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما
يتناولهم لدلالة الظلم عليهم • الا ان لله ما في السموات والارض • تقرير لقدرته تعالى
على الاثابة والعقاب • الا ان وعد الله حق • ما وعده من الثواب والعقاب كاين
لا خلف فيه • ولكن اكثرهم • لا يعلمون لقصور افهامهم الا ظاهرا من الحياة
الدنيا • هو يحيي ويميت • في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا
تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا • واليه
ترجعون • بالموت والنشور • يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما
في الصدور وهدى ورحمة للمومنين • اي قد جاكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة
عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبايح والحكمة
النظرية التي هي شفا لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق
واليقين ورحمة للمومنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور
الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم • قل بفضل الله وبرحمته • بانزال القران والبا متعلقة بفعل
يفسره قوله • فبذلك فليفرحوا • فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفايدة ذلك
التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
او بفعل دل عليه قد جاتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيها فليفرحوا
والفا بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها
للتاكيد لقوله • فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي • وعن يعقوب فلتفرحوا بالتا

على

على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويويده انه قرئ فافرحوا • هو خير مما يجمعون •
من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى
فبذلك فليفرح المومنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون • قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق • جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السما محصل باسباب
منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه في معنى اخبروني ولكم دل على ان
المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال • فجعلتم منه حراما وحلالا •
مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا • قل الله اذن لكم • في التحريم والتحليل فيقولون ذلك بحكمة
ام على الله تفترون • في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل تكرير للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها تقرير لافترايهم على الله • وما ظن الذين يفترون على الله الكذب •
اي شي ظنهم • يوم القيامة • ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كاين وفي ابهام الوعيد
تهديد عظيم • ان الله لذو فضل على الناس • حيث انعم عليهم بالعقل اي هداهم
بارسال الرسل وانزال الكتب • ولكن اكثرهم لا يشكرون • هذه النعمة • وما تكون
في شان • ولا يكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده
والضمير في • وما تتلوا منه • له لان تلاوة القران معظم شان الرسول صلى
الله عليه وسلم او لان القراة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلوا • من قران • على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران او
اضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او الله • ولا تعملون من عمل • تعميم
للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة
وذلك حيث عم ما يتناول الجليل والحقير • الا كنا عليكم شهودا • رقباء مطلعين
عليه • اذ تفيضون فيه • تخوضون فيه وتندفعون • وما يعزب عن ربك •
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي • من مثقال ذرة •
موازن نملة صغيرة او هبا • في الارض ولا في السما • اي في الوجود والامكان فان

العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان
الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر
اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتدا والخبر ومن
عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله
مع الجار جعل الاستثنا منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والاية كمجمل فسره قوله الذين امنوا
وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى
في الحياة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من
الرويا الصالحة وما سنح لهم من المكاشفات وبشرى الملايكة عند النزع وفي
الاخرة بتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه
لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاوليا او على الابتدا
وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة
والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع
بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبالي
بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض من الملايكة والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشرف الممكنات
عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا
فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا اي شركا على
الحقيقة وان كانوا يسمونها شركا ويجوز ان يكون شركا مفعول يدعون ٥

ومفعول

ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا
وانما يتبعون ظنهم انهم شركا ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع
وموصولة معطوفة على من وقري تدعون بالتا والمعنى اي شي يتبع الذين تدعونهم
شركا من الملايكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم
لا تتبعونهم فيه كقوله اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون
الزاما بعد برهان وما بعده مصروفا عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم
وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون
انها شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد
والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر
واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا
لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقا هو الغني علة لتنزهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه
ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه
قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع
على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان
العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل ان الذين يفترون
على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون
من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراوهم
متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا
خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقا
المويد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل
عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم

وسق • مقامي • نفسي كقولك فعلت كذا بمكان فلان اوكوني واقامتي بينكم مدة
مديدة اوقيامي على الدعوة • وتذكيري • اياكم • بايات الله • فعلى الله توكلت •
وثقت به • فاجمعوا امركم • فاعزموا عليه • وشركاكم • اي مع شركائكم ويويده
القراة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يوكد للفصل وقيل انه
معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل
محذوف تقديره وادعوا شركاكم وقد قرى به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى
امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة
بالله وقلة مبالات بهم • ثم لا يكن امركم • في قصدي • عليكم غمة • مستورا ه
واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري • ثم اقضوا • ادوا • الي • ذلك الامر الذي ه
تريدون بي وقري ثم افضوا بالفا اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الي من افضى
اذا خرج الى الفضا • ولا تنظرون • ولا تمهلون • فان توليتم • اعرضتم عن تذكيري •
• فما سالتكم من اجر • يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني
لتوليكم • ان اجري • ما ثوابي على الدعوة والتذكير • الا على الله • لا تعلق له بكم ه
يثيبني به امنتم او توليتم • وامرت ان اكون من المسلمين • المنقادين لحكمه لا اخالف
امره ولا ارجوا غيره • فكذبوه • فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين
ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب • فنجيناه
من الغرق • ومن معه في الفلك • وكانوا ثمانين • وجعلناهم خلايف • من الهالكين
به • واغرقنا الذين كذبوا باياتنا • بالطوفان • فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له • ثم بعثنا • ن
ارسلنا • من بعده • من بعد نوح • رسلا الى قومهم • كل رسول الى قومه • فجاوهم
بالبينات • بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعوتهم • فما كانوا ليومنوا • فما استقام
لهم ان يومنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم • بما كذبوا به من
قبل • اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل • كذلك
نطبع على قلوب المعتدين • نخذلهم لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي

امثال

امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر
تحقيق ذلك • ثم بعثنا من بعدهم • من بعد هولاء الرسل • موسى وهارون الى
فرعون وملايه باياتنا • بالايات التسع • فاستكبروا • عن اتباعهما • وكانوا
قوما مجرمين • معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على
ردها • فلما جاءهم الحق من عندنا • وعرفوه لتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
للشك • قالوا • من فرط تمردهم • ان هذا لسحر مبين • ظاهر انه سحر او
فايق في فنه واضح فيما بين اخوانه • قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم • انه سحر
فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون • اسحر هذا •
لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام
فيه للتقرير والمحكي مفهوم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه
من قولهم فلان يخاف المقالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول
• ولا يفلح الساحرون • من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو
كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر
او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجيتنا بالسحر تطلب به
الفلاح ولا يفلح الساحرون • قالوا اجيتنا لتلفتنا • لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان • عما وجدنا عليه اباءنا • من عبادة الاصنام • وتكون لكما الكبريا
في الارض • الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبريا والتكبر على الناس
باستتباعهم • وما نحن لكما بمومنين • بمصدقين فيما جيتما به • وقال فرعون
ايتوني بكل ساحر • وقرا حمزة والكساي بكل سحار • عليم • حاذق فيه فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جيتم به السحر
اى الذي جيتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو
االسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتدا وجيتم به خبرها والسحر
بدل منه او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف
اى السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اهو
السحر او مبتدا خبره محذوف اي اي شي اتيتم • ان الله سيبطله • سيمحقه او

سيظهر بطلانه • ان الله لا يصلح عمل المفسدين • لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل
علي ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له • ويحق الله الحق • ويثبته • بكلماته ۝
باوامره وقضاياه وقري بكلمته • ولو كره المجرمون • ذلك • فما امن لموسي • في مبدا
اوامره • الا ذرية من قومه • الا اولاد من اولاد قومه بني اسرايل دعاهم فلم يجيبوا
خوفا من فرعون الا طايفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون وجمعه علي ما هو
المعتاد في ضمير العظما او علي ان المراد بفرعون اله كما يقال ربيعه ومضر او
للذرية او للقوم • ان يفتنهم • ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف
وافراده بالضمير للدلالة علي ان الخوف من الملا كان بسببه • وان فرعون لعال
في الارض • لغالب فيها • وانه لمن المسرفين • في الكبر والعتو حتي ادعي الربوبية
واسترق اسباط الانبياء • وقال موسي • لما راي تخوف المومنين به • يا قوم ان كنتم
امنتم بالله فعليه توكلوا • ثقوا به واعتمدوا عليه • ان كنتم مسلمين • مستسلمين
لقضا الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع ۝
التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت • فقالوا علي الله توكلنا •
لانهم كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم • ربنا لا تجعلنا فتنة •
موضع فتنة • للقوم الظالمين • اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا • ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين • من كيدهم ومن شوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل علي الدعا
تنبيه علي ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته • واوحينا الي موسي واخيه
ان تبوا • اي اتخذا مباءة • لقومكما بمصر بيوتا • تسكنون فيها او ترجعون اليها
للعبادة • واجعلوا • انتما وقومكما • بيوتكم • تلك البيوت • قبلة • مصلي وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسي يصلي اليها • واقيموا الصلاة • فيها
امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم ۝
• وبشر المومنين • بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبي وانما ثني الضمير اولا لان
التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه روس القوم للتشاور ثم جمع لان جعل
البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل

وظيفة

وظيفة صاحب الشريعة • وقال موسي ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة • ما يتزين
به من اللباس والمراكب ونحوهما • واموالا في الحياة الدنيا • وانواعا من المال • ربنا ليضلوا
عن سبيلك • دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره ۝
كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون
للعلة لان ايتا النعم علي الكفر استدراج وتثبيت علي الضلال ولانهم لما جعلوها
سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها
علي ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله • ربنا اطمس علي اموالهم •
اهلكها والطمس المحق وقري اطمس بالضم • واشدد علي قلوبهم • اي واقسها واطبع
عليها حتي لا تنشرح للايمان • فلا يومنوا حتي يروا العذاب الاليم • جواب للدعا
او دعا بلفظ النهي او عطف علي ليضلوا وما بينهما دعا معترض • قال قد اجيبت
دعوتكما • يعني موسي وهارون لانه كان يومن • فاستقيما • فاثبتا علي ما انتما
عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فانما طلبتما كاين ولكن في وقته
روي انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة • ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون • طريق
الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق والاطمينان بوعد الله تعالي وعن ابن عامر
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقا الساكنين ولا تتبعان من تبع
ولا تتبعان ايضا • وجاوزنا ببني اسرايل البحر • اي جوزناهم في البحر حتي بلغوا
الشط حافظين لهم وقري جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف
• فاتبعهم • فادركهم يقال تبعته واتبعته • فرعون وجنوده بغيا وعدوا • ۝
باغين وعادين او للبغي والعدو وقري وعدوا • حتي اذا ادركه الغرق • لحقه
• قال امنت انه • اي بانه • لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين •
وقرا حمزة والكسايي انه بالكسر علي اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا
لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل • الان • اتومن
الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار • وقد عصيت قبل • قبل ذلك
مدة عمرك • وكنت من المفسدين • الضالين المضلين عن الايمان • فاليوم ننجيك •
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك علي نجوة

من الارض ليراك بنو اسرايل وقرا يعقوب ننجيك من الجي وقري ننحيك بالحا اي
نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح
اوكاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف
بها وقري بابدانك اي باجزاء البدن كلها لقولهم هوي باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراك علامة وهم بنو اسرايل
اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل لهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسي عليه
الصلاة والسلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل
لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا امال امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا
الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبريا
الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقري لمن خلفك اي لخالقك اية
كساير الايات فان افراده اياك بالالقا الي الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرايل مبوا صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما
اختلفوا حتى جاهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قروا التوراة
وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته
ونظام معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز المحق من المبطل بالانجا والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك
فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها او وصف اهل
الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته
لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسال
وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل من يستمع اي ان كنت ايها السامع في

شك

شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في
الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاك الحق من ربك واضحا
انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك
بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يومنون اذ لا يكذب
كلامه ولا ينقض قضاوه ولو جاتهم كل اية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو
تعلق ارادة الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينيذ لا ينفعهم
كما لم ينتفع فرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى التي
اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم توخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن
قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يوخروه الى حلوله كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن
حرف التحضيض معناه فيكون الاستثنا متصلا لان المراد من القرى اهلها
كانه قال ما من اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس
ويويده قراة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روي ان يونس عليه
الصلاة والسلام بعث الى اهل نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد اغامت السما غيما اسود ذا
دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوا فايقنوا
صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسايهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان ولا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية

في انه تعالى لو يشا ايمانهم اجمعين وان من شا ايمانه يومن لا محالة والتقييد بمشية
الالجا خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشا الله منهم حتى يكونوا مومنين
وترتيب الاكراه على المشية بالفا وايلاها حرف الاستفهام للانكار وتقديم
الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكن تحصيله
بالاكراه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه
شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تومن بالله
الا باذن الله بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى
الله تعالى ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقري بالزاي وقرا
ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في
الحجج والايات اذ لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويويد
الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب
صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون في علم الله تعالى
وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من
قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف
دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن بهم
على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المومنين كذلك الانجا او انجا
كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله
المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا بعين
الانصاف لتعلموا صحتها وهي اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم
الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون

من

من المومنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون
من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره لقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة
الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر
لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سوا الخبر منها او الطلب والطلب
والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد باداء الفرايض والانتها
عن القبايح او في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه او
دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء
للشرط وجواب لسوال مقدر عن تبعة الدعا وان يمسسك الله بضر فلا
يصيبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد
فلا دافع لفضله الذي اراد بك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد
بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده
يصيب به بالخير من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته
بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من
ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها
لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا
بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم
وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا
يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السراير اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون **سورة هود** مكية وهي مائة وثلاث

وعشرون اية • بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب • مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا
محذوف • احكمت اياته • نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى
او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت
بالحجج والدلايل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة
على امهات الحكم النظرية والعملية • ثم فصلت • بالفوايد من العقايد والاحكام
والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما
يحتاج اليه وقرى ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت
على البنا للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار • من لدن حكيم خبير •
صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير
لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي • ان لا تعبدوا
الا الله • لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغرا على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير
كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا • انني لكم منه • من
الله • نذير وبشير • بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد • وان استغفروا
ربكم • عطف على ان لا تعبدوا • ثم توبوا اليه • ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة
فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم
توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان تكون ثم لتفاوت ما بين الامرين • يمتعكم
متاعا حسنا • يعيشكم في امن ودعة • الى اجل مسمى • وهو اخر اعماركم المقدرة
او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال
لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا يتغير • ويوت كل ذي فضل فضله • ويعط
كل ذي فضل في دينه جزا فضله في الدنيا او في الاخرة وهو وعد للموحد التايب
بخير الدارين • فان تولوا • وان تتولوا • فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير • يوم
القيامة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرى وان تولوا
من ولي • الى الله مرجعكم • رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس • وهو على كل
شي قدير • فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم • الا انهم

يثنون

يثنون صدورهم • يثنونها عن الحق وينحرفون عن الحق او يعطفونها على الكفر
وعداوة النبي او تولون ظهورهم وقرى يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء
المبالغة ويثنان ويثنوي واصله تثنونن من الثن والكلا الضعيف اراد به
ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز
• ليستخفوا منه • من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنون عليه قيل انها نزلت
في طايفة من المشركين قالوا اذا ارخينا علينا ستورنا واستغشينا ثيابنا
وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ
الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة • الا حين يستغشون ثيابهم • الى حين
ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم • يعلم ما يسرون • في قلوبهم • وما يعلنون •
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
• انه عليم بذات الصدور • باسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها • وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها • غذاوها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة
وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه • ويعلم مستقرها
ومستودعها • اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
• كل • كل واحد من الدواب واحوالها • في كتاب مبين • مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا
على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد • وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام • اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات • وكان عرشه على الماء • قبل خلقهما لم يكن حايل
بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث
بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك • ليبلوكم
ايكم احسن عملا • متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة
المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم

وما يحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما
جاز تعليق فعل البلوي لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار
الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دايما في
مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى
عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى
ايكم اكمل علما وعملا • ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين • اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا
كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسايي الا ساحر على ان الاشارة
الى القايل وقري انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان تكون ان بمعنى علي
اي ولين قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه
من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره • ولين اخرنا عنهم العذاب • الموعود
• الى امة معدودة • الى جماعة من الاوقات قليلة • ليقولن • استهزاء • ما يحبسه
ما يمنعه من الوقوع • الا يوم ياتيهم • كيوم بدر • ليس مصروفا عنهم • ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقدم خبرها
عليها • وحاق بهم • واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد • ما كانوا به يستهزءون • اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء • ولين اذقنا الانسان منا رحمة • ولين اعطيناه نعمة
بحيث يجد لذتها • ثم نزعناها منه • ثم سلبنا تلك النعمة منه • انه ليوس •
قطوع رجاوه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به • كفور • مبالغ في كفران ما
سلف له من النعمة • ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته • كصحة بعد سقم وغنى بعد
عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى • ليقولن ذهب السيات عني • اي المصايب
التي ساتني • انه لفرح • بطر بالنعم مغتر بها • فخور • على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجد الانسان في الدنيا
من النعم والمحن كالانموذج لما يجد في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى

شي

شي لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول • الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
على الضرا ايمانا بالله واستسلاما لقضايه • وعملوا الصالحات • شكرا لالايه سابقها
ولاحقها • اوليك لهم مغفرة • لذنوبهم • واجر كبير • اقله الجنة والاستثنا
من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله
على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثنا منقطعا • فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك • بترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم
واستهزايهم به ولا يلزم من توقع الشي لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون
ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ منها ما نعا
• وضايق به صدرك • وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان
يقولوا لولا انزل عليه كنز • ينفقه في الاستتباع كالملوك • او جاء معه ملك •
يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا • انما انت نذير • ليس عليك الا
الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك
• والله على كل شي وكيل • فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم • ام يقولون افتراه • ام منقطعة والها لما يوحي • قل فاتوا بعشر سور
مثله • في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل
الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد • مفتريات • مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحا مثلي تقدرون على
مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض
والنظم • وادعوا من استطعتم من دون الله • الى المعاونة على المعارضة • ان كنتم
صادقين • انه مفتري • فان لم يستجيبوا لكم • باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير
اما للتعظيم الرسول او لان المومنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
متنا ولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله • فاعلموا انما انزل بعلم • ملتبسا بما لا يعلمه الا الله تعالى ولا يقدر
عليه سواه • وان لا اله الا هو • واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما

لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت
صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم • فهل
انتم مسلمون • ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذ تحقق عندكم اعجازه
ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن
المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله تعالى وانه منزل من عنده وانما دعاكم اليه
من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر • من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها • باحسانه وبره • نوف اليهم
اعمالهم فيها • نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف
والرفع لان الشرط ماض كقوله • وان اتاه كريم يوم مسغبة • يقول لا غايب مالي
ولا حرم • وهم فيها لا يبخسون • لا ينقصون شيا من اجورهم والاية في اهل
الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وغرضهم • اولئك الذين ليس لهم في الاخرة
الا النار • مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة
وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة • وحبط ما صنعوا فيها • لانه لم يبق لهم ثواب في
الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضا ثوابها هو
الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا • وباطل • في نفسه • ما
كانوا يعملون • لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها
وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله • ولا خارجا
من في زور كلام • وبطل على الفعل • افمن كان على بينة من ربه • برهان من الله يدله
على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه
هولاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو
الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو
حكم يعم كل مومن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مومنوا اهل

الكتاب

الكتاب • ويتلوه • ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل • شاهد منه • شاهد
من الله بصحته وهو القران • ومن قبله • ومن قبل القران • كتاب موسى • اعني التوراة
فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل عليه الصلاة والسلام او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب
موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطف على الضمير في يتلوه اي يتلو اي
القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق لقوله فشهد شاهد من بني
اسرائيل ويقرا من قبل القران التوراة • اماما • كتابا ماموما به في الدين • ورحمة • على
المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين • اولئك • اشارة الى من كان على
بينة • يومنون به • بالقران • ومن يكفر به من الاحزاب • من اهل مكة ومن تحزب
معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فالنار موعده • يردها لا محالة • فلا تك
في مرية منه • من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك • انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يومنون • لقلة نظرهم واختلال فكرهم • ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا • كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله • اولئك يعرضون على
ربهم • في الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم • ويقول الاشهاد • من الملائكة
والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاشراف • هولاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين • تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب
على الله تعالى • الذين يصدون عن سبيل الله • عن دينه • ويبغونها عوجا • يصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة • وهم بالاخرة
هم كافرون • والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم
به • اولئك لم يكونوا معجزين في الارض • اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء • يمنعونهم من العقاب ولكن اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم • يضاعف لهم العذاب • استيناف ...
يضاعف لهم العذاب • اعتراض • اولئك الذين خسروا انفسهم • باشتراء عبادة الالهة
بعبادة الله تعالى • وضل عنهم ما كانوا يفترون • من الالهة وشفاعتها او خسروا
بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة • لا جرم انهم

في الاخرة هم الاخسرون؛ لا احد ابين واكثر خسرانا منهم. ان الذين امنوا وعملوا الصلحات واخبتوا الى ربهم؛ واطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمينة. اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون؛ دايمون. مثل الفريقين؛ الكافر والمومن. كالاعمى والاصم والبصير والسميع؛ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله تعالي وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالي وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المومن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله؛ الصابح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف والطباق. هل يستويان؛ هل يستوي الفريقان. مثلا؛ تمثيلا او صفة او حالا. افلا تذكرون؛ بضرب الامثال والتامل فيها. ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم؛ باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول. نذير مبين؛ ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص. ان لا تعبدوا الا الله؛ بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير. انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم؛ مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صايم للمبالغة. فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا؛ لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة. وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا؛ اخساونا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر والارذل جمع رذل. بادي الراي؛ ظاهر الراي من غير تعمق من البدو او اول الراي من البدا والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل. وما نرى لكم؛ لك ولمتبعيك. علينا من فضل؛ تاهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة. بل نظنكم كاذبين؛ اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب

المخاطب

المخاطب على الغايبين. قال يا قوم ارايتم؛ اخبروني. ان كنت على بينة من ربي؛ حجة شاهدة بصحة دعواي. واتاني رحمة من عنده؛ بايتاء البينة او النبوة. فعميت عليكم؛ فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكساي وحفص فعميت اي اخفيت وقري فعماها على ان الفعل لله تعالي. انلزمكموها؛ انلزمكم على الاهتدا بها. وانتم لها كارهون؛ لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل. ويا قوم لا اسالكم عليه؛ على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر. مالا؛ جعلا. ان اجري الا على الله؛ فانه المامول منه. وما انا بطارد الذين امنوا؛ جواب لهم حين سالوا طردهم. انهم ملاقوا ربهم؛ فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم. ولكني اراكم قوما تجهلون؛ بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل. ويا قوم من ينصرني من الله؛ من يدفع انتقامه. ان طردتهم؛ وهم بتلك الصفة والمثابة. افلا تذكرون؛ لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب. ولا اقول لكم عندي خزاين الله؛ رزقه او امواله حتى جحدتم فضلي. ولا اعلم الغيب؛ عطف على عندي خزاين الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبون استبعادا او حتى اعلم ان هولاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول. ولا اقول للذين تزدري اعينكم؛ ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم. لن يوتيهم الله خيرا؛ فانما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا. الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين؛ ان قلت شيا من ذلك والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاوه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الروية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم. قالوا يا نوح

الزمكم كر

ولا اقول انى ملك حتى يقولوا ما انت الا بشر مثلنا

قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما
تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك
يقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت
لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة
الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم
من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم
وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان
افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من
اجرامكم من اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه ان يغتم
بما فعلوا من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر
بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في
الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني
في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم
مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يعني به اياهم وبالعذاب
الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه
عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع
وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور
نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق
العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة

وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من
كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على
قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين من كل صنف
ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه
ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه
واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا
قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام
وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه
عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها
ثلاث مائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة
بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي اعلاها الطير
وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض
بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين
الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر
او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر
محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو
او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو
قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا
من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله
ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري
وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه

كل موجة منها كالجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل ان الماطبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة
عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق • ونادي نوح ابنه • كنعان وقري
ابنها وابنه بحذف الالف على الضمير لامراته وكانت ربيبة وقيل كان لغير
رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطا اذ الانبيا عصمت من ذلك والمراد بالخيانة
الخيانة في الدين وقري ابناه على الندبه ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف
وكان في معزل • عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه
اذا ابعده • يا بني اركب معنا • في السفينه والجمهور كسروا اليا ليدل على يا
الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان
في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من يا الاضافة واختلف الرواة عنه في
ساير المواضع وقد ادغم اليا في الميم ابو عمرو والكسايي وحفص لتقاربهما • ولا
تكن مع الكافرين • في الدين والانعزال • قال ساوي الى جبل يعصمني من الما • ان
يغرقني • قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم • الا الراحم وهو الله تعالي او لا
الامكان من رحمهم الله تعالى وهم المومنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم
من جبل ونحوه يعصم اللايذ به الا معتصم المومنين وهو السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة لقوله تعالي في عيشة راضية وقيل الاستثنا منقطع اي
ولكن من رحمة الله تعالي يعصمه • وحال بينهما الموج • بين نوح وابنه او بين ابنه
والجبل • فكان من المغرقين • فصار من المهلكين بالما • وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سما اقلعي • نوديا بما ينادي به اولوا العلم وامرا بما يومرون به تمثيلا لكمال
قدرته وانقيادهما لما يشا تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه
المبادر الى امتثال امره مهابة عن عظمته وخشيته من اليم عقابه والبلع
النشف والاقلاع الامساك • وغيض الما • نقص • وقضي الامر • وانجز ما وعد
من اهلاك الكافرين وانجاء المومنين • واستوت • واستقرت السفينة • على
الجودي • جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بامل روي انه ركب السفينة عاشر رجب

ونزل

ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة • وقيل بعدا للقوم
الظالمين • هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير

وبعدا اذا بعد بعدا

للهلاك وخص بدعاء السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن
نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار
على البنا للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغني
عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها
سوي الواحد القهار • ونادي نوح ربه • واراد نداه بدليل عطف قوله • فقال
رب ان ابني من اهلي • فانه النداء • وان وعدك الحق • وان كل وعد تعده حق لا
يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز
ان يكون هذا النداء قبل غرقه • وانت احكم الحاكمين • لانك اعلمهم واعدلهم
او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع • قال
يا نوح انه ليس من اهلك • لقطع الولاية بين المومن والكافر واشار اليه بقوله
• انه عمل غير صالح • فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد
فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنسا يصف ناقة • ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت • فانما هي اقبال وادبار • ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا
بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا
الكسايي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح • فلا تسالني ما ليس لك به
علم • ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداه سوالا لتضمن ذكر الموعد
بنجاة اهله استجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما
سماه جهلا وزجر عنه بقوله • اني اعظك ان تكون من الجاهلين • لان استثنا من
سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السوال لكن اشغله حب
الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة
وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسالنني فحذفت نون
الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفا بالكسرة
وعن نافع اثباتها في الوصل • قال رب اني اعوذ بك ان اسالك • في المستقبل

ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السوال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرى اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشية ممن معك والمراد بهم المومنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذريته من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتدا وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف برجل منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرى بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركا وجعلها شفعا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم

قوة

قوة الى قوتكم وتضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسايهم ثلاث سنين فوعدهم هود على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جيتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمومنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثنا مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخذهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع ولا يتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله تعالى وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله تعالى وواثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام

الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم • ويستخلف ربي قوما غيركم • استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفا ويويده القراة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذ ربي ويستخلف • ولا تضرونه • بتوليكم • شيا • من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه • ان ربي على كل شي حفيظ • رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شي • ولما جا امرنا • عذابنا او امرنا بالعذاب • نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا • وكانوا اربعة الاف • ونجيناهم من عذاب غليظ • تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ • وتلك عاد • انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم واثارهم • جحدوا بايات ربهم • كفروا بها • وعصوا رسله • لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول • واتبعوا امر كل جبار عنيد • يعني كبراهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم • واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة • اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب • الا ان عادا كفروا ربهم • جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار • الا بعدا لعاد • دعا عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم • قوم هود • عطف بيان لعاد وفايدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايما الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود • والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض • هو كونكم منها لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب • واستعمركم فيها • عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم

فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم • فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب • قريب الرحمة • مجيب • لداعيه • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا • لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاونا عنك • اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا • على حكاية الحال الماضية • واننا لفي شك مما تدعونا اليه • من التوحيد والتبري عن الاوثان • مريب • موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي • بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين • واتاني منه رحمة • نبوة • فمن ينصرني من الله • فمن يمنعني من عذابه • ان عصيته • في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به • فما تزيدونني • اذن باستتباعكم اياي • غير تخسير • غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران • ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية • انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها • فذروها تاكل في ارض الله • ترع نباتها وتشرب ماءها • ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب • عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام • فعقروها فقال تمتعوا في داركم • عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا • ثلاثة ايام • الاربعا والخميس والجمعة ثم تهلكون • ذلك وعد غير مكذوب • اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرايه مجرى المفعول به كقوله • ويوم شهدناه سليما وعامرا • او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول • فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ • اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتسا المضاف البنا من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ • ان ربك هو القوي العزيز • القادر على كل شي والغالب عليه • واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين • قد سبق تفسيره

ذلك في سورة الاعراف • كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم • نونه ابو بكر
هنا وفي النجم والكسايي في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو
في قوله • الا بعدا لثمود • ذهابا الي الحي او الي الاب الاكبر • ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
يعني الملايكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبرايل وميكايل واسرافيل • بالبشرى •
ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط • قالوا سلاما • سلمنا عليك سلاما ويجوز
نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما • قال سلام • اي امركم او جوابي سلام او وعليكم
رفعه اجابه باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسايي سلم وكذلك في الذاريات
وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح • فما لبث ان جاء بعجل حنيذ • فما ابطا
مجيه به او فما ابطا بالمجي به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ
المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
لقوله بعجل سمين • فلما راي ايديهم لا تصل اليه • لا يمدون اليه ايديهم • نكرهم
واوجس منهم خيفة • انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر
واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار • قالوا • له لما احسوا منه اثر
الخوف • لا تخف انا ارسلنا الي قوم لوط • انا ملايكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم
نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل • وامراته قايمة • وراء الستر تسمع محاورتهم او على روسهم
للخدمة • فضحكت • سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة
رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل
بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال • وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة • ولم
تعد حقا ثديها ان تحلما • ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقري بفتح الحا
• فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب • نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحاق يعقوب
وقيل انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير
مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع
على انه مبتدا خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الورا ولد الولد
ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الي اسحاق ليس من حيث ان

يعقوب

يعقوب وراه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل
وقوعهما في البشارة كيحيي ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولد فسميا به وتوجيه
البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة
على الولد • قالت يا ويلتا • يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقري
بالياء على الاصل • االد وانا عجوز • ابنة تسعين او تسع وتسعين • وهذا بعلي • زوجي
واصله القايم بالامر • شيخا • ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال
والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقري بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر
بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل • ان هذا لشي عجيب • يعني ان الولد من هرمين
وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك • قالوا اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت • منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار
اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس
ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة
الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة • انه حميد • فاعل ما يستوجب به الحمد • مجيد • كثير
الخير والاحسان • فلما ذهب عن ابراهيم الروع • ما اوجس من الخيفة واطمان
قلبه بعرفانهم • وجاته البشرى • بدل الروع • يجادلنا في قوم لوط • يجادل
رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جاء به مضارعا
على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه
المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل
اخذ او اقبل يجادلنا • ان ابراهيم لحليم • غير عجول على الانتقام من المسي اليه
• اواه • كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس • منيب • راجع الي الله
تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط
ترحمه • يا ابراهيم • على ارادة القول اي قالت الملايكة يا ابراهيم • اعرض عن
هذا • الجدال • انه قد جاء امر ربك • قدره بمقتضى قضايه الازلي بعذابهم
وهو اعلم بحالهم • وانهم اتيهم عذاب غير مردود • مصروف بجدال ولا دعاء ولا

غير ذلك • ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم • ساءه مجيئهم لانهم جاوا في صورة غلمان
فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم • وضاق بهم ذرعا
وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه • وقال هذا يوم عصيب • شديد من عصبه اذا شده • وجاءه قومه
يهرعون اليه • يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
• ومن قبل • ومن قبل ذلك الوقت • كانوا يعملون السيات • الفواحش فتمرنوا
بها ولم يستحيوا منها حتى جاوا يسرعون اليها مجاهرين • قال يا قوم هولاء بناتي
فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هولاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن
قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع
طار او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار
الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساوهم فان كل نبي
ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف بن مسعود وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم • هن اطهر لكم • انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب
من المغصوب واحل منه وقري اطهر بالنصب على انهن خبر بناتي كقولك هذا
اخي هو الافضل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها • فاتقوا الله • بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم • ولا تخزون • ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحيا • في ضيفي • في شانهم فان اخزا ضيف الرجل اخزاوه • اليس منكم رجل رشيد
يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح • قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق • من
حاجة • وانك لتعلم ما نريد • وهو اتيان الذكران • قال لو ان لي بكم قوة • لو قويت
نفسي على دفعكم • او اوي الى ركن شديد • اى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل
في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد
وقري او اوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم
من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملايكة ما على لوط من الكرب • قالوا يا
لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك • لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك

ودعنا

ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة • فاسر باهلك • بالقطع
من الاسرا وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القران من السري • بقطع من
الليل • بطايفة منه • ولا يلتفت منكم احد • ولا يتخلف ولا ينظر الى ورايه والنهي
في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط • الا امراتك • استثنا من قوله فاسر باهلك
ويدل عليه ان قري فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على
تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الورا في الذهاب ناقض ذلك
قراة بن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراتين على الروايتين   بتين
فانه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة
والاولى جعل الاستثنا في القراتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله تعالى ما
فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القرا على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات على عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستيناف
بقوله • انه مصيبها ما اصابهم • ولا يحسن جعل الاستثنا منقطعا على قراة الرفع
• ان موعدهم الصبح • كانه علة الامر بالاسرا • اليس الصبح بقريب • جواب لاستعجال
لوط واستبطايه العذاب • فلما جاء امرنا • عذابنا او امرنا به ويويده الاصل
وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله • جعلنا عاليها سافلها • فانه جواب لما
وكان حقه جعلوا عاليها اي الملايكة الماموروت به فاسند الى نفسه من حيث
انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرايل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه
تحت مداينهم ورفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم • وامطرنا عليها • على المدن او شذاذها • حجارة من سجيل • من طين
متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل من اسجله اذا ارسله او ادر
عطيته والمعنى من مثل الشي المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل
اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت
لامه نونا • منضود • نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا

كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به • مسومة • معلمة للعذاب
وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز به على حجارة الارض او باسم من يرمي به
عند ربك • في خزائنه • وما هي من الظالمين ببعيد • فانهم بظلمهم حقيق بان
يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سال جبريل
عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط
عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان • والى مدين
اخاهم شعيبا • اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام او اهل مدين وهو
بلد بناه فسمي باسمه • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان • امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس
المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض • اني اراكم بخير • بسعة تغنيكم عن البخس
او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا
تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي • واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط •
لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم
القيامة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب
لاشتماله عليه • ويا قوم اوفوا المكيال والميزان • صرح بالامر بالايفا بعد النهي
عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم
السعي في الايفا ولو بزيادة لا تاتي دونها • بالقسط • بالعدل والتسوية
من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفا وهو مندوب غير مامور به وقد يكون
محظورا • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون
في المقدار او في غيره وكذا قوله • ولا تعثوا في الارض مفسدين • فان العثو يعم
تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور
من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال اخراج ما
يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر صلوات الله وسلامه عليه وقيل معناه لا تعثوا
في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم • بقية الله • ما ابقاه لكم من الحلال

بو

بعد التنزه عما حرم عليكم • خير لكم • مما تجمعون بالتطفيف • ان كنتم مومنين •
بشرط ان تومنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات
الصالحات وقرئ تقية بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي • وما انا عليكم
بحفيظ • احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا
ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا
سوء صنيعكم • قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا • من
الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلواته والا شعار
بان مثله لا يدعوا اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس
ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا
حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يومر بفعل غيره • او ان نفعل في اموالنا ما نشاء •
عطف على ما اي او ان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف
على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفا وقيل كان ينهاهم عن
تقطيع الدراهم والدنانير وارادوا به ذلك • انك لانت الحليم الرشيد • تهكموا به
وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم
بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي • اشارة الى ما اتاه الله تعالى من العلم والنبوة • ورزقني منه رزقا حسنا •
اشارة الى ما اتاه الله تعالى من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل
يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في
وحيه فاخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف
والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله
• وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه • اي ما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به
فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى
كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس • ان اريد الا

الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب
ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها
حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما
نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح
اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما
توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته
عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم
ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب
العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر
بتقديم الصلة على انيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه
ويذره من الله تعالى والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بمعاداتهم وتهديدهم
بالرجوع الى الله تعالى للجزا ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح
من الرجفة وان بصلته ثاني مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب
وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان
اجرم اقل دورانا على السنة الفصحا وقري مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم يعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا
ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان
المراد وما اهلاكهم او وما هم بشي بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر
والمونث لانه على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا
اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم

من

من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد
الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب
التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم
تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او انهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة
نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوء
او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضا والشهادة والفرق
بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم
فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك
برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا
ديدن السفيه المحجوج يقابل الايات والحجج بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره
حرف النفي تنبيه على ان الكلام لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه
ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه
كالشيء المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تتقون على الله
وتتقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط
فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم سوف تعلمون من
ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفا في فسوف تعلمون ثمة
للتصريح بان الاصرار والتمكن مما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب
سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على
من ياتيه لا لانه قسيم له لقولك له سيعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما
اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه
ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع

ولما جا امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة
عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه
ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جا
بفا السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا
في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان
لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا
بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرى بعدت
بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك
والبعد مصدر لها والبعد مصدر المكسورة ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة
او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافردها لانها
ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا
وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جا لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص
القاطع والمبين يخص بما فيه جلا الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المويد بالمعجزات القاهرة الباهرة
واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده
على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون
برشيد بمرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة
الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم
النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الما فسمى اتيانها
موردا ثم قال وبيس الورد المورود اي بيس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون
برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشدا وتفسير له على ان المراد بالرشد
ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
اي يلعنون في الدنيا والاخرة بيس الرفد المرفود بيس العون المعان او العطا

المعطا واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم
وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبا من انبا القرى المهلكة نقصه
عليك مقصوص عليك منها قايم من تلك القرى باق كالزرع القايم
وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من
الها في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما
نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي
لما جا امر ربك لما جاهم عذابه ونقمته وما زادوهم لم تنفعهم بل ضرتهم
غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك
وقرى اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى
اي اهلها وقرى اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في
الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفايدتها الاشعار
بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة
ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد
والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من
قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما
حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته
لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشا ويرحم من يشا فان من انكر الاخرة واحال
فنا هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب
فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم
القيامة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس
والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محاله وان الناس
لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاه وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات
والارضين فاتسع فيه باجرا الظرف مجرى المفعول به لقوله في محفل

من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نوخره اي
اليوم الا لاجل معدود الا لانتها مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يات
اي الجزا او اليوم لقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل
لقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
بان تحذف اليا اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب
او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتها المحذوف
الا باذنه الا باذن الله تعالى لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون في موقف
اخر والماذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم
شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد
والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا
تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد منهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما
دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة
على تابيد دوامهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت
العرب يعبرون به على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال
السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامها الا من قبيل المفهوم لان
دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد
سموات الاخرة وارضها ويدل عليها قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف
اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب

والعقاب

والعقاب فلا يجدي التشبيه الا ما شاء ربك استثنا من الخلود في النار
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثنا
لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثنا الثاني
فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار
الابتدا كما ينتقض باعتبار الانتها وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه
ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال
حقيقي او مانع من الجمع وهاهنا المراد اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان
حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص
باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا
وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقايه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب
لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا
والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون
الاستثنا من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل
الا هاهنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الفان قديمان والمعنى سوى ما شا
ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقا السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شا ربك عطا غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح
بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثنا في الثواب ليس
الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرا حمزة والكسائي
وحفص سعدوا على البنا للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطا نصب
على المصدر المؤكد اي اعطوا عطا او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك
مما انزل اليك من حال الناس مما يعبد هولا من عبادة هولا المشركين
في انها ضلال مود الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوا عاقبة عباد

تهم

او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع • ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل ن
استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباوهم سوا في الشك اي ما يعبدون
عبادة الا كعبادة ابايهم او ما يعبدون شيا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد
بلغك ما لحق اباهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي
التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة ما قبله عليه
• وانا لموفوهم نصيبهم • حظهم من العذاب كابايهم او من الرزق فيكون عذر التاخير
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه • غير منقوص • من النصيب لتقييد التوفية
فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفا بعضه ولو مجازا • ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه • فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولا في القران • ولولا كلمة
سبقت من ربك • يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة • لقضي بينهم • بانزال ما
يستحقه المبطل ليتميز به المحق • وانهم • وان كفار قومك • لفي شك منه • من القران
مريب • موقع للريبة • وان كلا • وان كلا من المختلفين المومنين منهم والكافرين
والتنوين بدل عن المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال
اعتبارا للاصل • لما ليوفينهم ربك اعمالهم • اللام الاولى موطية للقسم والثانية
للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات
فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين
اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به • انه بما
يعملون خبير • فلا يفوت شي منه وان خفي • فاستقم كما امرت • لما بين امر المختلفين
في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل
ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل
بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع
كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ن
ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة
هود • ومن تاب معك • اي تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على ن

المستكن

المستكن في استقم وان لم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه • ولا تطغوا ن
ولا تخرجوا عما حد لكم • انه بما تعملون بصير • فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل
للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف
بنحو قياس واستحسان • ولا تركنوا الى الذين ظلموا • ولا تميلوا اليهم ادنى ميل
فان الركون الى الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم • فتمسكم النار • ن
بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم
نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد
عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط ن
وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار
بكسر التا على لغة تميم وتركنوا على البنا للمفعول من اركنه • وما لكم من دون الله
من اولياء • من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال • ثم لا تنصرون • اي ثم
لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرة
انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا • واقم الصلاة طرفي النهار • غدوة وعشية
وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه • وزلفا من الليل • وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح
لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر لان
ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وتنوين
وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة • ان الحسنات
يذهبن السيات • يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكباير وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني قد اصبت من امراة قبلة غير اني لم اتها فنزلت • ذلك • اشارة الى قوله

على نصرة

والعصر

فاستقم بما بعد وقيل الي القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر
علي الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير
ليكون كالبرهان علي المقصود ودليلا علي ان الصلاة والصبر احسان وايما بانه
لا يعتد بها دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا
بقية من الراي والعقل او اولوا افضل وانما سمي بقيته لان الرجل يستبقي افضل
ما يخرجه منه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون
مصدرا كالتقية اي ذوي ابقا علي انفسهم وصيانة لها من العذاب ويويده انه
قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في
الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا
يصح اتصاله الا اذا جعل استثنا من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا
عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب
لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوي وترك النهي
عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف علي مضمر دل عليه الكلام اذ المعني فلم
ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف علي اتبع او اعتراض
وقرئ واتبع اي واتبعوا لجزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان تفسر
به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك
واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته
ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقها عند تزاحم الحقوق حقوق العباد
وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر علي ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان
من كل احد وانما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم
على الباطل لا يكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم
الله تعالى من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه او الى الرحمة

وان

وان كان لمن قابل الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملايكة لاملان جهنم
من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا
اي وكل نبا نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فوادك بيان
لكلا او بدل منه وفايدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه
وطمانينة قلبه وثبات نفسه علي اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول
وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت
به فوادك من انباء الرسل وجاك في هذه السورة او الانبا المقتصة عليك
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمومنين اشارة الى ساير فوايده العامة
وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا
وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم
ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليك خافية مما فيهما واليه
يرجع الامر كله فيرجع لا محاله امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع على
البنا للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة
تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي
ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط
وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعدا ان شا الله تعالى سورة يوسف
مكية وايها ماية واحدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات
ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها
انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماهم قالوا لكثير المشركين سلوا
محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه
اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على
الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطية
للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من

الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا ومفسرا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحا نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجايب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحاينا اليك هذا القران يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين من هذه القصة لم تخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحي وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقري بفتح السين وكسرها على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهور شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن اليا تا التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها ها في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقا الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقري بالضم اجرا لها مجرى الاسما المونثة بالتا من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرويا لا من الروية لقوله لا تقصص روياك وقوله هذا تاويل روياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق

والذبال

والذبال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماوها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلا لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشر سنة لا تقصص روياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك فهم يعقوب عليه الصلاة والسلام من روياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرويا كالروية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بتا التانيث كالقربة والقربان وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزيية استغنت الرويا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدا كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل تعدي به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوى فلا يالوا جهدا لتسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرويا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتبا من جبوت الشي اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرويا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبيا وكلمات الحكما وهو اسم جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل ويتم

وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدايرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوايل وقيل كان بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون

نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الله بنعمة الاخرة، وعلى ال يعقوب، يريد
به ساير بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب ونسله، كما اتمها على ابويك
بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجا من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح
وفدايه بذبح عظيم، من قبل، من قبلك او من قبل هذا الوقت، ابراهيم واسحاق،
عطف بيان لابويك، ان ربك عليم، بمن يستحق الاجتبا، حكيم، يفعل الاشيا
على ما ينبغي، لقد كان في يوسف واخوته، اي في قصتهم، ايات، دلايل قدرة
الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك، للسايلين، لمن سال عن قصتهم والمراد
باخوته علاته العشرة وهو يهوذا، وروبيل، وشمعون، ولاوي، وربالون،
ويشخر، ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج
اختها راحيل فولدت منه بنيامين، ويوسف، وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما
حينيذ واربعة اخرون دان، ونفتالي، وجاد، واشر من سريتين زلفه وبلهه
اذ قالوا ليوسف واخوه، بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين، احب الى ابينا منا، وحده لان افعل من لا تفريق فيه بين
الواحد وما فوقه والذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى
جايز في المضاف، ونحن عصبة، والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين
لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم، ان ابانا لفي ضلال مبين، لتفضيله المفضول او لترك التعديل
في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راي الرويا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم
على التعرض له، اقتلوا يوسف، من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا
على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به
الاخرون، او اطرحوه ارضا، منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها
وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة، يخل لكم وجه ابيكم، جواب
الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى
غيركم ولا ينازعكم في محبته احد، وتكونوا، جزم بالعطف على يخل او نصب
بالجزم جواب الامر اي ... [illegible]
لكم،

باضمار

باضمار ان، من بعده، من بعد يوسف، والفراغ من امره او قتله او طرحه، قوما
صالحين، تايبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو
وجه ابيكم، قال قايل منهم، يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف، فان القتل عظيم، والقوه في غيابت الجب، في قعره
سمي بها لغيبوبته وغيابات بالتشديد، يلتقطه، ياخذه، بعض السيارة
بعض الذين يسيرون في الارض، ان كنتم فاعلين، بمشورتي او ان كنتم على ان
تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه، قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف،
لم تخافنا عليه، وانا له لناصحون، ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه
استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام
باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين
وتيمنا بكسر التا، ارسله معنا غدا، الى الصحرا، نرتع، نتسع في اكل الفواكه
ونحوها، ونلعب، بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين
على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر واليا فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون
ويعقوب باليا والسكون على اسناد الفعل الى يوسف عليه الصلاة والسلام
وقري يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا، وانا
له لحافظون، ان يناله مكروه، قال اني ليحزنني ان تذهبوا به، لشدة مفارقته
علي وقلة صبري عنه، واخاف ان ياكله الذيب، لان الارض كانت مذابة وقيل
راى في المنام ان الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره وكان قد همزها على
الاصل ابن كثير ونافع في رواية البزي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة
درجا والباقون بترك الهمز واشتقاقه من تذابت الريح اذا هبت من كل جهة
وانتم عنه غافلون، لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لين اكله الذيب ونحن عصبة، اللام موطية للقسم وجوابه، انا اذا لخاسرون
ضعفا مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب، وعزموا على القايه فيها

عازمين

والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته لبكة [illegible] الثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذياب

سرون

والبير بير بيت المقدس او بير بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ
من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي
انهم لما برزوا به الى الصحرا اخذوا يوذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل
يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به فقالوا ادع
الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه
فيها ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل
بالوحي كما قال • واوحينا اليه • وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا
اوحى اليه في صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وفي القصص
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل
عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه
جبريل فالبسه اياه • لتنبئنهم بامرهم هذا • لتحدثنهم بما فعلوا بك • وهم لا
يشعرون • انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير
للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم
لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك • وجاؤا
اباهم عشاء • اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر
جمع اعشى اي عشوا من البكا • يبكون • متباكين روي انه لما سمع بكاهم فزع وقال
ما لكم يا بني واين يوسف • قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق • نتسابق في العدو
او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل • وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا • بمصدق لنا • ولو كنا صادقين • من
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف • وجاؤا على قميصه بدم كذب • اي ذي
كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب

على الحال من الواو اي وجاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل
اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص
وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز
تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم
ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك • قال بل سولت لكم
انفسكم امرا • اي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول
وهو الاسترخاء • فصبر جميل • اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق • والله المستعان على ما تصفون
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم
ان صح • وجاءت سيارة • رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب
وكان ذلك بعد ثلاثة من القائه فيه • فارسلوا واردهم • الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي • فادلى دلوه • فارسلها في الجب ليملاها
فتدلى بها يوسف فلما راه • قال يا بشرى هذا غلام • نادى البشرى بشارة
لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري
بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف • واسروه • اي الوارد
واصحابه من ساير الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء
لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه
كل يوم بالطعام فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا
ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه • بضاعة • نصب على
الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال
للتجارة • والله عليم بما يعملون • لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف
بابيهم واخيهم • وشروه • وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من
اخوته • بثمن بخس • مبخوس لزيفه او نقصانه • دراهم • بدل من الثمن • معدودة •

قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين
درهما وقيل اثنين وعشرين • وكانوا فيه • في يوسف • من الزاهدين • الراغبين
عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين
فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه
مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق
بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف
يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول • وقال الذي اشتراه
من مصر • وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان
الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل
كان فرعون موسى عاش اربع مائة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد
باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله
ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول
فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملأه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا • اكرمي مثواه • اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا
والمعنى احسني تعهده • عسى ان ينفعنا • في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في
مصالحنا • او نتخذه ولدا • نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك
قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره
وابو بكر حين استخلف عمر • وكذلك مكنا ليوسف في الارض • وكما مكنا محبته
في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له
فيها • ولنعلمه من تاويل الاحاديث • عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها
بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر
امور الناس ويعلم معاني كتاب الله تعالى واحكامه فينفذها او تعبير المنامات
المنبئة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل

لسنيه • والله غالب على امره • لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اذ
اراد به اخوته شيئا واراد الله تعالى غيره فلم يكن الا ما اراده • ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه • ولما بلغ اشده •
منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين
وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم • آتيناه حكما • حكمة وهو العلم المؤيد
بالعمل او حكما بين الناس • وعلما • يعني علم تاويل الاحاديث • وكذلك نجزي
المحسنين • تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه
في عنفوان امره • وراودته التي هو في بيتها عن نفسه • طلبت منه وتمحلت
ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد • وغلقت
الابواب • قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق • وقالت
هيت لك • اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح
كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها بحيث
ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت
كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته • قال معاذ
الله • اعوذ بالله معاذا • انه • ان الشان • ربي احسن مثواي • سيدي قطفير
احسن تعهدي او قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل
الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه
• انه لا يفلح الظالمون • المجاوزون الحسن بالقبح وقيل الزناة فان الزنى ظلم
على الزاني والمزني باهله • ولقد همت به وهم بها • قصدت مخالطته وقصد
مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء
امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك
مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف
الله • لولا ان راى برهان ربه • في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة
وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط

فلا تتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه هو وقيل راى جبريل وقيل
تمثل له يعقوب عاضا على اناملة وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب
في الانبيا وتعمل عمل السفها ❁ كذلك ❁ مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر
مثل ذلك ❁ لنصرف عنه السوء ❁ خيانة السيد ❁ والفحشا ❁ الزنا ❁ انه من عبادنا
المخلصين ❁ الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا دينهم لله ❁ واستبقا الباب ❁ اي تسابقا
الي الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدا وذلك ان يوسف فر منها ليخرج
واسرعت وراه لتمنعه الخروج ❁ وقدت قميصه من دبر ❁ اجتذبته من ورائه
فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا ❁ والفيا سيدها ❁ وصادفا
زوجها ❁ لدى الباب قالت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن او عذاب
اليم ❁ ايهاما بانها فرت منه تبرية لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف
واغراوه به وانتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شي جزاوه الا السجن
❁ قال هي راودتني عن نفسي ❁ طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له
من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله ❁ وشهد شاهد من اهلها ❁ قيل
ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة
صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله تعالى
الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ❁ ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين ❁ لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه
اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه ❁ وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين ❁ لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية
محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت موداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك
امنن عليك باحساني السابق وقرى من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة
كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين

فلما

❁ فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ❁ ان قولك ما جزا من اراد باهلك سوا او ان
السوا او ان هذا الامر ❁ من كيدكن ❁ من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر
النسا ❁ ان كيدكن عظيم ❁ فان كيد النسا الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا
في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة ❁ يوسف ❁
حذف منه حرف الندا لقربه وتفطنه للحديث ❁ اعرض عن هذا ❁ اكتمه ولا
تذكره ❁ واستغفري لذنبك ❁ يا راعيل ❁ انك كنت من الخاطئين ❁ من القوم
المذنبين من خطا اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب ❁ وقال نسوة ❁ هي اسم
لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون
لغة فيها ❁ في المدينة ❁ ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب ❁ امراة
العزيز تراود فتاها عن نفسه ❁ تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان
العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة ❁ قد شغفها حبا ❁ شق
شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الي فوادها حبا ونصبه على التمييز لصرف
الفعل عنه وقرى شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه
❁ انا لنراها في ضلال مبين ❁ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب ❁ فلما سمعت
بمكرهن ❁ باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او
قلن ذلك ليرين يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
❁ ارسلت اليهن ❁ تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس ❁ واعتدت
لهن متكا ❁ ما يتكين عليه من الوسائد ❁ واتت كل واحدة منهن سكينا ❁ حتى يتكين
والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع
ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها بمكرهن اذا خرج
وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكيون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل
❁ فظللنا بنعمة واتكانا ❁ وشربنا الحلال من قلله ❁ وقيل المتكا طعام يحز حزا
كان القاطع يتكي عليه بالسكين وقرى متكا بحذف الهمزة ومتكا باشباع الفتحة

متكأ ومُتْكاً وهو الاترج او ما يقطع من متك الشي اذا بتكه ومُتَكا من مَتِكَ بمعنى بتك اذا اتكا. وقالت اخرج عليهن فلما رايته اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفايق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والها ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي. خف الله واستر ذا الجمال ببرقع. فان لحت حاضت في الخدور العواتق. وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة. وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثنا فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى برا الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار في ناحية لله مما يتوهم فيه. ما هذا بشرا. لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم. ان هذا الا ملك كريم. فان الجمع بين الجمال الرايق والكمال الفايق والعصمة البالغة من خواص الملايكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه. اى فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه. ولقد راودته عن نفسه فاستعصم. فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته. ولئن لم يفعل ما آمره. اى ما امر به فحذف الجار او امرى اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف. ليسجنن وليكونا من الصاغرين. الاذلا وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو مخالف

خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كلنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين. قال رب السجن. وقرا يعقوب بالفتح على المصدر. احب الي مما يدعونني اليه. اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر. والا تصرف عني وان لم تصرف عني. كيدهن. في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة. اصب اليهن. اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوا ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق. واكن من الجاهلين. من السفها بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سوا. فاستجاب له ربه. فاجاب الله دعاه الذي تضمنه قوله والا تصرف. فصرف عنه كيدهن. فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان. انه هو السميع. لدعاء الملتجئين اليه. العليم. باحوالهم وما يصلحهم. ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات. ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النسا ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره. ليسجننه حتى حين. وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتا على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل. ودخل معه السجن فتيان. اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه. قال احدهما. يعني الشرابي. اني اراني. في المنام وهي حكاية حال ماضية. اعصر خمرا. اي عنبا وسماه بما يؤل اليه. وقال الآخر. اي الخباز. اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل

اي عنبا سماه بما يؤل اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراة ابن مسعود اعصر عنبا

الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون
تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس
ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رأينا
ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل
ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل
ان يسعف الى ما سألا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء
في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على
صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني
ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك
جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على
اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان
نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا
بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن
اكثر الناس اي المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا
ينتبهون اليه او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات
ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا
يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على
الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ارباب متفرقون شتى متعددة
متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب
الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان الا اشياء

باعتبار

باعتبار اسامٍ اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم
لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه
الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون
عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله فانه المستحق لها بالذات من حيث انه
الواجب لذاته والموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا
تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا
تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين
لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن
على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة
اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم
والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي
فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه من قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر
يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول
اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة
ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن
اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند
ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير
ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد
وان كانت مشمولة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع

محمودة

والاكثرون على انه لبث فيه سبع سنين اهـ

من كان على انها كانت محمودة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء لانهم ياخذون بالعزائم

من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل
فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبع اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما
استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز
لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه
يا ايها الملا افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي
مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا
واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام
كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل تعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا
للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشيا مختلفة
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية
للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله
فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى
يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه
جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا

ذلك

ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن معه او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن
لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك او مكانك وانما لم يبت الكلام فيهما
لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم قال تزرعون سبع سنين
دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما
مصدر داب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله
فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة
عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع
شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند
اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون
من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب
والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء
على تغليب المستفتي وقرئ على بنا المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون
المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم
فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد
ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما في السنين المخصبة في السنين
المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتها الجدب بالخصب او بان السنة الالهية
على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه
الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاساله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص
حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به
الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة

وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم يقل فسله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على
البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للادب وقرى النسوة بضم النون • ان ربي بكيدهن عليم • حين قلن لي اطع مولاتك
وفيه تعظيم لكيدهن والاستشهاد بعلم الله تعالى عليه وعلى انه بري مما قذف به
والوعيد لهن على كيدهن • قال ما خطبكن • قال الملك لهن ما شانكن والخطب
امر يحق ان تخاطب فيه صاحبه • اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله •
تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله • ما علمنا عليه من سوء • من ذنب
• قالت امراة العزيز الان حصحص الحق • ثبت واستقر من حصحص البعير اذا
القى مباركه ليناخ قال • فحصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم
صمما • او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهر بشرة راسه وقرى
على البنا للمفعول • انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين • في قوله هي راودتني
عن نفسي • ذلك ليعلم • قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك
التثبت ليعلم العزيز • اني لم اخنه بالغيب • بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او
المفعول اي لم اخنه وانا غايب عنه او هو غايب عني او ظرف اي بمكان الغيب
وراء الاستار والابواب المغلقة • وان الله لا يهدي كيد الخاينين • لا ينفذه و
لا يسدده او لا يهدي الخاينين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه
تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتاكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله • وما
ابري نفسي • اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب
بحاله بل اظهار ما انعم الله تعالى عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك
• ان النفس لامارة بالسوء • من حيث انها بالطبع مايلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل
القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات • الا ما رحم ربي • الا وقت رحمة ربي او
الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه الله من ذلك وقيل الاستثنا منقطع اي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس
يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام • ان

ربي

ربي غفور رحيم • يغفر هم النفس ويرحم من يشا بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه
المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه • وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي • اجعله خالصا لنفسي • فلما كلمه • اي فلما اتوا به فكلمه
وشاهد منه الرشد والدهاء • قال انك اليوم لدينا مكين • ذو مكانة ومنزلة
• امين • موتمن على كل شي روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي
وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بها فتعجب منه فقال احب
ان اسمع روياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه
منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذرا وولد له منها افرايم وميشا • قال
اجعلني على خزاين الارض • ولني امرها والارض ارض مصر • اني حفيظ • لها ممن لا
يستحقها • عليم • بوجوه التصرف فيها ولعله عليه الصلاة والسلام لما راى انه
يستعمله في امره لا محالة اثر ما تعم فوايده وتجل عوايده وفيه دليل على جواز طلب
التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى
اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على
يده • وكذلك مكنا ليوسف في الارض • ارض مصر • يتبوا منها حيث يشا • ينزل من
بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشا بالنون • نصيب برحمتنا من نشا • في الدنيا
والاخرة • ولا نضيع اجر المحسنين • بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا • ولاجر
الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون • الشرك والفواحش لعظمه ودوامه
• وجاء اخوة يوسف • روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر
والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم
يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم
برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الامر امرك فاعتقهم

وردعليهم اموالهم وكان قداصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب
بنيه غير بنيامين اليه للميرة ٭ فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ٭ اي عرفهم
يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم
اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله التي فارقوه وقلة
تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ٭ ولما جهزهم بجهازهم ٭ اصلحهم
بعدتهم واوقر ركايبهم لما جاوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد
السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقري بجهازهم
بالكسر ٭ قال ايتوني باخ لكم من ابيكم ٭ روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما
امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من
الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية
فهلك فقال كم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زايدا لاخ لهم
من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم ٭ الا ترون اني اوف
الكيل ٭ اتمه ٭ وانا خير المنزلين ٭ للضيف والمنصفين بهم وكان احسن انزالهم
وضيافتهم ٭ فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ٭ اي لا تقربوني
ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء ٭ قالوا سنراود عنه
اباه ٭ سنجتهد في طلبه من ابيه ٭ وانا لفاعلون ٭ ذلك لا نتوانى فيه ٭ وقال
لفتيته ٭ لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على
جمع الكثرة ليوافق قوله ٭ اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ٭ فانه وكل بكل رحل واحدا
يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك
توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان
لا يكون عندهم ما يرجعون به ٭ لعلهم يعرفونها ٭ لعلهم يعرفون حق ردها
او لكي يعرفوها ٭ اذا انقلبوا الى اهلهم ٭ وفتحوا اوعيتهم ٭ لعلهم يرجعون ٭

لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ٭ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا
الكيل ٭ حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين ٭ فارسل معنا اخانا نكتل ٭
نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده
الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا ٭ وانا له لحافظون ٭ قال الله
خير حفظا ٭ فاتوكل عليه وافوض امري اليه ٭ وهو ارحم الراحمين ٭ فارجوا
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز
وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا
وقري خير حافظ وخير الحافظين ٭ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم ٭ وقري ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل ٭ قالوا
يا ابانا ما نبغي ٭ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في
القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقري ما تبغي على الخطاب اي اي
شي تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا ٭ هذه بضاعتنا ردت
الينا ٭ استيناف موضح لقولهم ما نبغي ٭ ونمير اهلنا ٭ معطوف على محذوف
اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ٭ ونحفظ اخانا ٭
عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ٭ ونزداد كيل بعير ٭ وسق بعير باستصحاب
اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك
واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ٭ ذلك كيل يسير ٭ اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل
لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شي قليل لا يضايقنا فيه
الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شي يسير
لا يخاطر لمثله بالولد ٭ قال لن ارسله معكم ٭ اذ رايت منكم ما رايت ٭ حتى
تؤتوني موثقا من الله ٭ حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا موكدا
بذكر الله ٭ لتاتنني به ٭ في تاويل النفي جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا

بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم، الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان
يُهلكوا جميعا وهو استثنا مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال
الا حال الاحاطة بكم او هو من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي
لا تمنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم لقولهم اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب الا فعلك، فلما اتوه موثقهم، عهدهم، قال الله على ما نقول، من
طلب الموثق واتيانه، وكيل، رقيب مطلع، وقال يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة، لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين
في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ
او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذي يدل عليه
قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من
كل نفس هامة وعين لامة، وما اغني عنكم من الله من شيء، مما قضي عليكم بما
اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر، ان الحكم الا لله، يصيبكم لا محالة
ان قضي عليكم سوا ولا ينفعكم ذلك، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين في عطف الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف
والفا لافادة التسبيب فان فعل الانبيا سبب لان يقتدي بهم، ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم، اي من ابواب متفرقة في البلد، ما كان يغني عنهم
راي يعقوب واتباعهم له، من الله من شيء، مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسُرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع في رحله وتضاعفت المصيبة على
على يعقوب، الا حاجة في نفس يعقوب، استثنا منقطع اي ولكن حاجة
في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته ان يعانوا، قضاها، اظهرها ووصى
بها، وانه لذو علم لما علمناه، بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم
من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره، ولكن اكثر الناس لا يعلمون، سر القدر
وانه لا يغني عنه الحذر، ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه، ضم اليه
بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي

بنيامين

بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على
مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده
وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن
لم يلدك يعقوب ولا راحيل، قال اني انا اخوك فلا تبتئس، فلا تحزن
افتعال من البوس، بما كانوا يعملون، في حقنا، فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
المشربة، في رحل اخيه، قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت
تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقري وجعل على
حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا، ثم اذن مؤذن، نادى مناد
ايتها العير انكم لسارقون، لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية
والندا عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم
لسارقون والعير القافلة وهي اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد
فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير
واصله فُعُل كسُقُف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير
لكل قافلة، قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون، اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة
الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقري تُفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا، قالوا نفقد صواع الملك، وقري صاع وصوع بالفتح والضم والعين
والغين وصواغ من الصياغة، ولمن جا به حمل بعير، من الطعام جعلا له، وانا
به زعيم، كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل
تمام العمل، قالوا تالله، قسم فيه معنى التعجب والتا بدل من البا مختصة
باسم الله تعالى، لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين، استشهدوا
بعلمهم على براة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل
على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد، قالوا فما جزاؤه، فما جزاء السارق او السرق او الصواع
على حذف المضاف، ان كنتم كاذبين، في ادعائكم البراة، قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه، اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا

ويكال بها الحبوب وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقيل من
فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت انا مستطيلة
تشبه المكوك الفارسي
الذي يلتقي طرفاه
يستعمله الاعاجم و
قيل كانت مرصعة
بالجواهر [illegible]

هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفا
لتضمنه معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على
اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو
كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المأذون وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية
او الصواع لانه يذكر ويونث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة
كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم
ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل
ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي
لكن اخذه بمشية الله تعالى واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا
درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى
عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له
العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص
قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل
ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب
اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه ثم اظهرت ضياعها
فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان
لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها
ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها
كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل
من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة بسرقتكم
اخاكم او في سوء الصنع فيما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه

قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم انتهى

نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم
ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن
والقدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان
اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه
انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله تعالى اذن ان اخذ من
وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته وزيادة السين والتا
للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه
مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم
في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل تحليفهم بالله موثقا منه
لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل من قبل هذا ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم
ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون
موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم
الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقابلة معهم لتخليصه
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او
لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب
احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد

لبزوامن بيزو ولد يعقوب • وهو خير الحاكمين • لان حكمه لا يكون الا بالحق ٥
• ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق • على ما شاهدنا من ظاهر الامر
وقري سرق اي نسب الى السرقة • وما شهدنا • عليه • الا بما علمنا • بان راينا
ان الصواع استخرج من وعايه • وما كنا للغيب • حالبا ظن الحال • حافظين • فلا
ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر
حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف ٥
• واسال القرية التي كنا فيها • يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها
والمعنى ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة • والعير التي اقبلنا فيها • واصحاب
العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم • وانا لصادقون • تاكيد في محل القسم • قال
بل سولت • اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اي زينت وسهلت • لكم انفسكم امرا • اردتموه فقررتموه والا فما ادري الملك
ان السارق يوخذ بسرقته • فصبر جميل • اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل • عسى الله ان ياتيني بهم جميعا • بيوسف وبنيامين واخيهما الذي ٥
توقف بمصر • انه هو العليم • بحالي وحالهم • الحكيم • في تدبيره • وتولى عنهم • واعرض
عنهم كراهة لما صادف منهم • وقال يا اسفى على يوسف • اي يا اسفى على يوسف
تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم
وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزوهما لان رزءه كان قاعدة
المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته
وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا
امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
• وابيضت عيناه من الحزن • لكثرة بكايه من الحزن كان العبرة محقت سوادها
وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقري من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف
والبكا عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من ملك
نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم
وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك

يا ابراهيم

يا ابراهيم لمحزونون • فهو كظيم • مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه
لا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده
على ملايه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله
كظم البعير جرته ردها في جوفه • قالوا تالله تفتوا تذكر يوسف • اي لا تفتا ولا
تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله • فقلت يمين الله ابرح قاعدا •
لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم تكن معه علامة الاثبات كان على
النفي • حتى تكون حرضا • مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه
هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يونث ولا يجمع والنعت بالكسر
كدنف ودنف وقد قري به وبضمتين كجنب • او تكون من الهالكين • من الميتين
• قال انما اشكوا بثي وحزني • همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى
النشر • الى الله • لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي • واعلم من الله • من
صنعه ورحمته وانه لا تخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من
الالهام • ما لا تعلمون • من حياة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فساله
عنه فقال هو حي وقيل علم من رويا يوسف انه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا
• يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه • فتعرفوا منهما وتفحصوا عن
حالهما والتحسس تطلب الاحساس • ولا تياسوا من روح الله • لا تقنطوا
من فرجه وتنفسه وقري من روح اي من رحمته التي تحيي بها العباد • انه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون • بالله وصفاته فانه لا يقنط المسلم من
رحمته في شي من الاحوال • فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز • بعد ما رجعوا
الى مصر رجعة ثانية • مسنا واهلنا الضر • شدة الجوع • وجينا ببضاعة
مزجاة • ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه
تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضرا وقيل الاقط وسويق المقل • فاوف لنا الكيل • فاتمم لنا الكيل
• وتصدق علينا • برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما
يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبيا او تختص بنبينا عليه

الضر اي من شدة الجوع

الصلاة والسلام ان الله يجزي المتصدقين في احسن الجزا والتصدق والتفضل
مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هي صدقة تصدق الله تعالى
عليكم بها فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغي به ثواب من الله تعالى
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم
باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز
وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك
تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا
له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم
لان فعلهم كان فعل الجهال ولانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا
ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه
وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروايه وشمايله حين كلمهم به وقيل تبسم
فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضا وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي
ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي
بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير
للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله
علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين ان
والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا
تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق
بالتثريب او المقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي
هو مظنته فما ظنكم بساير الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جرمهم
حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير والكبائر

ويتفضل

ويتفضل على التايب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا
بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر
كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصي هذا القميص
الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على
وجه ابي يات بصيرا اي يرجع بصيرا او يصير بصيرا وايتوني انتم وابي
باهلكم اجمعين بنسايكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير خرجت
من مصر وعمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله
ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان
تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك
لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره
والتوقع للقايه فلما ان جاء البشير يهودا روي انه قال كما احزنته بحمل
قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير
القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما
انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني
لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن
حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر
لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم
فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قايما
يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل

وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك علي النبوة وهو
ان صح فدليل علي نبوتهم وانما صدر عنهم كان قبل استنبائهم • فلما دخلوا علي يوسف
روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسي ستماية الف وخمسماية وبضعة وسبعين
رجلا سوي الذرية والهرمي • اوى اليه ابويه • ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله تعالى واله ابايك ابراهيم واسماعيل
واسحق اولان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما • وقال ادخلوا
مصر ان شا الله امنين • من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة
بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين
استقبلهم • ورفع ابويه علي العرش وخروا له سجدا • تحية وتكرمة له فان
السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله تعالي
شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع موخر عن السجود وان قدم
لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما • قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها
ايام الصبي • قد جعلها ربي حقا • صدقا • وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم • وجاء بكم من البدو • من البادية لانهم
كانوا اصحاب المواشي واهل البدو • من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي •
افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض الدابة اذا نخسها وحملها علي الجري • ان ربي
لطيف لما يشا • لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته وتسهل
دونها • انه هو العليم • بوجوه المصالح والتدابير • الحكيم • الذي يفعل كل شئ
في وقته وعلي وجه يقتضي الحكمة وروي ان يوسف طاف بابيه عليه الصلاة
والسلام في خزاينه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك
هذه القراطيس وما كتبت الي علي ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله
قال انت ابسط مني اليه فساله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف
ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني • رب قد اتيتني من الملك • بعض الملك

وهو

وهو ملك مصر • وعلمتني من تاويل الاحاديث • الكتب والرويا ومن ايضا للتبعيض
لانه لم يوت كل التاويل • فاطر السموات والارض • مبدعهما وانتصابه علي انه
صفة المنادي او منادي براسه • انت وليي • ناصري ومتولي امري • في الدنيا
والاخرة • اي الذي تتولاني بالنعمة فيهما • توفني مسلما • اقبضني والحقني
بالصالحين • من ابايي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب
اقام معه اربعة وعشرين سنة ثم توفي واوصي ان يدفن بالشام الي
جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة
ثم تاقت نفسه الي الملك المخلد فتمني الموت فتوفاه الله تعالي طيبا طاهرا
فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتي هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الما ثم يصل الي مصر ليكونوا شرعا
فيه ثم نقله موسي عليه الصلاة والسلام الي مدفن ابايه وكان عمره ماية
وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون
ورحمة امراة ايوب • ذلك • اشارة الي ما ذكر من انبا يوسف والخطاب فيه
للرسول وهو مبتدا • من انباء الغيب نوحيه اليك • خبران له • وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون • كالدليل عليهما والمعني ان هذا انبا غيب
لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا علي ما هموا به
من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم
الذي لا يخفي علي مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما
حذف هذا النسق استغناء بذكره عن غير هذه القصة بقوله ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا • وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين • علي ايمانهم
وبالغت في اظهار الايات عليهم • بمومنين • لعنادهم وتصميمهم علي الكفر
• وما تسالهم عليه • علي الانبا او القران • من اجر • من جعل كما يفعله حملة
الاخبار • ان هو الا ذكر • عظة من الله تعالي • للعالمين • عامة • وكاين من اية
وكم من اية والمعني وكاي عدد من الدلايل الدالة علي وجود الصانع وحكمته وكمال
قدرته وتوحيده • في السموات والارض يمرون عليها • علي الايات ويشاهدون

ونا

وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على
انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير وعليها بالنصب على ويطئون
الارض وقرئ والارض تمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم
الهالكة وما يومن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم
مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبته التبني اليه او القول
بالنور والظلمة والنظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة
وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من
عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من
غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه
سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل
بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من اليا على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عميا انا تاكيد للمستتر في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدا
خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شا
ربنا لانزل ملايكة وقيل معناه نفي استنبا النسا يوحي اليهم كما يوحى اليك
ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة
والكسائي في سورة الانبيا من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من
اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او
الحياة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون
فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالتا حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استياس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تماديا يامهم فان من قبلهم
امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر

متفرهين

متفرهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل
اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل
الاول للمرسل اليهم والثاني للمرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما
وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم
اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على
سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد
كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبنا الفاعل اي وظنوا
انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم
نصرنا فنجي من نشاء النبي والمومنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين
يستاهلون ان يشا نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم
ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم
المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان للمستياسين لقد كان في قصصهم
في قصص الانبيا واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
عبرة لذوي العقول المبراة عن شوايب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا
يفترى ما كان القران حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من
الكتب الالهية وتفصيل كل شي يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا
وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال
بها خير الدارين لقوم يومنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ما من مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه الا هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد
مسلما **سورة الرعد** مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا
الاية واياها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله
اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى

ايانها اى تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران • والذي انزل اليك
من ربك • هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص
او احدي الصفتين على الاخري او الرفع بالابتدا وخبره • الحق • والجملة كالحجة
على الجملة الاولي وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا
فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل
بحسن اتباعه • ولكن اكثر الناس لا يومنون • لاخلالهم بالنظر والتامل فيه ۞
الله الذي رفع السموات • مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر
يدبر الامر • بغير عمد • اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم
وقري عمد كرسل • ترونها • صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برويتهم ۞
السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير
الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك
لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على
بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات • ثم استوي على العرش •
بالحفظ والتدبير • وسخر الشمس والقمر • ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة
على حد من السرعة تنفع في حدوث الكاينات وبقايها • كل يجري لاجل مسمي •
لمدة معينة يتم فيها دوره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت • يدبر الامر • امر ملكوته من الايجاد والاعدام
والاحيا والاماتة وغير ذلك • يفصل الايات • ينزلها ويبينها مفصلة
او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد • لعلكم بلقاء ربكم توقنون • لكي تتفكروا
فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها
قدر على الاعادة والجزا • وهو الذي مد الارض • بسطها طولا وعرضا لتثبت
عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان • وجعل فيها رواسي • جبالا ثوابت
من رسي الشي اذا ثبت جمع راسية والتا للتانيث على انه صفة اجبل او للمبالغة
• وانهارا • ضمها الي الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب
لتولدها • ومن كل الثمرات • متعلق بقوله • جعل فيها زوجين اثنين • اى وجعل

فيها

فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير • يغشي الليل النهار • يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد
ما كان مضيا وقرا حمزة والكساي وابو بكر يغشي بالتشديد • ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون • فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل
على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها • وفي الارض قطع متجاورات •
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح
للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على
وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث
انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع • وجنات من اعناب وزرع ۞
ونخيل • وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر
في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع ۞
عطفا على وجنات • صنوان • نخلات اصلها واحد • وغير صنوان • ومتفرقات
مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو • تسقي
بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل • في الثمر شكلا وقدرا ورايحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا تكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقي بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكساي يفضل بالياء ليطابق قوله
يدبر الامر • ان في ذلك لايات لقوم يعقلون • يستعملون عقولهم بالتفكر
• وان تعجب • يا محمد من انكارهم البعث • فعجب قولهم • حقيق بان يتعجب
منه فان من قدر على انشا ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شي عليه
والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة
من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته • ايذا كنا
ترابا اينا لفي خلق جديد • بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف
دل عليه اينا لفي خلق جديد • اوليك الذين كفروا بربهم • لانهم كفروا

بقدرته علي البعث، واوليك الاغلال في اعناقهم، مقيدون بالضلال لا يرجي
خلاصهم او يغلون يوم القيامة، واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون، لا
ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار، ويستعجلونك
بالسيية قبل الحسنة، بالعقوبة قبل العافيه وذلك انهم استعجلوا بما
هددوا به من عذاب الدنيا استهزا، وقد خلت من قبلهم المثلات، عقوبات
امثالهم من المكذبين فما بالهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم
والمثله بفتح الثا وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل العاقب عليه
ومنه المثال للقصاص وامتثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصت منه وقري
المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفا العين والمثلات بالتخفيف
بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم علي انها جمع مثله كركبه وركبات، وان
ربك لذو مغفرة للناس علي ظلمهم، مع ظلم انفسهم ومحله النصب علي الحال
والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل علي جواز العفو قبل التوبة فان
التايب ليس علي ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة لمجتنب
الكباير او اول المغفرة بالستر والامهال، وان ربك لشديد العقاب، للكفار
اولمن شا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش
ولولا وعيده وعقابه ما تكل كل احد، ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه، لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لما اوتي موسي
وعيسي عليهما الصلاة والسلام، انما انت منذر، مرسل للانذار كغيرك من الرسل
وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك
ولكل قوم هاد، نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الي
الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر علي هدايتهم وهو الله تعالي لكن لا يهدي
الا من يشا هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل علي كمال علمه وقدرته
وشمول قضايه وقدره تنبيها على انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل
لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر علي هدايتهم وانما لم
يهدهم لسبق قضايه عليهم بالكفر فقال، الله يعلم ما تحمل كل انثي، اي حملها

او ما تحمل به علي اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبه، وما تغيض الارحام
وما تزداد، وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصي مدة الحمل
اربع سنين وعندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ك
ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلا عدده لا حد له وقيل
نهاية ما عرف اربعه واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله تعالي عنه وقال
الشافعي رضي الله تعالى عنه اخبرني شيخ باليمن ان امراتي ولدت بطونا في كل
بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جا متعديا ولازما
وكذا ازداد قال الله تعالي وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان يكون
مصدرية واسنادهما الي الارحام علي المجاز فانهما لله او لما فيهما، وكل شي
عنده بمقدار، بقدر لا يتجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شي خلقناه
بقدر فانه تعالي خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة
اليه يقتضي ذلك وقرا ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين
في الوصل فاذا وقف وقف باليا في هذه الاربعة احرف حيث وقعت لا غير
والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير يا، عالم الغيب، الغايب عن
الحس، والشهادة، الحاضر له، الكبير، العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه
شي، المتعال، المستعلي علي كل شي بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين
وتعالي عنه، سوا منكم من اسر القول، في نفسه، ومن جهر به، لغيره، ومن
هو مستخف بالليل، طالب للخفا في مختبا بالليل، وسارب، بارز، بالنهار،
يراه كل واحد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف علي من او مستخف علي ان من
في معنى الاثنين لقوله، لكن مثل من ناديت مصطحبان، كانه قال سوا منكم
اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة
لكمال علمه وشموله، له، لمن اسر القول او جهر واستخفي او سرب، معقبات
ملايكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جا علي
عقبه كان بعضهم تعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه
او اعتقب فادغمت التا في القاف والتا للمبالغة او لان المراد بالمعقبات

جماعات وقري معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض اليا من احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم او اخر يحفظونه من
امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من
المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قري به وقيل من بمعنى البا وقيل
من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه من توهمه من قضا الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال
القبيحة واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما
دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السو وفيه
دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه
وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او
التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو واطلاق
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه
من ينفعه وينشي السحاب الغيم المنسحب في الهوا الثقال وهو جمع ثقيله
وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه
بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته
وعن بن عباس رضي الله تعالى عنهما سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال
ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملايكة من
خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشا فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة
الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما
لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعه
اخا لبيد وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذ عامر

بالمجادلة

بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول فقال اللهم
اكفنيهما بما شيت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله ورمى عامر بغدة فمات
في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت
وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدايه من محل بفلان اذا كاده
وعرضه الهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى
القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على
غير قياس ويعضده انه قري بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة لقوله فساعد
الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعا الحق فانه الذي يحق ان يعبد
او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويويده
ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما
من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم
يشعرا به محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق
وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين
يدعونهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام
فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشي من الطلبات
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الما ليبلغ فاه
يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعايه ولا يقدر
على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة
جدوى دعايهم لها بمن اراد ان يغترف الما ليشربه فبسط كفيه ليشربه
وقري تدعون بالتا وباسط بالتنوين وما دعا الكافرين الا في ضلال
في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها

يحتمل ان يكون السجود علي حقيقته فانه تسجد له الملايكة والمومنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخا والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاوا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال
او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل
الغدو مصدر ويويده انه قري والايصال وهو الدخول في الاصيل قل
من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم
بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم
الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد
عن مقتضى العقل اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان
يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع
الضر عنه وهو دليل ثان علي ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اوليا رجاء
ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم
والمعبود المطلع علي احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك
والتوحيد وقرا حمزة والكساي وابو بكر باليا ام جعلوا لله شركا بل جعلوا
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء
خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هولا خلقوا كما خلق الله سبحانه
فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون
علي ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه قل الله خالق كل شي لا خالق
غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها
ثم نفي من سواه ليدل علي قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب

علي كل شيء انزل من السما ماء من السحاب او من جانب السما او من السما نفسها فان
المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الما
فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للما الجاري فيه وتنكيرها لان المطر
ياتي علي تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع
غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد
وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات
كالذهب والفضة والحديد والنحاس علي وجه التهاون اظهارا لكبريايه
ابتغا حلية طلب حلي او متاع كالاواني والات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الما
وهو خبثه ومن للابتدا او التبعيض وقرا حمزة والكساي وحفص باليا علي
ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق
والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالما الذي ينزل من السما فتسيل
به الاودية علي قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث
في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض
الي العيون والقني والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ
الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه
وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفا جفا به
اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه علي الحال وقري جفالا والمعنى
واحد واما ما ينفع الناس كالما وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع
به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا
للمومنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم
يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب علي انه جعل ضرب المثل
لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة
والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به وهو علي الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين

اوليك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر
منه شي وماواهم مرجعهم جهنم وبيس المهاد المستقر
والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب
كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع
شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو
العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد
الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما
عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله
به ان يوصل من الرحم وموالاة المومنين والايمان بجميع الانبيا ويندرج
في ذلك مراعات حقوق جميع الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا
على ما تكرهه النفس وتخالفه الهوى ابتغا وجه ربهم طلبا لرضاه لا فخرا
وسمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه
الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
به ويدرون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساة
بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اوليك لهم عقبى الدار
عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مال اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات
ان رفعت بالابتدا وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما
استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره
يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة
ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما
ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة
تعلوا بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقترن بعضهم ببعض

لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح
دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع والملايكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قايلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان
الخبر فاصل والبا للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقري فنعم
بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفا وبغيره والذين
ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاقرار والقبول من بعد ما اوثقوه به من الاقرار ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اوليك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى
الدار الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل
مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة في جنب
الاخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم
سروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا
بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشا باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات
ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى
التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشا ممن
كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدايهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من
اناب بما جيت به بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر
مبتدا محذوف وتطمين قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجا
منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلايله الدالة على وجوده
ووحدانيته او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمين القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياوه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب

كبشري وزلفي ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قري وحسن ماب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شي رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقراه او فتسمع وتجيب عند قراته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ ها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابايينا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شي وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات لكن الارادة لم تتعلق بذلك لعلمه لانه لا يلين به شكيمتهم ويويد ذلك قوله افلم ييايس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قروا

افلم

افلم يتبين هو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميايوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدي بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدايهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييايس الذين امنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفرة مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يكون تحل خطابا للرسول فانه عليه الصلاة والسلام حل بجيشه قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزي برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزيين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قايم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شي من اعمالهم ولا يفوت عنده شي من جزايهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركا استيناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او عطف على الخبر المقدر للمبتدا اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركا فلم يوحدوه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هولاء الشركا لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون به الشركة ام تنبيونه بل اتنبيونه وقري تنبيونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركا يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شي ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركا بظاهر

من القول من غير حقيقة واعتبار معني كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج
بليغ علي اسلوب عجيب ينادي علي نفسه بالاعجاز ◦ بل زين للذين كفروا مكرهم
تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم ◦ وصدوا
عن السبيل ◦ سبيل الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح
اي وصدوا الناس عن الايمان وقري بالكسر وصد بالتنوين ◦ ومن يضلل الله
يخذله ◦ فما له من هاد ◦ يوفقه للهدي ◦ لهم عذاب في الحياة الدنيا ◦ بالقتل
والاسر وساير ما يصيبهم من المصايب ◦ ولعذاب الاخرة اشق ◦ لشدته ودوامه
◦ وما لهم من الله ◦ من عذابه او رحمته ◦ من واق ◦ حافظ ◦ مثل الجنة التي وعد المتقون
صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ◦ تجري من تحتها الانهار ◦ علي طريقة قولك
صفة زيد اسمر او علي حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
او علي زيادة المثل وهو علي قول سيبويه حال من العايد المحذوف من الصلة اكلها
دايم لا ينقطع ثمرها ◦ وظلها ◦ اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس
◦ تلك ◦ اي الجنة الموصوفة ◦ عقبى الذين اتقوا ◦ مالهم ومنتهى امرهم ◦ وعقبى
الكافرين النار ◦ لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
◦ والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ◦ يعني المسلمين من اهل الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية من اليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ◦ ومن الاحزاب ◦ يعني كفرتهم الذين تحزبوا علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
واشياعهما ◦ من ينكر بعضه ◦ وهو ما يخالفهم او ما يوافق ما حرفوه منها
◦ قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به ◦ جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله تعالى واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الي
انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب
الالهية في جزئيات الاحكام وقري ولا اشرك بالرفع علي الاستيناف ◦ اليه

ادعوا ◦ لا الي غيره ◦ واليه مآب ◦ واليه مرجعي للجزاء لا الي غيره وهذا هو القدر
المتفق عليه بين الانبيا فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار
والامم فلا معنى لانكارهم المخالفة فيه ◦ وكذلك ◦ ومثل ذلك الانزال المشتمل
علي اصول الديانات المجمع عليها ◦ انزلناه حكما ◦ يحكم في القضايا والوقايع بما
تقتضيه الحكمة ◦ عربيا ◦ مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه
وانتصابه علي الحال ◦ ولئن اتبعت اهواءهم ◦ التي يدعونك اليها لتقرير دينهم
والصلاة الي قبلتهم بعد ما حولت عنها ◦ بعد ما جاءك من العلم ◦ بنسخ ذلك
◦ ما لك من الله من ولي ولا واق ◦ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم
وتهييج للمومنين علي الثبات في دينهم ◦ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ◦ بشرا
مثلك ◦ وجعلنا لهم ازواجا وذرية ◦ نساء واولادا كما هي لك ◦ وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ◦ ان ياتي باية ◦ يقترح عليه وحكم يلتمس منه
◦ الا باذن الله ◦ فانه المليء بذلك ◦ لكل اجل كتاب ◦ لكل وقت وامد حكم يكتب
يثبت علي العباد ما يقتضيه استصلاحهم ◦ يمحو الله ما يشاء ◦ ينسخ ما
يستصوب نسخه ◦ ويثبت ◦ ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو السيات
التائب او يثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به
جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما راه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا
ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات وقرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد ◦ وعنده ام الكتاب ◦ اصل اللوح المحفوظ
اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه ◦ وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتو
وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله ◦ فانما

فينك ◦

عليك البلاغ ◦ لا غير ◦ وعلينا الحساب ◦ للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه ◦ اولم يروا انا ناتي
الارض ◦ ارض الكفرة ◦ ننقصها من اطرافها ◦ بما نفتحه علي المسلمين منها
◦ والله يحكم لا معقب لحكمه ◦ لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشي بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم

للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين لايمكن تغييره ومحل لا
مع المنفي النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه • وهو سريع الحساب : فيحاسبهم
عما قليل في الاخرة بعد ماعذبهم بالقتل والاجلا في الدنيا • وقد مكر الذين
من قبلهم : بانبيايهم والمومنين منهم • فلله المكر جميعا : اذ لا يوبه بمكر دون مكره
فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره • يعلم ماتكسب كل نفس : فيعد
جزاها • وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار : من الحزبين حيث ما ياتيهم العذاب
المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على
ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو والكافر على ارادة الجنس وقرى الكافرون والذين كفروا
والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره • ويقول الذين كفروا لست
مرسلا : قيل المراد بهم روسا اليهود • قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم : فانه
اظهر من الادلة على رسالتي ما نغني عن شاهد يشهد عليها • ومن عنده علم
الكتاب : علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن
سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي وكفى بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا
ويويده قراة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف
فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين
للثانية وقري ومن عنده علم على الجر والبنا للمفعول عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد
الله تعالى

سورة ابراهيم مكية وهي احد وخمسون اية • بسم الله الرحمن
الرحيم الر كتاب : اي هو كتاب • انزلناه اليك لتخرج الناس : بدعايك اياهم
الى ما تضمنه • من الظلمات : من انواع الضلال • الى النور : الى الهدي • باذن
ربهم : بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو
صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله • الى صراط العزيز الحميد : بدل من قوله

الي النور

الي النور بتكرير العامل او استينافا على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط
الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه
لا يذل سالكه ولا تخيب سالكه • الله الذي له ما في السموات وما في الارض :
على قراة نافع وابن عامر مبتدا وخبر والله مخذوف والذي صفته وعلى قراة
الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق •
• وويل للكافرين من عذاب شديد : وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من
الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه
مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات • الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الاخرة : يختارونها عليها فان المختار للشي يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره • ويصدون عن سبيل الله : بتعويق الناس عن
الايمان وقري ويصدون من اصده وهو معقول من صد صدودا اذا تنكب
وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية • ويبغونها عوجا : ويبغون
لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتدا خبره
• اوليك في ضلال بعيد : اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة
للضال ووصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته
• وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه : الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث
فيهم • ليبين لهم : ما امروا به فيفقهون عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه
لغيرهم فانه اولى الناس اليه بان تدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي
صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة
كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة
فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب
القرايح وكذا النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرى بلسن
وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد
وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها

بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله
ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل ليبين للعرب
فيضل الله من يشا فيخذله عن الايمان ويهدي من يشا بالتوفيق له وهو
العزيز فلا يغلب عن مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد
ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصاه وساير معجزاته ان اخرج قومك من
الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان
صيغ الافعال سوا في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل
بنعمايه وبلايه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلايه ويشكر لنعمايه
فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلا وافيض عليه من النعما اعتبر وتنبه لما
تجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مومن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها
على ان الصبر والشكر عنوان المومن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجايه اياكم ويجوز ان تنصب
بعليكم ان جعلت مستقرة مفسرة غير صلة لنعمة وذلك اذا اردت بها العطية
دون الانعام ويجوز ان تكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سو
العذاب ويذبحون ابناكم ويستحيون نساكم احوال من ال فرعون او من ضمير
المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس
العذاب او استبعادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه
باقدار الله اياهم وامهاله لهم فيه بلا من ربكم عظيم ابتلا منه ويجوز ان يكون
الاشارة الى الانجا والمراد بالبلا النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى
وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لين شكرتم يا بني اسرايل ما انعمت عليكم من الانجا وغيره بالايمان
والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولين كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي
اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد

ويعرض

ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى
قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من
الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده
الملايكة وتنطق بنعمة درات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتوها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبو
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف على
ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك
قال ابن مسعود كذب النسابون جاتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في
افواههم فعضوها غيظا مما جات به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل
من الغيظ ووضعوها عليها تعجبا منه او استهزا عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا
للانبيا وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من
قولهم انا كفرنا تنبيها على انه لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبيا يمنعونهم
عن التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي ردوا ايادي
الانبيا التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرايع في افواههم لانهم اذا
كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جات منه قالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقري تدعونا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمين
الى الشي قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام
في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة
الادلة وظهور دلالتها عليه اشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات
والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان
ببعثه ايانا ليغفر لكم اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني
على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جي بمن في خطاب الكفرة

دون المومنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة
حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المومنين
مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم
• ويوخركم الى اجل مسمي • الى وقت سماه الله تعالى وجعله اخر اعماركم • قالوا ان
انتم الا بشر مثلنا • لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شا الله ان
يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل • تريدون ان تصدونا عما كان يعبد
اباونا • بهذه الدعوي • فاتونا بسلطان مبين • يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزية او على صحة ادعايكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاوا به من البينات
والحجج واقترحوا عليهم اخري تعنتا ولجاجا • قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشا من عباده • سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطا
وان ترجيح بعض الجايزات على بعض بمشية الله تعالى • وما كان لنا ان ناتيكم
بسلطان الا باذن الله • اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا نستبد به استطاعتنا
حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشية الله تعالى فيخص كل بنوع
من الايات • وعلى الله فليتوكل المومنون • فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا الا تري قوله • وما لنا الا نتوكل على الله • اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل • وقد
هدانا سبلنا • التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف
هاهنا وفي العنكبوت • ولنصبرن على ما اذيتمونا • جواب قسم محذوف اكدوا
به توكلهم وعدم مبالاتهم لما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم • وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا • حلفوا ان يكون احد
الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم
يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا
الجماعات على الواحد • فاوحى اليهم ربهم • الى رسلهم • لنهلكن الظالمين • على اضمار

القول

القول واجرا الايحا مجراه لانه نوع منه • ولنسكننكم الارض من بعدهم • اي ارضهم
وديارهم لقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها وقري ليهلكن وليسكننكم باليا اعتبارا لاوحي كقولك اقسم زيد
ليخرجن • ذلك • اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المومنين
• لمن خاف مقامي • موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة
او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم • وخاف وعيد • اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار • واستفتحوا • سالوا الله الفتح على اعدايهم
او القضا بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة لقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على فاوحي والضمير للانبيا وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان
كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقري بلفظ الامر عطفا على لنهلكن
• وخاب كل جبار عنيد • اي ففتح لهم فافلح المومنون وخاب كل عات متكبر على الله
معاند للحق فلم يفلح اذ المعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوقع • من ورايه جهنم • اي من بين يديه فانه مرتكز بها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته
ما توارى عنك • ويسقى من ماء • عطف على محذوف تقديره من ورايه جهنم يلقى
فيها ما يلقى ويسقى من ماء • صديد • عطف بيان لما وهو ما يسيل من جلود اهل
النار • يتجرعه • يتكلف جرعه جرعة وهو صفة لما او حال من الضمير في يسقى
• ولا يكاد يسيغه • ولا يتقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به
فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس • وياتيه
الموت من كل مكان • اي اسبابه من الشدايد فيحيط به من جميع الجهات وقيل
من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله • وما هو بميت • فيستريح
• ومن ورايه • ومن بين يديه • عذاب غليظ • اي يستقبل في كل وقت عذابا
اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية
منقطعة عن قصة الرسل نازلة في حق اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في
سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاهم فلم يسقهم ووعد لهم ان

يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار • مثل الذين كفروا بربهم • مبتدا
خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله • اعمالهم
كرماد • وهو على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل
والخبر كرماد • اشتدت به الريح • حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع الرياح
• في يوم عاصف • العصوف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم
نهاره صايم وليله قايم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة
الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها بذهابها على غير
اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح
العاصفة • لا يقدرون • يوم القيامة • مما كسبوا على شيء • لحبوطه فلا يرون
له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل • ذلك • اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم
انهم محسنون • هو الضلال البعيد • فانه الغاية في البعد عن طريق الحق • الم تر •
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة
على التلوين • ان الله خلق السموات والارض بالحق • بالحكمة والوجه الذي يحق
ان يخلق عليه وقرا حمزة والكساي خالق السموات • ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد • يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم
ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع
عليه كما قال • وما ذلك على الله بعزيز • بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته
ولا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يومن به
ويعبد رجا لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزا • وبرزوا لله جميعا • اي يبرزون
من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون
ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه • فقال الضعفا •
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتب بالواو على لفظ من تفخم
الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو • للذين استكبروا • لروسايهم الذين استتبعوهم

واستغووهم

واستغووهم • انا كنا لكم تبعا • في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو
جمع تابع كغايب وغيب وهو مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف
• فهل انتم مغنون عنا • دافعون عنا • من عذاب الله من شيء • من الاولى للبيان
واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض شيء هو
بعض عذاب الله تعالى والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا
والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغنا • قالوا • اي
الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم • لو هدانا
الله • للايمان ووفقنا له • لهديناكم • ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما
اخترنا لانفسنا ولو هدانا الله تعالى طريق النجاة عن العذاب لهديناكم
واغنيناه عنكم كما عرضناه لكم لكن سد دينا طرق الخلاص • سوا علينا اجزعنا
ام صبرنا • مستويان علينا الجزع والصبر • ما لنا من محيص • منجا ومهرب
من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا
كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سوا علينا بكلام الفريقين
ويويده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا • وقال الشيطان •
لما قضي الامر • احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في
الاشقيا من الثقلين • ان الله وعدكم وعد الحق • وعدا من حقه ان ينجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء • ووعدتكم • وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا
حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم • فاخلفتكم • جعل تبين خلف وعدي
كالاخلاف منه • وما كان لي عليكم من سلطان • من تسلط فالجيكم الى الكفر والمعاصي
• الا ان دعوتكم • الا دعاي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم • تحية بينهم ضرب وجيع • ويجوز ان يكون الاستثنا منقطعا
• فاستجبتم لي • اسرعتم اجابتي • فلا تلوموني • بوسوستي فان من صرح العداوة
لا يلام بامثال ذلك • ولوموا انفسكم • حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم احتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله

وليس فيها ما يدل عليه او يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله
وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا • ما انا بمصرخكم • بمغيثكم من العذاب • وما انتم
بمصرخي • بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقا الساكنين وهو اصل
مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع حركة يا الاضافة
المفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها او على لغة من يزيد
يا على يا الاضافة اجرا لها مجري الها والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف
اليا اكتفا بالكسرة • اني كفرت بما اشركتموني من قبل • ما اما مصدرية ومن
متعلقة باشركتموني اي لفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي
في الدنيا بمعنى تبرات منه واستنكرته لقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت
اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى لطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه
من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم عم
واشرك مفعول من شرك زيد للتعدية الى مفعول ثان • ان الظالمين لهم
عذاب اليم • تتمة كلامه او ابتدا كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف
للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم • وادخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
باذن الله وامره والمدخلون لهم الملايكة وقرى ادخل على التكلم فيكون قوله
باذن ربهم متعلقا بقوله • تحيتهم فيها سلام • اي تحييهم الملايكة بالسلام
باذن ربهم • الم تر كيف ضرب الله مثلا • كيف اعتمده ووضعه • كلمة طيبة كشجرة
طيبة • اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي
كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجرا لها مجري جعل وقد قريت بالرفع على
الابتدا • اصلها ثابت • في الارض ضارب بعروقه فيها • وفرعها • واعلاها • في
السما • ويجوز ان يريد فروعها اي افنانها على الاكتفا بلفظ الجنس لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة وقرى ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه

اوي

اوي ولعل الثاني ابلغ • توتي اكلها • تعطي ثمرها • كل حين • وقته الله تعالى لاثمارها
• باذن ربها • بارادة خالقها وتكوينه • ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادنا لها من الحس • ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة • كمثل شجرة خبيثة • اجتثت • استوصلت
واخذت جثته بالكلية • من فوق الارض • لان عروقها قريبة منه • ما لها من قرار •
استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد
ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعا الى
الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بها ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن
حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة
الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة
والمشكوث ولعل المراد بها ايضا ما يعم ذلك • يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت • الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم • في الحياة الدنيا فلا يزلون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود • وفي الاخرة • فلا يتلعثمون اذا سيلوا عن معتقدهم في الموقف
ولا تدهشهم اهوال القيامة روي انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح
المومن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره
ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت • ويضل الله الظالمين • الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
• ويفعل الله ما يشا • من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه
• الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا • اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه
او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها
محصلين للكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام
بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك

فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلا فبقوا مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما
بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا حتى حين • واحلوا
قومهم • الذين شايعوهم في الكفر • دار البوار • دار الهلاك بحملهم على الكفر
• جهنم • عطف بيان لها • يصلونها • حال منها او من القوم اى داخلين فيها
مقاسين لحرها او مفسر ابفعل يقدر ناصبا لجهنم • وبيس القرار • اى وبيس
المقر جهنم • وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله • الذي هو التوحيد وقرا
ابن كثير وابو عمرو وورش عن يعقوب بفتح اليا وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم
في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض • قل تمتعوا • بشهواتكم
وعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة
الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضايه الى المهدد به وان الامرين
كاينان لا محاله ولذلك علله بقوله • فان مصيركم الى النار • وان المخاطب
لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع • قل لعبادي الذين امنوا • خصهم بالاضافة
تنويها بهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف
يدل عليه جوابه اى قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا • يقيموا
الصلاة وينفقوا مما رزقناهم • فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم للرسول
بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام
الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن قوله • محمد
تفد نفسك كل نفس • اذا ما خفت من امر تبالا • لدلالة قل عليه وقيل هما
جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما
بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة الا اذا كان
الفاعل واحدا • سرا وعلانية • منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية
او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي في سر وعلانية والاحب
اعلان الواجب واخفا المتطوع به • من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه • فيبتاع
المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه • ولا خلال • ولا مخالة فيشفع

لك خليلك او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع
فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما
على النفي العام • الله الذي خلق السموات والارض • مبتدا وخبر • وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم • تعيشون به وهو يشمل المطعوم
والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك
ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى
رزق • وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره • بمشيته الى حيث توجهتم
• وسخر لكم الانهار • فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه
الاشيا كيفية اتخاذها • وسخر لكم الشمس والقمر دايبين • يدابان في سيرهما
وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات • وسخر لكم الليل والنهار • يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم • واتاكم من كل ما سالتموه • اي بعض جميع ما سالتموه يعني
من كل شيء سالتموه شيا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى
ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سيل
او لم يسال وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر
بمعنى المفعول وقري من كل بالتنوين اي واتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه
وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موقع الحال اي واتاكم من
كل شيء غير سايليه • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • لا تحصروها ولا تطيقوا
فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق
بالاضافة • ان الانسان لظلوم • يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه
بان يعرضها للحرمان • كفار • شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكوا
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع • واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد • بلد
مكة • امنا • ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا
ان المسوؤل في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفي الثاني جعله من
من البلاد الامنة • واجنبني وبني • بعدني واياهم • ان نعبد الاصنام • ن
واجعلنا منها في جانب وقري واجنبني وهما على لغة نجد واما الحجاز فيقولون

جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبيا بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينه ان اولاد اسماعيل
لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها
الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته • رب
انهن اضللن كثيرا من الناس • فلذلك سالت منك العصمة واستعذت
بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية لقوله تعالى
وغرتهم الحياة الدنيا • فمن تبعني على ديني • فانه مني • اي بعضي لا ينفك عني في
امر الدين • ومن عصاني فانك غفور رحيم • تقدر ان تغفر له وترحمه
ابتدا او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى
الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره • ربنا انى اسكنت من ذريتي •
اي ذرية من ذريتي اى بعض ذريتي بحذف المفعول وهم اسماعيل ومن ولد منه
فان اسكانه متضمن لاسكانهم • بواد غير ذي زرع • يعني وادي مكة فان حجرته لا
تثبت • عند بيتك المحرم • الذي حرمت التعرض له والتهاون به اذا لم يزل
معظما ممنعا عن نهاية الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
ولذلك سمي عتيقا اى اعتق منه دعا بهذا الدعا اول ما قدم لسارة فلعله قال
ذلك باعتبار ما كان وما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها
من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجها
من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم ثم ان جرهم
راوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الما فقصدوه فراوهما عند عين فقالوا
اشركينا في ما بك نشركك في البانتا ففعلت • ربنا ليقيموا الصلاة •
اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي بما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من
كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير الندا وتوسيطه
للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعا توفيقهم
لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعا لهم باقامة الصلاة كانه طلب
منهم الاقامة وسال من الله تعالى ان يوفقهم لها • فاجعل افيدة من الناس •

أي

اي افيدة من افيدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افيدة الناس لازدحمت
عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتدا كقولك القلب
مني سقيم اي افيدة ناس وقرى آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افيدة كادر في
ادور وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون
نحوهم وافيدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين
ويجوز ان تكون من افد • تهوي اليهم • تسرع اليهم شوقا ووداد وقرى تهوى
على البنا للمفعول من اهدى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته
بالى لتضمين معنى التروح • وارزقهم من الثمرات • مع سكناهم واديا لا نبات
فيه • لعلهم يشكرون • تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوتهم فجعله حرما امنا
يجبى اليه ثمرات كل شي حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد • ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن • تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى
انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا لانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا
ندعوك اظهارا للعبودية وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك
وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير
الندا للمبالغة والتضرع واللجا الى الله تعالى • وما يخفى على الله من شي في الارض
ولا في السما • لانه العالم بعلم ذاتي يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق
• الحمد لله الذي وهب لي على الكبر • اى وهب لى وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة
بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية • اسماعيل واسحاق •
روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحاق لمائة وثنتي عشرة سنة
• ان ربى لسميع الدعا • لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من
ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع
الى دعا الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه
ووهب له سوله حين ما وقع الناس منه ليكون من اجل النعم واجلاها • رب
اجعلني مقيم الصلاة • معدلا لها مواظبا عليها • ومن ذريتي • عطف على المنصوب
في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقرا عادته من الامم الماضية

حمت

ع

انه يكون في ذريته كفار • ربنا وتقبل دعاي • واستجب دعاي وتقبل عبادتي
• ربنا اغفر لي ولوالدي • وقري لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما
وقيل اراد بهما ادم وحوي • وللمومنين يوم يقوم الحساب • يثبت مستعار
من القيام على الرجل لقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف
المضاف واسند اليهم قيامهم مجازا • ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون •
خطاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من
انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفي عليه خافيه والوعد بانه معاقبهم على
قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا ن
بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم • انما يوخرهم • يوخر عذابهم
وعن ابي عمرو بالنون • ليوم تشخص فيه الابصار • اي تشخص فيه ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما تري • مهطعين • مسرعين الى الداعي ومقبلين
بابصارهم لا يطوفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشي • مقنعي
روسهم • رافعيها • لا يرتد اليهم طرفهم • بل تثبت عيونهم شاخصة لا يطرق
ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم • وافيدتهم هواء • خلاء اي خالية
عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي
لا راي فيه ولا قوة قال زهير • من الظلمات جوجوة هواء • وقيل خالية عن
الخير خاوية عن الحق • وانذر الناس • يا محمد • يوم ياتيهم العذاب • يعني يوم
القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر • فيقول
الذين ظلموا • بالتكذيب والشرك • ربنا اخرنا الى اجل قريب • اخر العذاب
عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا
مقدار ما نومن بك ونجيب دعوتك • نجب دعوتك ونتبع الرسل • جواب
للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين • اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال • على ارادة القول وما لكم جواب القسم جا بلفظ
الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا
يزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليهم حالهم حيث بنوا شديدا

واملوا

واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الي دار اخري وانهم اذا ماتوا لا يزالو ن
على تلك الحالة الى حالة اخري كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت • وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم • بالكفر والمعاصي كعاد
وثمود واصل سكن ان يعدي بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري
مجراه كقولك سكنت الدار • وتبين لكم كيف فعلنا بهم • بما تشاهدون في
منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم • وضربنا لكم الامثال •
من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة • وقد مكروا مكرهم •
المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل • وعند الله مكرهم • ومكتوب
عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزا لمكرهم وابطالا له ن
• وان كان مكرهم • في العظم والشدة • لتزول منه الجبال • مسوي لازالة الجبال
وقيل ان نافية واللام موكدة لها لقوله وما كان الله ليعذبهم وعلى ان الجبال
مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى
انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه
وقرا الكساي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ن
ومعناها تعظيم مكرهم وقري بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقري
وان كاد مكرهم • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله • مثل قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعو
الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا بقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا
لم يخلف وعده احدا فكيف تخلف رسله • ان الله عزيز • غالب لا يماكر قادر
لا يدافع • ذو انتقام • لاوليايه من اعدايه • يوم تبدل الارض غير الارض • بدل
من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر ولا تخلف وعده ولا يجوز
ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده • والسموات • عطف
على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة

كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل
الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه يبدل ارضا من
فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس تحشر الناس على ارض بيضا لم
يخط احد عليها خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها
ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا
واعلم انه يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسما على الحقيقة
ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما يشعر
به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين
وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتفصيله
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع
بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت
او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزايغة والملكات
الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون
تمثيلا لمواخذتهم مع ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق
بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد
سرابيلهم قمصانهم من قطران وجا قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن
تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص
ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في
جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان
يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية

فيجلب

فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس
او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير
في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاهم لانهم لم يتوجهوا بها
الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله
كما يطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله
افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في
النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة
بما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون بطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام
ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا
اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من
قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة
بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا انزل او تلي وقرئ
بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر
والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر
اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يعظهم واعلم انه سبحانه
وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل
الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين
بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد **سورة الحجر** مكية
وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران
مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذلك القران
وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي

بيا نا عو بيلو ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند
حلول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الرا وفتحه مع التشديد
والتخفيف وبتا التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل
وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه
اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة
كحل العقال ومعنى التقليل فيه الابذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام
مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم
اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا
ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم بطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا
جزاه والغرض اقناط الرسول من ارعوايهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان
وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طايل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن
ايثار التنعم وما يودي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة
لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت
صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة
فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي
صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوا له وهو قوله انك لمجنون
ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك
لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله تعالى نزل عليك الذكر اي القران لو ما
تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشي لوجود غيره
والتحضيض بالملايكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا

انزل

انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم
المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعوتك ما ننزل الملايكة بالبا مسندا
الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتا والبنا للمفعول
ورفع الملايكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي
بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم
من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي والعذاب وما كانوا اذا منظرين
اذا جواب لهم وجزا الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملايكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزايهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان ونفي تطرق الخلل
اليه في الدوام بضمان الحفظ كما نفي ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير
في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في
فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم
وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما
يفعل هولاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا
بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشي في الشي كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للاستهزا وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل
في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يومنون به له وهو حال من
هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا
غير مومن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم
من تعاقب الضماير توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا
من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة

الاولين اي سنة الله تعالى فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم اى على هولا المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجايبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملايكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت على الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراة من قرا سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل لهم ما خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السما بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيها تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثنا منقطع اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون

بها من المطاعم والملابس وقرى بالهمز على التشبيه بشمايل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم او يريد به العيال والخدم والمماليك وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله تعالى يرزقكم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزا في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزاينه اى وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزاين مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشيا المخزونة التي لا تحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون لذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوايح وقرى وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا مما يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهوى في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الما تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون اي الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب

الرجال ممن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر
لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته
دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت • وان ربك هو
يحشرهم • لا محالة للجزا وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعيد والتنبيه على ان ماسبق
من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشيا يدل على صحة الحكم كما صرح
به بقوله • انه حكيم • باهر الحكمة متقن في افعاله • عليم • وسع علمه كل شيء • ولقد
خلقنا الانسان من صلصال • من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل
هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل • من حما • طين تغير واسود من طول مجاورة
الما وهو صفة صلصال اي كاين من حما • مسنون • مصور من سنة الوجه او
مصبوب ليتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه
افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك
طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا
حككته فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا • والجان • ابا الجن
وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس
لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه
بفعل يفسره • خلقناه من قبل • من قبل خلق الانسان • من نار السموم • من نار الحر
الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزو الناري
فانها اقبل لها من التي الغالب الجز الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى
خلقه من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء
خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع والاحيا • واذ قال ربك للملائكة • واذكر وقت قوله • اني خالق

بشر

بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته • عدلت خلقته وهيأته لنفخ
الروح فيه • ونفخت فيه من روحي • حتى جرى آثاره في تجاويف اعضايه وحيي واصل
النفخ اجرا الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه
لما مر في النسا • فقعوا له • فاسقطوا له • ساجدين • امر من وقع يقع • فسجد الملا ئكة •
كلهم اجمعون • اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد
بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر
اذ لو كان الامر كذلك لكان ثانيا حالا لا تاكيدا • الا ابليس • ان جعل منقطعا
اتصل به قوله • ابى ان يكون مع الساجدين • اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا
كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا سجد • قال يا ابليس ما لك الا تكون •
اي غرض لك في ان لا تكون • مع الساجدين • لادم • قال لم اكن لاسجد • اللام
لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد • لبشر • جسماني كثيف وانا
ملك روحاني • خلقته من صلصال من حما مسنون • وهو اخس العناصر وخلقتني
من نار وهي اشرفها واستنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه
في سورة الاعراف • قال فاخرج منها • من السما او الجنة او زمر الملائكة • فانك رجيم •
مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
فانه وعيد يتضمن الجواب عن شبهته • وان عليك اللعنة • هذا الطرد والابعاد
الى يوم الدين • فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان
الجزا وما في قوله فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده
هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه
بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل • قال رب فانظرني • فاخرني والفا متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم • الى يوم يبعثون • اراد ان يجد
فسحة في الاغوا ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول
دون الثاني • قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم • المسمى فيه اجلك

عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون
المراد بالايام الثلاثه يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات
فعبر اولا بيوم الجزا لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم
من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه
وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لانه خطاب الله
تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال • قال رب بما اغويتني • الباء للقسم وما
مصدريه وجوابه • لازينن لهم في الارض • والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد
القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببيه والمعتزلة اولوا الاغواء
بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه الصلاة والسلام
او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب
لزيادة غيه وتسليط له على اغوا بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم
يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
• ولاغوينهم اجمعين • ولاحملنهم اجمعين على الغواية • الا عبادك منهم المخلصين •
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوايب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله • قال
هذا صراط علي • حق علي ان اراعيه • مستقيم • لا انحراف عنه والاشارة الى ما
تضمنه الاستثنا وهو تخليص المخلصين من اغوايه او الاخلاص على معنى انه
طريق علي يودي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقري علي من علو الشرف
• ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين • تصديق لابليس
فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس
بمخلص من عباده فانه منتهي تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم

من

من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثنا منقطعا وعلى
الاول يدفع في قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضايه الى تناقض
الاستثنايين • وان جهنم لموعدهم • لموعد الغاوين او المتبعين • اجمعين • تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل • لها سبعة ابواب • يدخلون
فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المبالغة وهي جهنم ثم
لظى ثم الحطمه ثم سعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهويه
والغضبيه او لان اهلها سبع فرق • لكل باب منهم • من الاتباع • جزء مقسوم •
افرز له فاعلاها للموحدين العصاه والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع
للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا
ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقري جز على حذف الهمزة والقا حركتها على الزاي ثم
الوقف عليه بالتشديد ثم اجرا الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من
المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
• ان المتقين • من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة • في جنات
وعيون • لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من
ما غير اسن الايه وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث
وقع والباقون بكسر العين • ادخلوها • على ارادة القول وقري بقطع الهمزة
وكسر الخا على انه ماض فلا تكسر التنوين • بسلام • سالمين او مسلما عليكم
• امنين • من الافة والزوال • ونزعنا • في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة
بتطييب نفوسهم • ما في صدورهم من غل • من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي
الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد
على درجات الجنة ومراتب القرب • اخوانا • حال من الضمير في جنات او فاعل
ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة

وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره
لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم
فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم
منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة
دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده
وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا
منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم
امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره قالوا لا توجل وقرئ
لا تاجل ولا توجل من اوجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى
التعليل للنهي عن الوجل فانه المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناها باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني
على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في
مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرون او فباي
شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا
ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية
ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة
بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما لا يكون لا محالة او باليقين
الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين
من الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير الابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة
ولذلك قال قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة
ولا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من

روح الله

روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم
وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم
لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة
لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في البشارة لزكريا ومريم او لانهم بشروه
في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدوا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا ال لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا
اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم
والارسال شاملين للمجرمين وال لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم
اجرم كلهم الا ال لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي ال لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثنا ومتصل
بال لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امراته
استثناء من ال لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا
قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر عن عاصم
قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى
القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسناده اياه الى انفسهم وهو فعل
الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم
قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي
لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب
بهم في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم

اى تسوقهم

وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه
او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل
نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث
امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدّي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى
ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي
بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل
منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى
انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح
وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في
معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط
طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى
ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون
بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم
ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال
هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة
هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب
وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك
قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم
انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم
والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها
عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه

القصة

القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله تعالى اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكا ثفة
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لانهما مما
يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها
وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين
من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم
او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم
استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل فلا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم
او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان
وابي هو الخالق وهو يصلح للتكثير والتقليل والخلاق يختص بالكثير ولقد
آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها

الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة
وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهي الاسباع من المثاني بيان
للسبع والمثاني من التثنية او الثنا فان كل ذلك مثنى تكرر قراته والفاظه او ن
قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله تعالى بما هو
اهله من صفاته العظمى واسمايه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب
الله كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور
فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد
الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا
به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه
كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله تعالى عنه
من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني
قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله تعالى فقال لهم
لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم
لم يومنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمومنين وتواضع لهم وارفق
بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله تعالى نازل بكم
ان لم تومنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف
لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام
الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط
الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هي
صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم اهل مكة الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه

تسلية صح

من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا
ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة
اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه
السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين
او مبتدا خبره فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او
النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تومر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين
الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف
اي بما تومر به من الشرايع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد
ابن المغيرة والعاصي بن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن
المطلب يبالغون في ايذا النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزا به فقال جبريل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر
بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه
فمات واوما الى اخمص العاصي فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث
وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى
مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف
يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
من الشرك والطعن في القران والاستهزا بك فسبح بحمد ربك فافزع الى
الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه
عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما

دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد
صلى الله عليه وسلم **سورة النحل** مكية غير ثلاث ايات في اخرها وهي مائة
وثمان وعشرون اية • بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه • كانوا
يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم
بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا
منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب
الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه • سبحانه
وتعالى عما يشركون • تبرأ عز وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا
حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب
او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي
صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه • ينزل الملائكة
بالروح • بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين
مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول
ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا
ابن كثير وابو عمرو ويُنزِل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرا ابو بكر ينزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل • من امره • بامره ومن اجله
• على من يشاء من عباده • ان يتخذه رسولا • ان انذروا • بان انذروا اي اعلموا من نذرت
بكذا اذا اعلمته • انه لا اله الا انا فاتقون • ان الشان لا اله الا انا فاتقون
او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية
في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية
تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي
هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية
وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على

انه

انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له
شريك يقدر على ذلك فيلزم التمانع • خلق السموات والارض بالحق • اوجدهما
على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته • تعالى
عما يشركون • منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها
وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام • خلق الانسان من نطفة • جماد لا
حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل • فاذا هو خصيم • منطيق مجادل
• مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم روي ان
ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي
هذا بعد ما قد رم فنزلت • والانعام • الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر
يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله
وما بعده تفصيل له • فيها دفء • ما يدفأ به فيقي البرد • ومنافع • نسلها ودرها
وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها • ومنها تاكلون • اي تاكلون
ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس
الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من ساير
الحيوانات الماكولة على سبيل التداوي او التفكه • ولكم فيها جمال • زينة • حين
تريحون • تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي • وحين تسرحون • تخرجونها
بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة
الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون
وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه • وتحمل اثقالكم •
احمالكم • الى بلد لم تكونوا بالغيه • ان لم يكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم
اليه • الا بشق الانفس • الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهي لغة فيه وقيل
المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه
ذهب نصف قوته بالتعب • ان ربكم لرؤف رحيم • حيث رحمكم بخلقها
لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم • والخيل والبغال والحمير • عطف على الانعام

لتركبوها وزينة: اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل
لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله وان المقصود
من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو لتركبوها
زينة وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان
الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر
ويخلق ما لا تعلمون: لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا
به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر. وعلى الله قصد
السبيل: بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة
وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصد السالك لا يميل عنه والمراد
بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال. ومنها جائر: حائد عن القصد
او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة
او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض
وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد. ولو شاء لهداكم اجمعين: اي ولو شاء هدايتكم
اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء. وهو الذي انزل
من السماء: من السحاب او من جانب السماء. ماء لكم منه شراب: ما تشربونه ولكم صلة
انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب
فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه
في الارض. ومنه شجر: ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت
على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر. فيه
تسيمون: ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامات. ينبت لكم به الزرع: وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم

والزيتون

والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات: وبعض كلها اذ لم ينبت في
الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير
غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة
وترتيبها. ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون: على وجود الصانع وحكمته فان من تامل
ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج
منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه
الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة
الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة
الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك. وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم: بان هياها لمنافعكم. مسخرات بامره: حال من الجميع
اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له او
بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر
في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا
بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي
جمع لاختلاف النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا. ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون: جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات. وما ذرا
لكم في الارض: عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا. ان في ذلك لاية لقوم
يذكرون: ان اختلافها في الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع
حكيم. وهو الذي سخر البحر: جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص. لتاكلوا منه لحما طريا: هو السمك ووصفه بالطراوة

لانه ارطب اللحوم فيسرع الفساد اليه فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقته
عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا ياكل
لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه
عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف بان لا
يركب دابة بركوبه • وتستخرجوا منه حلية تلبسونها: كاللؤلؤ والمرجان اي
تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم
• وترى الفلك: السفن • مواخر فيه: جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو
شق الماء وقيل صوت جري الفلك • ولتبتغوا من فضله: من سعة رزقه بركوبها
للتجارة • ولعلكم تشكرون: اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعله
خصصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه
جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش • والقى في الارض رواسي:
جبالا رواسي • ان تميد بكم: كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل
ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان
تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت
الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال • وانهارا
وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه • وسبلا لعلكم تهتدون: لمقاصدكم او الى
معرفة الله تعالى • وعلامات: معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل
وريح ونحو ذلك • وبالنجم هم يهتدون: بالليل في البراري والبحار والمراد
بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع
وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا
كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم

واوجب عليهم • افمن يخلق كمن لا يخلق: انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على
كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوي
ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان
حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله
جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد
من دون الله تعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى
اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من
يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف
بمن لا علم عنده • افلا تذكرون: فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل
للعاقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها:
لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد
النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما
عدد نعم لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور • ان الله لغفور: حيث
يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها • رحيم: لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها • والله يعلم ما تسرون وما تعلنون: من عقايدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم • والذين تدعون من
دون الله: اي والالهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرا ابو بكر يدعون بالياء
وحفص ثلاثتها بالياء • لا يخلقون شيئا: فانه لما نفى المشاركة بين من يخلق
ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان
اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال • وهم يخلقون: لانها ذوات ممكنة
مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود • اموات:
هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مالا • غير احياء: بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات
• وما يشعرون ايان يبعثون: ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم
فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب

مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف. الهكم اله
واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج. فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون. بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم
بالاخرة فان المومن بها يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر
بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا للمالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت
الاخرين. لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو
في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل. انه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله. واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
القايل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون. قالوا اساطير
الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم
او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون له قيل
هم المقتسمون. ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال. ومن
اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها الدلالة على
ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل. الا
ساء ما يزرون. بيس شيا يزرونه فعلهم. قد مكر الذين من قبلهم اي سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله. فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره
من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت. فخر عليهم السقف من فوقهم
وصار سبب هلاكهم. واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى
الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السما فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا. ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم كقوله

تعالى

تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته. ويقول اين شركاي اضاف الى نفسه
استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم. الذين كنتم تشاقون فيهم
تعادون المومنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المومنين كمشاقة الله تعالى. قال الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين
كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة. ان الخزي
اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين. وفايدة قولهم اظهار الشماتة
وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه. الذين تتوفاهم الملايكة
وقرا حمزة بالياء وقرى بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة
ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد. فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
حين عاينوا الموت. ما كنا نعمل قايلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز
ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام. بلى اي فتجيبهم
الملايكة بلى. ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا
السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا
اول من لم يجوز الكذب يوميذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا
عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم. فادخلوا
ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين
فيها فلبيس مثوى المتكبرين جهنم. وقيل للذين اتقوا يعني المومنين. ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب
واطبقوه على السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احيا العرب
كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا جاء
الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جا المومنين قالوا له ذلك. للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا. ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم
خير في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده
حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا. ولنعم دار المتقين
دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله. جنات عدن خبر مبتدا محذوف

ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح • يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا في الجنة • كذلك يجزي الله المتقين • مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه
الاول • الذين تتوفاهم الملائكة طيبين • طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين
بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس • يقولون سلام عليكم
لا يحيقكم بعد مكروه • ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون • حين تبعثون فانها معدة
لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ • هل
ينظرون • ما ينتظر الكفار المار ذكرهم • الا ان تاتيهم الملائكة • لقبض ارواحهم
وقرا حمزة والكسائي بالياء • او ياتي امر ربك • القيامة او العذاب المستاصل • كذلك •
مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب • فعل الذين من قبلهم • فاصابهم
ما اصابهم • وما ظلمهم الله • بتدميرهم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بكفرهم
ومعاصيهم المؤدية اليه • فاصابهم سيئات ما عملوا • اي جزاء سيئات اعمالهم على
حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • واحاط
بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر • وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء • انما قالوا ذلك استهزاء
او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما
الفايدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير ونحوها محتجين
بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا
اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب عن الشبهتين
• كذلك فعل الذين من قبلهم • فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله • فهل على
الرسل الا البلاغ المبين • الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه
لكنه باسباب قدرها مؤديا اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه
لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم
كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح

فانه

فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله • ولقد بعثنا في كل
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت • بامر بعبادة الله تعالى واجتناب
الطاغوت • فمنهم من هدى الله • وفقهم للايمان بارشادهم • ومنهم من حقت
عليه الضلالة • اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته
من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى • فسيروا في الارض
يا معشر قريش • فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • من عاد وثمود وغيرهم
لعلكم تعتبرون • ان تحرص يا محمد على هداهم • فان الله لا يهدي من يضل • من
يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى
على البناء للمفعول وهو ابلغ • وما لهم من ناصرين • من ينصرهم بدفع العذاب عنهم
• واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • عطف على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال • بلى • يبعثهم • وعدا • مصدر
موكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى • عليه • انجازه
لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته • حقا • صفة اخرى
للوعد • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب
الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال • ليبين لهم • اي يبعثهم ليبين لهم
بعض • الذي يختلفون فيه • وهو الحق • وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث
الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل وبين المحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال
• انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • وهو بيان امكانه وتقريره
ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد
والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على

نقول

لقول او جوابا للامر • والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا • هم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة
وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله اي في حقه ولوجهه • لنبوئنهم في الدنيا حسنة • مباءة حسنة
وهي المدينة او تبوئة حسنة • ولاجر الاخرة اكبر • مما يعجل لهم في الدنيا وعن
عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك
فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل • لو كانوا يعلمون •
الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم • الذين صبروا •
على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وقيل
• وعلى ربهم يتوكلون • منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله • وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم • رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا
يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرته في سورة الانعام
فان شككتم فيه • فاسألوا اهل الذكر • اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم • ان
كنتم لا تعلمون • وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة
العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء
وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه
الصلاة والسلام راى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب
المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم • بالبينات والزبر • اي ارسلناهم بالبينات والزبر
اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما
ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى
على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليه على ان قوله فاسألوا اعتراض

د

او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام • وانزلنا اليك الذكر • اي القرآن
وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه • لتبين للناس ما نزل اليهم • في الذكر بتوسط
انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان
ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل • ولعلهم
يتفكرون • وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق • افامن الذين مكروا
السيئات • اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين
مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان • ان يخسف
الله بهم الارض • كما خسف بقارون • او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون •
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط • او يأخذهم في تقلبهم • متقلبين في
مسايرهم ومتاجرهم • فما هم بمعجزين • او يأخذهم على تخوف • على مخافة بان
يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا
بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى هلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر
رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال
هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم
قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته ، تخوف الرحل منها تامكا قردا ، كما تخوف
عود النبعة السفن ، فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم • فان ربكم لرؤوف
رحيم • حيث لا يعاجلكم بالعقوبة • اولم يروا الى ما خلق الله من شيء • استفهام
انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال
قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها • يتفيؤ ظلاله • اي اولم
ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة • عن اليمين والشمائل • اي عن ايمانها
وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله • سجدا لله وهم داخرون • وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد
من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت

لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم
داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او
باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والاجرام في نفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع
داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلا وقيل
المراد باليمين والشمايل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر
منه اخذة في الارتفاع والسطوع وشمايله وهو الجانب الغربي المقابل له فان
الظلال في اول النهار يبتدي من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبتدي من الغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما
في السموات وما في الارض اى تنقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات
والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواكان
في ارض او سما والملايكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملايكة للتعظيم
او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملايكة ارواح مجردة او
بيان لما في الارض والملايكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد
ملايكتها من الحفظة وغيرهم وما كما استعمل للعقلا استعمل لغيرهم كان استعماله
حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه
وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير
في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لا يستكبر عن عبادته
ويفعلون ما يومرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملايكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان
المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايما بان الاثنينية تنافي
الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات

الوحدانية

الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود
كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غيري وله ما في السموات
والارض خلقا وملكا له وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر من
انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله
الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزا اي وله الجزا دايما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه
لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من
نعمة فمن الله اى واي شي اتصل بكم من نعمة فهو من الله تعالى وما شرطية او
موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار
النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعا
والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم وهو كفاركم بربهم
يشركون بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين
كان من للبيان كانه قيل فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على
ان يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانوا قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار
كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ الوعيد وقرى فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر
الوارد للتهديد والفا للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لالهتهم التي لا
علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات
مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العايد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما
مصدرية او المجهول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع
والانعام تالله لتسالن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
يقولون الملايكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه

ولهم ما يشتهون • يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتدا والنصب
بالعطف على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول
لشي واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف • واذا بشر احدهم بالانثى • اخبر
بولادتها • ظل وجهه • اى صار او دام النهار كله • مسودا • من الكابة والحيا من
الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير • وهو كظيم • مملو غيظا
من المراة • يتوارى من القوم • يستخفي منهم • من سوء ما بشر به • من سوء المبشر
به عرفا • ايمسكه • محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه • على هون • ذل • ام يدسه في
التراب • ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرى بالتانيث فيهما
• الا ساء ما يحكمون • حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
• للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء • صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم ووادهن خشية الاملاق • ولله
المثل الاعلى • وهو الوجوب الذاتي والغنا المطلق والوجود الفايق والنزاهة
عن صفة المخلوقين • وهو العزيز الحكيم • المنفرد بكمال القدرة والحكمة • ولو
يواخذ الله الناس بظلمهم • بكفرهم ومعاصيهم • ما ترك عليها • على الارض وانما
اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها • من دابة • قط لشمول الظلم اياهم
وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء • ولكن يوخرهم الى اجل مسمى • سماه لاعمارهم
او لعذابهم كي يتوالدوا • فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون •
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم
ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبيا عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم • ويجعلون لله ما يكرهون • اى ما يكرهونه
لانفسهم من البنات والشركا في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل
الاموال • وتصف السنتهم الكذب • مع ذلك وهو • ان لهم الحسنى • اى عند
الله كقوله ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرى الكذب جمع كذوب
صفة للالسنة • لا جرم ان لهم النار • رد لكلامهم واثبات لضده • وانهم مفرطون •

مقدمون

مقدمون الى النار من افرطته في طلب الما اذا قدمته وقرا نافع بكسر الرا على انه من
الافراط في المعاصي وقرى بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الما ومكسورا من
التفريط في الطاعات • تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم • فاصروا على قبايحها وكفروا بالمرسلين • فهو وليهم اليوم • اى في الدنيا وعبر
باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال
ماضية او اتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين
اعمالهم وهو ولي هولاء القوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولي امثالهم
والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه • ولهم عذاب
اليم • في القيامة • وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم • للناس • الذي اختلفوا
فيه • من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال • وهدى ورحمة لقوم
يومنون • معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين • والله
انزل من السما ما فاحيى به الارض بعد موتها • انبت فيها انواع النبات بعد يبسها
• ان في ذلك لاية لقوم يسمعون • سماع تدبر وانصاف • وان لكم في الانعام لعبرة •
دلالة يعبر بها عن العلم الى الجهل • نسقيكم مما في بطونه • استيناف لبيان العبرة
وانما ذكر الضمير ووحده هاهنا للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على الافعال كاخلاق واكياس
ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او للواحد
او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم
بالفتح هنا وفي المومنين • من بين فرث ودم لبنا • فانه يخلق من بعض اجزاء
الدم المتولد من الاجزا اللطيفة التي في الفرث وهو الاشيا الماكولة المنهضمة
بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله
ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن
لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في
الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث

اخلاطا اربعة معها ماية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضا
بحسبها فتجري الى كل حصته على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان
انثى زاد اخلاطها على قدر غذايها لاستيلا البرد والرطوبة على مزاجها فيدفع
الزايد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزايد او بعضه الى
الضروع بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في خلق
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي
رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقا
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع
العبرة • خالصا • صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رايحة الفرث او مصفا عما
يصحبه من الاجزا الكثيفة بتضييق مخرجه • سايغا للشاربين • سهل المرور في
حلقهم وقري سيغا بالتشديد والتخفيف • ومن ثمرات النخيل والاعناب •
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب من عصيرهما وقوله
• تتخذون منه سكرا • استيناف لبيان الاسقا وتتخذون ومنه تكرير للظرف
تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر
تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اي
هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر • ورزقا حسنا •
كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة
على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما سد الجوع من السكر
فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه • ان في ذلك لاية لقوم يعقلون • يستعملون
عقولهم بالنظر والتامل في الايات • واوحى ربك الى النحل • الهمها وقذف في
قلوبها وقيل النحل بفتحتين • ان اتخذي • بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة

لان

لان في الايحا معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر • من الجبال بيوتا •
• ومن الشجر ومما يعرشون • ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما
يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا
تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا تقوى
عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك
وقري بيوتا بكسر البا للبا وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الرا • ثم كلي من
كل الثمرات • من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها • فاسلكي • ما اكلت • سبل
ربك • في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي
الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك • سبل ربك • لا
يتوعر عليك ولا يلتبس • ذللا • جمع ذلول وهي حال من السبيل اي مذللة ذللها الله
تعالى وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به
• تخرج من بطونها • عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام
عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم • شراب • يعني العسل لانه مما يشرب
واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها
عسلا ثم تقي ادخارا للشتا ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزا طلية حلوة صغيرة
متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها
شي كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه • مختلف الوانه • ابيض واصفر
واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل • فيه شفاء للناس • اما بنفسه
كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قل ما يكون معجون الا و
العسل جزء منه مع ان التنكير منه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله تعالى وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبري
فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله من احوال النحل • ان في
ذلك لاية لقوم يتفكرون • فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم

الدقيقة والافعال العجيبة حتى التدبر علم قطعا انه لابد له من خالق قادر حكيم
يلهمها ذلك ويحملها عليه • والله خلقكم ثم يتوفاكم • باجال مختلفة • ومنكم من
يرد الى ارذل العمر • اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة
والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون • لكيلا يعلم بعد علم
شيا • ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم • ان الله
عليم • بمقادير اعمارهم • قدير • يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني
وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت
هذا المبلغ • والله فضل بعضكم على بعض في الرزق • فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم
موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك • فما الذين
فضلوا برادي رزقهم • بمعطي رزقهم • على ما ملكت ايمانهم • على مماليكهم فانما يردون
عليهم رزقهم الذي جعله الله تعالى في ايديهم • فهم فيه سواء • فالموالي والمماليك
سوا في ان الله تعالى رزقهم فالجملة اللازمة للجملة المنفية اومقررة لها ويجوز ان
تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله
تعالى بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله
عليهم فيساووهم فيه • افبنعمة الله يجحدون • حيث يتخذون له شركا فانه
يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث
انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم عليهم بايضاحها والبا لتضمن الجحود معنى
الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتا لقوله خلقكم وفضل بعضكم • والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا • اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو
خلق حوا من ادم • وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة • واولادا اولاد وبنات
فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
هم الاختان على البنات وقيل الربايب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف
لتغاير الوصفين • ورزقكم من الطيبات • من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض

فان

فان الرزق في الدنيا انموذج منها • افبالباطل يومنون • وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير والسوايب • وبنعمة الله هم
يكفرون • حيث اضافوا نعمة الى الاصنام او حرموا ما احل الله تعالى لهم وتقديم
الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على
الفواصل • ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا •
من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيا منصوب به والا فبدل عنه
ولا يستطيعون • ان يتملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه
وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار
اي ولا يستطيع هولا مع انهم احيا متصرفون شيا من ذلك فكيف بالجماد
• فلا تضربوا لله الامثال • فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه
فان ضرب المثل تشبيه حال بحال • ان الله يعلم • فساد ما يقولون عليه من
القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته او عظم جرمكم فيما
تفعلون • وانتم لا تعلمون • ذلك ولو علمتموه لما جراتم عليه فهو تعليل
للنهي او انه يعلم كنه الاشيا وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز
ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال • ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه
سرا وجهرا هل يستوون • مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف شا واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما
في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز
المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمومن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب
القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل
على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في

يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد • الحمد لله • كل الحمد
له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون
فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها • وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم •
ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم • لا يقدر على شيء • من الصنايع والتدابير لنقصان
عقله • وهو كل على مولاه • عيال وثقل على من يلي امره • اينما يوجهه • حيث
ما يرسله مولاه في امر وقري يوجه على البنا للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه ويوجه كقوله
اينما اوجه القى سعدا • وتوجه بلفظ الماضي • لا يأت بخير • بنجح وكفاية
مهم • هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل • ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد
ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضايل • وهو على صراط مستقيم •
وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب
سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا
تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او
للمومن والكافر • ولله غيب السموات والارض • يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو
ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيامة فان علمه غايب عن اهل السموات والارض • وما امر الساعة • وما امر
قيام الساعة في سرعته وسهولته • الا كلمح البصر • الا كرجع الطرف من اعلا الحدقه
الى اسفلها • او هو اقرب • او امرها اقرب منه بان يكون في زمان بصف تلك
الحركة بل في الان الذي يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلايق دفعة وما يوجد
دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل ان معناه قيام الساعة وان تراخى
فهو عند الله تعالى كالشي الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغه
في استقرابه • ان الله على كل شيء قدير • فيقدر ان يحيي الخلايق دفعة كما قدر
ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال • والله اخرجكم من بطون امهاتكم •
وقرا الكسايي بكسر الهمزه على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر
الميم والها مزيدة ومثلها في اهراق • لا تعلمون شيا • جهالا مستصحبين جهل
الجمادية • وجعل لكم السمع والابصار والافيدة • اداة تتعلمون بها فتحسون

بمشاعركم

بمشاعركم جزئيات الاشيا فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات
منها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم
الكسبية بالنظر فيها • لعلكم تشكرون • كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور
فتشكروه • الم يروا الى الطير • قراة ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتا على انه خطاب
للعامة • مسخرات • مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له • في جو السما • في الهوا المتباعد من الارض • ما يمسكهن • فيه • الا الله •
فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
• ان في ذلك لايات • تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها في الهوا على خلاف طبعها • لقوم
يومنون • لانهم هم المنتفعون بها • والله جعل لكم من بيوتكم سكنا • موضعا
تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول
• وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يكون
المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق
عليها انها من جلودها • تستخفونها • تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها
• يوم ظعنكم • وقت ترحالكم ووضعها او ضربها • ويوم اقامتكم • وقت الحضر
او النزول وقرا الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه • ومن اصوافها واوبا
واشعارها • الصوف للضانية والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى الضمير
الانعام لانها من جملتها • اثاثا • ما يلبس وما يفرش • ومتاعا • ما يتجر به
• الى حين • الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم
او الى ان تقضوا منه اوطاركم • والله جعل لكم مما خلق • من الشجر والجبال والا
وغيرها • ظلالا • تتقون به حر الشمس • وجعل لكم من الجبال اكنانا • مواضع
تسكنون فيها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن • وجعل لكم سرابيل • ثيابا
من الصوف والكتان والقطن وغيرها • تقيكم الحر • خصه بالذكر اكتفا باحد
الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم • وسرابيل تقيكم باسكم • يعني
الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس • كذلك • كاتمام هذه النعم التي تقدمت

يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى تنظرون فى نعمه فتومنون به او تنقادون
لحكمه وقرى تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها
فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا
ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك وانما عليك البلاغ وقد
بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اى يعرف
المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله
ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا
او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها
بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل او لتفريط فى النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما
لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا
وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يوذن للذين كفروا فى
الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على ما يمنون به من شهادة الانبيا عليهم ولا
هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهى الرضا وانتصاب يوم بمحذوف
تقديره اسكن او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا
العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون يمهلون
واذا راى الذين اشركوا شركاهم اوثانهم التى دعوها شركا او الشياطين الذين
شاركوهم فى الكفر بالحمل عليهم قالوا ربنا هولاء شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطيين فى ذلك او التماس لان
يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب فى
انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواهم كقوله كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينيذ فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم
اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى والقوا
والقى الذين ظلموا الى الله يوميذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا

وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبراوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن
الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم
بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم وجينا بك يا محمد شهيدا
على هولاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا
بيانا بليغا لكل شى من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة على السنة
والقياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر
والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات
وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة
والسلام الاحسان ان تعبد الله تعالى كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وايتاء ذى القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد
تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط فى مشايعة القوة الشهوانية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه فى
اثارة القوة الغضبية والبغى والاستعلا والاستيلا على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر
الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر متوسط احدى هذه القوى الثلاث
ولذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنهما هى اجمع اية فى القران للخير والشر
وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن فى القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شى
وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقب قوله ونزلنا عليك تبيانا
للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهى والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
تتعظون واوفوا بعهد الله يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله

ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفا به ولا يلائمه قوله
اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله تعالى ولا تنقضوا الايمان ن
ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد
بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان
الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض
الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني
لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل
هي ريطة بنت سعد ابن تيم القرشية فانها كانت خرقا تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا
تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل
الدخل ما يدخل الشي ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة
ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة
منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا
عهدهم وحالفوا اعداهم انما يبلوكم الله به الضمير لامة لانه بمعنى المصدر
اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله تعالى وبيعة
رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم وقيل الضمير
للاربى وقيل للامر بالوفا وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شا الله لجعلكم امة واحدة ن
متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشا بالخذلان ويهدي من يشا بالتوفيق
ولتسالن عما كنتم تعملون سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين بالبدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم
اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر
للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء

العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفا او صدكم غيركم
عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في
الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا
قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعاف المسلمين ويشترطون
لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزاين رحمته باق
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرا
ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزا احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او
انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مومن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وانما المتوقع تخفيف العذاب فلنحيينه حياة طيبة
في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان
يطيب عيشه بالقناعة والرضي بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا
بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا
قرات القران فاذا اردت قراته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل
ركعة اذ الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح
والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراة من هذا القبيل وعن ابن مسعود
قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل
عليه الصلاة والسلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط

ولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله تعالى المؤمنين به
والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفله ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر
بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا
بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او
حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة
بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه
وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر
متقول على الله تامر بشي ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا
بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله
روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم
الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله
مدرجا على حسب المصالح لا يقتضي عدم التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة
ليثبت الذين امنوا على الايمان فانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما
فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى
للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرى ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام لعامر بن الحضرمي
وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرءان التوراة والانجيل
وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا
غلام حويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة يلحدون بفتح اليا والحا لسان اعجمي غير مبين

وهذا

وهذا وهذا القول لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما انما يسمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف ما يلقفه منه
وثانيهما هب انه يعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان
ذلك عجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث
اللفظ اذ العلوم الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق
في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض
اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القران
بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات
الله لا يصدقون انها من عند الله تعالى لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة
وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد ما
اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم واولئك اشارة
الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب الايات والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او
الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت
مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما
بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا وخبره محذوف دل عليه
قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة
الجواب الا من اكره على الافترا او كلمة الكفر استثنا متصل لان الكفر لغة
يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا
اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم
من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا
سمية بين بعيرين ووجي بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت

وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله فقال فما تقول في فقال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيا له • ذلك • اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد • بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة • بسبب انهم اثروها عليها • وان الله لا يهدي القوم الكافرين • اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ • اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم • فابت عن ادراك الحق والتامل فيه • واولئك هم الغافلون • الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب • لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون • اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد • ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا • اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر ثم لتباعد هولاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي من بعد ما عذبوا المومنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا • ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق • ان ربك من بعدها • من بعد الهجرة والجهاد والصبر • لغفور • لما فعلوا قبل • رحيم • ينعم عليهم مجازاة ما صنعوا بعد • يوم تاتي كل نفس • منصوب برحيم او اذكر • تجادل عن نفسها • تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي • وتوفى كل نفس ما عملت • جزاء ما عملت • وهم لا يظلمون • لا ينقصون اجورهم • وضرب الله

مثلا

مثلا قرية • اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او لمكة • كانت امنة مطمئنة • لا يزعج اهلها خوف • ياتيها رزقها • اقواتها • رغدا • واسعا • من كل مكان • من نواحيها • فكفرت بانعم الله • بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابؤس • فاذاقها الله لباس الجوع والخوف • استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الخوف والجوع واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير • غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال • فانه استعار الرداء المعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله • ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر • لي الشطر الذي ملكت يميني • ودونك فاعتجر منه بشطر • استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار • بما كانوا يصنعون • بصنعهم • ولقد جاءهم رسول منهم • يعني محمدا والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم • فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون • اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر • فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله • امرهم باكل ما احل الله تعالى وشكر ما انعم الله تعالى عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة • ان كنتم اياه تعبدون • تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال • ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام • كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية وسياق مقتضى وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في

فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب
الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول
اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فيقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول
لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب لوصف السنتكم الكذب اى لا تحللوا ولا
تحرموا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب
مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم
تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام لقولهم وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السحر وقرى الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذوب او
كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا
على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله
متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب
ولهم عذاب اليم فى الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى
سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق
بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم
وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب
لغلبة الشهوة والسويغ الافترا على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا
مفرقة فى اشخاص كثيرة لقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد
وهو راس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم
الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك

والطعن

والطعن فى النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مومنا وكان ساير الناس
كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى
به فان الناس كانوا يامونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله تعالى انى
جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قايما باوامره حنيفا مايلا
عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة
ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة تنبيها على انه كان لا يخل بشكر النعم
القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى
الدعوة الى الله تعالى وآتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان
ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة
والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين من اهل الجنة كما ساله بقوله والحقنى
بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل
ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته او لتراخى ايامه ان
اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل
مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة المحققين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه الصلاة والسلام
ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى
فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله تعالى السبت وشدد عليهم
وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا
الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هاهنا لتهديد
المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف مجازاة
كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليه الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة
الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص المومنين الطالبين

للحقايق والثانية لدعوة عوامهم • وجادلهم • وجادل معانديهم • بالتي هي احسن •
بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر
والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم
• ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • اي انما عليك البلاغ
والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الى الله
اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم • وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به •
لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة
العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلام والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه
عليه الصلاة والسلام لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم
لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه • وفيه دليل على ان للمقتص ان
يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم ۝
وتصريحا على الوجه الاكد بقوله • ولئن صبرتم لهو • اى الصبر • خير للصابرين •
من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى
الناس به لزيادة علمه بالله تعالى ووثوقه به فقال • واصبر وما صبرك الا بالله •
الا بتوفيقه وتثبيته • ولا تحزن عليهم • على الكافرين او على المومنين وما فعل بهم
• ولا تك في ضيق مما يمكرون • في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق بالكسر
هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق
• ان الله مع الذين اتقوا • المعاصي • والذين هم محسنون • في اعمالهم بالولاية ۝
والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة
على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى
بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي
مات واحسن الوصية سورة بني اسرايل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ۝
ليفتنونك الى اخر ثمان ايات وهي مائة وعشر ايات • بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا • سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه

وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره •
سبحان من علقمة الفاخر ثم انتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به
للتنزيه عن العجز كما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف
وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرا ولذلك قرى من الليل اي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد • من المسجد الحرام • بعينه لما روى انه عليه الصلاة ۝
والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله او لانه محيط
به او ليطابق المبدا المنتهى لما روى انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة
العشا واسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد
ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طايفة
سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما
النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا
الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام
او في اليقظة بروحه او جسده والاكثر انه اسرى بجسده الى بيت المقدس
ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه
والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف
ما بين طرفي كرة الارض نيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع
طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة
الشريفة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات
• الى المسجد الاقصى • بيت المقدس لانه حينيذ لم يكن وراه مسجد • الذي باركنا •

قوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومعبد الانبيا من لدن موسى عليه
الصلاة والسلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في
برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الانبيا له ووقوفه
على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والايات وقرى ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرايل الا يتخذوا اي على ان لا يتخذوا كقوله كتبت
اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون
اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
ان قرى ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا من دوني حال
من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا وقرى
بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه
تذكير بانعام الله عليهم في انجا ابايهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة
انه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع
حالاته وفيه ايما بان انجاه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على
الاقتدا به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام وقضينا الى بني
اسرايل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن
في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضا المبتوت مجرى القسم
مرتين افسادتين اولاهما مخالفة لاحكام التوراة وقتل شعيا وقيل ارميا
وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ولتعلن
علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد
اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف
على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولي
باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم
وقرى بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم

وسبوا

وسبوا اصاغرهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط
الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان
وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان الله القى في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك
دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود
عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم
المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه
لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد
الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه
وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث
او الله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرى لنسوءن بالتاء والياء والنون المخففة
والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في
قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثنا كما دخلوه اول مرة
وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا
وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوايف اسمه جودرز وقيل خردوس دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد
دما يغلي فسالهم عنه قالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهدا ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منه ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم ان
يرحمكم بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم
وقد عاد وا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه

عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الاباد
وقيل بساطا كما تبسط الحصير ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة او
الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسايي ويبشر بالتخفيف وان
الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا
كبيرا والمعنى انه يبشر المومنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدايهم او على
يبشر باضمار ويخبر ويدعو الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر
على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير
مثل دعايه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا
ينظر عاقبته وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روي انه عليه الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال
اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعاي رحمة له فنزلت ويجوز ان
يريد بالانسان الكافر وبالدعا استعجاله بالعذاب استهزا كقول النضر
ابن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجب
له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين يدلان على القادر
الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل اي الاية التي
هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
وجعلنا اية النهار مبصرة مضية او مبصرة للناس من ابصر فبصر او مبصر
اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبنا وقيل الايتان القمر والشمس
وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي
ايتين ومحو اية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او
نقص نورها شيا فشيا الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة
جعلها ذات شعاع تبصر الاشيا بضويها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في

بياض

بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما
او بحركتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون
اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل
انسان الزمناه طايره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب وذكر القدر
لما كانوا يتيمنون ويتشامون بسنوح الطاير وبروحه استعير لما هو سبب
الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار عمله
فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها
ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطاير
ويعضده قراة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقري ويخرج اي الله عز وجل
يلقاه منشورا لكشف الغطا وهما نعتان للكتاب او يلقاه صفة
ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البنا للمفعول من لقيته كذا
اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى
نفسك والبا مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم
بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة
مما تتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداوه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر
وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل
وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع ويلزمهم
الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضاينا السابق او دنا وقته
المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده
فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة

من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق كقوله ففسقوا فيها كقولك امرته
فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب
له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له
مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشي وآمرته
فأمِرَ اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة
النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويويده قراة يعقوب آمرنا ورواية
أمَّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم امارة اي جعلناهم امراء
وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور
فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله وبظهور معاصيهم او بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم وكم
اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه
لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم
فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله حتى
يطابق المشهور وقيل لمن يكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الاية
في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنايم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا
من رحمة الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو
الاتيان بما امر والانتها عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارايهم وفايدة
اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مومن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب
فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرايط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من
الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا اي
كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطا مرة بعد اخرى

يجعل

ويجعل الله انفة مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك
من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا
من مومن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصب
كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت
في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع
الله الها اخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشي
اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملايكة والمومنين
والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر
امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم
لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة
ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا
او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا
يجوز ان يتعلق البا بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح
لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك
لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك
وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر بما يستقذر منهما ويستثقل من
مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني
على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع
كذلك منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من ساير انواع الايذاء قياسا
بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عنها

بوذيهما بعد الامر بالاحسان بهما • ولا تنهرهما • ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ
وقيل النهي والنهر والنهم لخوات • وقل لهما • بدل التافيف والنهر • قولا كريما • جميلا
لا شراسة فيه • واخفض لهما جناح الذل • تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل
جناحا كما جعل لبيد في قوله • وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذا اصبحت بيد
الشمال زمامها • للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة واراد جناحه
لقوله واخفض جناحك للمومنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف
حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرى الذل بالكسر وهو الانقياد
والنعت منه ذلول • من الرحمة • من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر
خلق الله اليهما • وقل رب ارحمهما • وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا
يكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما • كما ربياني
صغيرا • رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفا بوعدك
للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر انى
الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما • ربكم اعلم بما في نفوسكم • من قصد
البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة
واستثقالا • ان تكونوا صالحين • قاصدين الصلاح • فانه كان للاوابين • للتوابين
غفورا • ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير فيه تشديد عظيم ويجوز
ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه اندراجا اوليا التائب من
جنايته لوروده على اثره • وآت ذا القربى حقه • من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقرا ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم • والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا • بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير
التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف
فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر • ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر واصدقاءهم واتباعهم لانهم

كانوا

كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله
تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات • وكان الشيطان لربه كفورا •
مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع • واما تعرضن عنهم • وان اعرضت عن
ذي القربى والمساكين وابن السبيل حيا من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم
ان لا ينفعهم على سبيل الكناية • ابتغاء رحمة من ربك ترجوها • لانتظار رزق
من الله تعالى ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد
رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغا موضعه لانه مسبب عنه ويجوز
ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله • فقل لهم قولا ميسورا • اي فقل لهم قولا لينا
ابتغا رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعا لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغنا كم الله
رزقنا الله واياكم • ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط •
تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو
الكرم • فتقعد ملوما • فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس بالاسراف وسوء
التدبير • محسورا • نادما او منقطعا بك لا شي عندك من حسره السفر اذا بلغ
منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم
سلاه بقوله • ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر • يوسعه ويضيقه لمشيته
البالغة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك • انه كان بعباده
خبيرا بصيرا • يعلم سره وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسراير والظواهر فاما العباد
فعليهم ان يقتصدوا وانه يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ان لا
يقبضوا كل القبض ولا يبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله • ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق • مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم مخافة الفقر

بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان
قتلهم كان خطا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطا
الاثم يقال خطى خطأ كاثم اثما وقرا ابن عامر خطا وهو اسم من اخطا يضاد الثواب
وقيل لغة كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطا بالفتح والمد وخطا بالمد
والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكنه جا تخاطى في قوله
تخاطاه القناص حتى وجدنه وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه
وقرى خطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم
والاتيان بالمباشرات فضلا ان تعد شروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح زايدته وسا سبيلا وبيس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع
المودي الى قطع الانساب وتهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مومن معصوم عمدا
ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره
بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من
عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان
فان الخطا لا يسمى ظلما فلا يسرف اى القاتل في القتل بان يقتل من لا
يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل
غير القاتل ويويد الاول قراة ابي فلا يسرفوا وقرا حمزة والكساي فلا تسرف
على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما
للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب
واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته
واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص له والتعزير والوزر على المسرف
ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن حتى
يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثنا واوفوا بالعهد
مما عاهدكم الله من تكاليفه او عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسولا
مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسولا عنه يسال الناكث

ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب
قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسولا واوفوا الكيل
اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي
وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته
واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا
وقرا حمزة والكساي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا
واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرى ولا تقف
من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافه ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك
تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم
هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سوا كان قطعا او ظنيا واستعماله
بهذا المعنى سايغ شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة
الزور ويويده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه
الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا اقفوا البرى
بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفواد كل
اولئك اى كل هذه الاعضا فاجرى مجرى العقلا لما كانت مسولة عن احوا
مشاهدة على صاحبها هذا وان اولا وان غلب في العقلا لكنه من حيث انه
سمع كذا وهو بعم القبيلين جا لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسولا في ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسولا عن نفسه يعني
عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب
السمع والبصر وقيل مسولا مسند الى عنه لقوله تعالى غير المغضوب عليهم
والمعنى يسال عنه صاحبه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم
وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرى والفواد بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح
وهو الاختيال وقرى مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح
النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطيتك ولن

تبلغ الجبال طولا، بتطاول وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال
حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس من التذلل، كل ذلك، اشارة الى الخصال
الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انها المكتوبة في الواح موسى، كان سيئه، يعني المنهي عنه
فان المذكور مامورات ومناهي وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انه
خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله
عند ربك مكروها، بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانها بمعنى سيئا
وقد قرى به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف
على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام
القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى، ذلك، اشارة الى الاحكام
المتقدمة، مما اوحى اليك ربك من الحكمة، التي هي معرفة الحق لذاته والخير
للعمل به، ولا تجعل مع الله الها اخر، كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر
ومنتهاه وان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه
وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشرك في الدنيا في قوله
اولا في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال، فتلقى في جهنم ملوما، تلوم
نفسك، مدحورا، مبعدا من رحمة الله تعالى، افاصفاكم ربكم بالبنين، خطاب
لمن قالوا الملائكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل
الاولاد وهم البنون، واتخذ من الملائكة اناثا، بناتا لنفسه هذا خلاف ما
عليه عقولكم وعادتكم، انكم لتقولون قولا عظيما، باضافة الاولاد اليه وهي
خاصة لبعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون
له ما تكرهون ثم تجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم، ولقد
صرفنا، كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير، في هذا القران، في مواضع منه ويجوز
ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات بتقدير ولقد صرفنا القول في
هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرى صرفنا بالتخفيف، ليذكروا، ليتذكروا
وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو معنى التذكر، وما يزيدهم الا

نفورا

نفورا، عن الحق وقلة طمانينة اليه، قل لو كان معه الهة كما تقولون، ايها المشركون
وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع
وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول
ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم، اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا، جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك
الملك سبيلا بالمغازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه
والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة، سبحانه، تنزه تنزيها، وتعالى عما يقولون علوا، متعاليا
كبيرا، متباعدا غاية البعد كما يقولون فانه اعلى مراتب الوجود وهو كونه
واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع
بقاؤه، تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح
بحمده، ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث
تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته، ولكن لا تفقهون
تسبيحهم، ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم
ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما
يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز الاطلاق اللفظ
على معنييه وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر تسبح بالتاء، انه كان حليما،
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على شرككم وغفلتكم، غفورا، لمن تاب منكم، واذا قرات
القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا، يحجبهم
عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر لقوله وعدا ماتيا وقولهم سيل مفعم
وممتلي او مستورا عن الحس اي بحجاب اخر لا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم
ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة
في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به
بقوله، وجعلنا على قلوبهم اكنة، تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله
ان يفقهوه، كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا

على قلوبهم اكنة اي تمنعهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم من استماعه ولما
كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى
وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به
الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على
ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع
نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك
وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم
بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع
الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله
وقيل الذي له سحر وهو الرية اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر
كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالساحر والشاعر والكاهن والمجنون فضلوا
عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون
ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما
دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر
او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي
مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر
عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من
الحياة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه

على الخبر

على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم
مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء
والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل
انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل
لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا
تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل
المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم
تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيج على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا
يعلمه الا الله تعالى وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تجبرهم
على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال
منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله تعالى بالعفو وربك اعلم بمن في
السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد
لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان تكون العراة الجياع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن
العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي
اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من
ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد

كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويويده
قراة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبور
او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه
كالملايكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم
كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اوليك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هولاء الالهة يبتغون الى الله
القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم
الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كساير العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا
بان يحذره كل احد حتى الرسل والملايكه وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
القيامة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع
البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا
ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان
كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اوليك واستوجبوا الاستيصال على ما
مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا يستاصلهم لان فيهم من يومن او يلد من
يومن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود
الناقة بسوالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصاير او جاعلتهم ذوي بصاير
وقري بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما
نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب
المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات
القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيامة
والبا مزيده او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ
اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش
بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي

لتحقق

لتحقق وقوعه وما جعلنا الرويا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال
انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرويا بالروية او عام الحديبية
حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها
حينيذ ولعل روياها في وقعة بدر كقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولما روي انه لما ورد ماءها قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني
امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في
ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما
سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول
ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله
النار واحشا النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبلعها قادر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها ووصفت
به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة
او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت
بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقريت بالرفع على الابتدا والخبر
محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب
بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او
منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايما العلة الانكار قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا
مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لين اخرتن
الى يوم القيامة كلام مبتدا واللام موطية للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته

الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغوا الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من
احنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك
يتسهل له اما استنباطا من قول الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير
او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو
طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاوكم جزاوك وجزاوهم فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون الخطا
للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه
فرة وانتصاب جزا على المصدر باضمار فعله او بما في جزايكم من معنى تجازون
او حال موطية لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان
تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعايك الى الفساد واجلب عليهم
وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب
وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي ۝
والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه
على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بخيله
حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس
وندس ومعناه وجمعك الرجل ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال ۝
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه وبتسمية
عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة
الابا وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض
لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان
عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين تخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوايهم قدرة
وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي

يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الا متعه
التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل
عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه حينيذ لا
يخطر ببالكم سواه ولا يدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم
الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في
كفران النعمة كقول ذي الرمة عطا فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم ۝
واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة
فيه للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك
على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف
وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله تعالى وانتم عليه او يقلبه
بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابو بكر وابن كثير وابو عمرو بالنون فيه
وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا
واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سوا لا معقل يومن فيه من اسباب
الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصبا ثم لا تجدوا لكم
وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر
تارة اخرى بخلق دواعي تلجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا
من الريح لا تمر بشي الا قصفته او كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتا
على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجا
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا
بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل
والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد
والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب
والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما
يقف الحصر دون احصايه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول

طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم نخسف بهم
الارض ولم نغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير
فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف
والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم
تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم
ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعا
ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا في افعا على ان الواو علامة الجمع
كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
المبالاة بها فليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الاسباب وتبقى علقة الاعمال وقيل
بالقوى الحاصلة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف
والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا
فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرءون كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء
وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب
باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما تحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى
فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك كان المعنى لا يقرا الكتاب والمعنى
ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق
النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل
لان الاهتدا بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني
للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان
افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت

فان

فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير
ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت
في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو
موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من
استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن
الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك
واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانهم وليا لهم
بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون
اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من
الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه الصلاة والسلام ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير
اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى
مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها
وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة
وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب
عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم
من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا
يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم

بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبيا فان كنت نبيا فالحق بها حتى نومن بك فوقع ذلك
في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بني قريظة واجلى بني النضير تقليل
وقرى لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك
لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر
وحمزة والكساي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار
خلافهم فكانما ٭ بسط الشواطب بينهن حصيرا ٭ سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا ٭ نصب على المصدر اي سن الله تعالى ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة
اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم
ويدل عليه ٭ ولا تجد لسنتنا تحويلا ٭ اي تغييرا ٭ اقم الصلاة لدلوك الشمس ٭
لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان
الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله
وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام
للتاقيت مثلها لثلاث خلون ٭ وقران الفجر ٭ وصلاة الصبح سميت لانه ركنها
كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراة فيها ولا دليل فيه لجواز ان
يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في صلاة الفجر دل الامر
باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ٭ ان قران الفجر كان مشهودا ٭
تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضيا
والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده
الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسرت الدلوك بالزوال ولصلوة
الليل وحدها ان فسرت بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله
لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان
الوقت يمتد الى غروب الشفق ٭ ومن الليل فتهجد به ٭ وبعض الليل فاترك الهجود
للصلاة والضمير للقران ٭ نافلة لك ٭ فريضة زايدة لك على الصلوات
المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ٭ عسى ان يبعثك ربك مقاما

محمودا

محمودا ٭ مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام تتضمن كرامة
والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما
ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما
او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى يبعثك ذا مقام ٭ وقل رب ادخلني ٭
اي في القبر ٭ مدخل صدق ٭ ادخالا مرضيا ٭ واخرجني ٭ اي منه عند البعث
مخرج صدق ٭ اخراجا يلقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخال مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منه موديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرى
مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا
٭ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ٭ حجة تنصرني على من خالفني او ملكا تنصر
الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره
على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ٭ وقل جا الحق ٭ الاسلام ٭ وزهق الباطل ٭
وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ٭ ان الباطل كان زهوقا ٭ مضمحلا
غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها
ثلاث مائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها ويقول
جا الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره ٭ وننزل من
القران ما هو شفا ٭ ورحمة للمومنين ٭ ما هو في تقويم دينهم واصلاح نفوسهم
كالدوا الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى
ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة واية الشفا وقرا البصري ان ننزل بالتخفيف
٭ ولا يزيد الظالمين الا خسارا ٭ لتكذيبهم وكفرهم به ٭ واذا انعمنا على الانسان ٭
بالصحة والسعة ٭ اعرض ٭ عن ذكر الله ٭ ونا بجانبه ٭ لوى عطفه وبعد بنفسه
عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من

عادة المستكبرين وقرا ابن عامر وناعلى القلب وعلى بمعنى انه نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يوسا شديد الياس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اشد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسالونك عن الروح الذي تحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكاينة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضا جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السوال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استاثر الله تعالى بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا يستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس ولا شيا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النايب مناب جزا الشرط والمعنى

ذرن

ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثنا منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقايه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله لك وانزال الكتاب عليك وابقايه في حفظك قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العربا وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان اتاه خليل يوم مسغبة ۞ يقول لا غايب مالي ولا حرم

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملايكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسايط في اتيانه ويجوز ان يكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماوها يفعول من نبع الما كيعبوب من عب الما اذا زخر او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا من السما يعنون قوله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكساي ويعقوب في جميع القران الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص

فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول
كالطحن • او تاتي بالله والملايكة قبيلا • كفيلا بما يدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا
لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله تعالى وحال الملايكة
محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة
فيكون حالا من الملايكة • او يكون لك بيت من زخرف • من ذهب وقد قرى به واصله
الزينة • او ترقى في السما • في معارجها • ولن نومن لرقيك • وحده • حتى تنزل علينا
كتابا نقروه • وكان فيه تصديقك • قل سبحان ربي • تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير
وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول صلى الله عليه وسلم • هل كنت الا بشرا
رسولا • كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلايم
حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها علي
هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولو فتحنا عليهم بابا • وما منع الناس ان
يومنوا اذ جاهم الهدي • وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق
• الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا • الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم
شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله تعالى
بشرا • قل • جوابا لشبهتهم • قل لو كان في الارض ملايكة يمشون • كما يمشي
بنوادم • مطمينين • ساكنين فيها • لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • لتمكنهم
من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف
منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون
حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق • قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم • على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او
على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز
• انه كان بعباده خبيرا بصيرا • يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم
عليه وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار • ومن يهد الله فهو المهتدي ومن

بضلل

يضلل فلن تجد لهم من دونه اوليا • يهدونهم • ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم •
يسحبون عليها او يمشون عليها وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم • عميا وبكما وصما • لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات
والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب في الموقف الى النار موفي القوي والحواس • ماواهم جهنم كلما خبت •
سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم • زدناهم سعيرا • توقدا بان نبدل
جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مسعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا
جزاهم الله تعالى بان لا يزالون على الاعادة والافنا واليه اشار بقوله • ذلك
جزاوهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون
خلقا جديدا • لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم • اولم يروا • اولم يعلموا • ان الله
الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم • فانهم ليسوا اشد خلقا
منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابدا • وجعل لهم اجلا لا ريب فيه • هو الموت
او القيامة • فابى الظالمون • مع وضوح الحق • الا كفورا • الا جحودا • قل لو انتم
تملكون خزاين رحمة ربي • خزاين رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره
ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفايدة هذا الحذف والتعبير
المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص • اذا لامسكتم خشية
الانفاق • لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع
لنفسه ولو اثر غيره بشي فانما يوثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة
الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخل اغلب فيهم • وكان الانسان قتورا • بخيلا
لان بنا امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله
• ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات • هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الما من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرايل وقيل
الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان

ان يهود اسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا
تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا
من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل
الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة
والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على
الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام • فاسال بني اسرايل اذ جاهم • فقلنا
له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم من حال دينهم ويويده قراة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق
بقلنا او فسال او فاسال يا محمد بني اسرايل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاهم او عن
الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى
انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد
يقينك لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا
كان اذ نصبا باتينا او باضمار تخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على
الاستيناف • فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا • سحرت
فتخبط عقلك • قال لقد علمت • يا فرعون وقرا الكساي بالضم على اخباره عن
نفسه • ما انزل هولاء • يعني الايات • الا رب السموات والارض بصاير •
بينات تبصرك صدقي ولكنك معاند وانتصابه على الحال • واني لاظنك
يا فرعون مثبورا • مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرى وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة • فاراد • فرعون • ان
يستفزهم • ان يستخف موسى وقومه او ينفيهم • من الارض • ارض مصر او الارض
مطلقا بالقتل والاستيصال • فاغرقناه ومن معه جميعا • فعكسنا عليه

مكره

مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق • وقلنا من بعده • من بعد فرعون واغراقه
• لبني اسرايل اسكنوا الارض • التي اراد ان يستفزكم منها • فاذا جاء وعد الاخرة •
الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيامة • جينا بكم لفيفا •
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداكم من اشقيايكم واللفيف
الجماعات من قبايل شتى • وبالحق انزلناه وبالحق نزل • اي وما انزلنا القران
الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل
عليه وقيل وما انزلناه من السما الا محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل على
الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء
البطلان له اول الامر واخره • وما ارسلناك الا مبشرا • للمطيع بالثواب
• ونذيرا • للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار • وقرانا فرقناه •
نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله
ويوما شهدناه وقرى بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين
سنة • لتقراه على الناس على مكث • على مهل وتوده فانه ايسر للحفظ واعون
في الفهم وقرى بالفتح وهو لغة فيه • ونزلناه تنزيلا • على حسب الحوادث • قل
امنوا به او لا تومنوا • فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه
لا يورثه نقصانا وقوله • ان الذين اوتوا العلم من قبله • تعليل له اي ان لم تومنوا
به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلما الذين قراوا الكتب السابقة وعرفوا
حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اوراوا
نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على
سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلما عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم • اذا يتلى عليهم • القران • يخرون للاذقان سجدا • ان
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجازه وعده في تلك
الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران عليه
• ويقولون سبحان ربنا • عن خلف الموعد • ان كان وعد ربنا لمفعولا • ان كان
وعد ربنا لا محالة • ويخرون للاذقان يبكون • كرره لاختلاف الحال او

او التسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من
وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به • ويزيدهم • سماع القران
خشوعا • بما يزيدهم علما ويقينا بالله • قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن • نزل حين
سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه
ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله تعالى في التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
فانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد
انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضا الى المقصود وهذا اجود لقوله • ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى •
والدعا في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغنا
عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في
اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل
الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسما الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام
• ولا تجهر بصلاتك • بقراة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على
السب واللغو فيها • ولا تخافت بها • حتى لا تسمع من خلفك من المومنين • وابتغ
بين ذلك سبيلا • بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع
الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي
وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا
بالاخفات نهارا والجهر ليلا • وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك • في الالوهية • ولم يكن له ولي من الذل • ولي يواليه من اجل مذلة به
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا

واضطرارا

واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق
جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد والمنعم على الاطلاق وما
عداه ناقص مملوك نعما ومنعم عليه ولذلك عطف عليه قوله • وكبره
تكبيرا • وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في
العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه
عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه
الاية وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا سورة بني اسرايل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا
اوقية

سورة الكهف

مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية وهي ماية واحدى عشرة اية • بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب • يعني القران رتب
استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمايه وذلك لانه الهادي
الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد • ولم يجعل
له عوجا • شيا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف في
في الدعوة الى جانب الحق وهو في المعنى كالعوج في الاعيان • قيما • مستقيما
معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له
بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه
بمضمر تقديره وجعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في
ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين بعض
المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقري قيما • لينذر باسا شديدا •
اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفا بدلالة القرينة
واقتصارا على الغرض المسوق اليه • من لدنه • صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان
الدال واسكان البا من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الها للاتباع • ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا • هو الجنة • ماكثين فيه • في الاجر • ابدا • بلا انقطاع • وينذر

الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر فكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم
وانما لم يذكر المنذر به استغنا بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاده
او بالقول والمعنى لانهم يقولون عن جهل مفرط او توهم كاذب او تقليد لما
سمعوه من اوايلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب
والابن بمعنى الموثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاد اليه
ولا لابايهم الذين يقولونه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في
الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه
ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقري بالرفع على الفاعلية
والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام
اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهوا الحامل لها وقيل صفة
محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ها هنا بمعنى بيس وقري كبرت بالسكون مع
الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على اثارهم اذا ولوا
عن الايمان شبهة لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على
اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقري باخع نفسك على الاضافة ان لم يومنوا بهذا
الحديث بهذا القران اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط
الحزن والغضب وقري ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال
ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها
لاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع
منه ما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع
نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا
على الارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم في ابقا حياتهم مدة مديدة طويلة من الدهر كانوا من اياتنا عجبا وقصتهم
بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الثابتة لحصر على طبايع
متباعدة وهيات متخالفة تعجب للناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليست

بعجيب مع انه من ايات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم
الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجدا او لوح رصاص
او حجري رقمت فيه اسماوهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم اخرون
كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السما فاووا الى الكهف فانحطت
صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله تعالى يرحمنا
ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجا رجل وسط النهار وعمل في بقيته
مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب
البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شا الله فرجع الي بعد
حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها
اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا
الضو وقال اخر كان في فضل واصاب الناس شدة فجاتني امراة فطلبت مني
معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم
ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت الي وسلمت نفسها فلما انكشفتها
وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله تعالى فقلت لها خفتيه
في الشدة ولم اخفه في الرخا فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته
لاجلك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكان
لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم
ارح حتى امسيت واتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما
نايمين فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح
فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لاجلك فافرج عنا ففرج الله تعالى عنهم فخرجوا
وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف
الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا
اتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا
من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه

راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشي • فضربنا على اذانهم • اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته • في الكهف سنين • ظرفان لضربنا • عددا • اي ذوات عدد ووصف سنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده • ثم بعثناهم • ايقظناهم • لنعلم • ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا • اي الحزبين • المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم • احصى لما لبثوا امدا • ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعو له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصا بحذف الزوايد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا • نحن نقص عليك نباهم بالحق • بالصدق • انهم فتية • شبان جمع فتى كصبي وصبية • امنوا بربهم وزدناهم هدى • بالتثبت • وربطنا على قلوبهم • وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار • اذ قاموا • بين يديه • فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا • والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم • هولاء • مبتدا • قومنا • عطف بيان • اتخذوا من دونه الهة • خبره وهو خبر في معنى الانكار • لولا ياتون • هلا ياتون • عليهم • على عبادتهم • بسلطان بين • ببرهان ظاهر فان الدين لا يوجد الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جايز • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا • بنسبة التشريك اليه • واذ اعتزلتموهم • خطاب بعضهم لبعض • وما يعبدون الا الله • عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبودهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كساير المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم • فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم • يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم • من رحمته • في الدارين • ويهيى لكم من امركم مرفقا • ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفا وهو مصدر جا شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح • وترى الشمس • لو رايتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد • اذا طلعت تزاور عن كهفهم • تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فتوذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغم التا في الزاي وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرى تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل • ذات اليمين • جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين • واذا غربت تقرضهم • تقطعهم وتصرم عنهم • ذات الشمال • يعني يمين الكهف وشماله • وهم في فجوة منه • اي وهم في متسع من الكهف يعني وسطه بحيث ينالهم روح الهوا ولا يوذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مايلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه وتحلل عفونته ويعدل هواه ولا يقع عليهم فيوذي اجسامهم وتبلى ثيابهم • ذلك من ايات الله • اي شانهم او ايواوهم الى الكهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته • من يهدي الله • بالتوفيق • فهو المهتد • اي اصاب الفلاح والمراد به اما الثنا عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتامل فيها والاستبصار بها • ومن يضلل • ومن يخذله • فلن تجد له وليا مرشدا • من يليه ويرشده • وتحسبهم ايقاظا • لانفتاح عيونهم وكثرة تقلبهم • وهم رقود • نيام • ونقلبهم • في رقدتهم • ذات اليمين وذات الشمال • كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم

على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا
بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم • وكلبهم • وهو كلب مروا به فتبعهم
فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله تعالى فناموا وانا احرسكم
او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرا وكالبهم اي وصاحب
كلبهم • باسط ذراعيه • حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل • بالوصيد •
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة • لو اطلعت عليهم • فنظرت
اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو • لوليت منهم فرارا • لهربت منهم وفرارا يحتمل
المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال • ولملئت منهم رعبا • خوفا يملأ
صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا
عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع
وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملئت بالتشديد
للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل • وكذلك بعثناهم •
وكما انمناهم اية بعثناهم اية على كمال قدرتنا • ليتساءلوا بينهم • ليسال بعضهم
بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم • قال قائل منهم كم
لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم • بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي
مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى • قالوا ربكم اعلم بما لبثتم • ويجوز
ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف
غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما
نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس
لهم اخذوا فيما يهمهم وقالوا • فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة •
والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر
وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف

مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم
له دليل على ان التزود راي المتوكلين والمدينة طرسوس • فلينظر ايها • اي اهلها
• ازكى طعاما • احل واطيب او اكثر وارخص • فلياتكم برزق منه وليتلطف • وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف • ولا يشعرن
بكم احدا • ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور • انهم ان يظهروا عليكم • ان يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها • يرجموكم • يقتلوكم بالرجم
• او يعيدوكم في ملتهم • او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل
كانوا اولا على دينهم فامنوا • ولن تفلحوا اذا ابدا • ان دخلتم في دينهم • وكذلك
اعثرنا عليهم • وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم • ليعلموا •
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم • ان وعد الله • بالبعث او الموعود الذي هو البعث
• حق • لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث • وان الساعة لا ريب
فيها • وان القيامة لا ريب في امكانها وان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاث مائة
سنة حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس
جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها • اذ يتنازعون •
ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون • بينهم امرهم • امر دينهم وكان
بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف
ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم ثانيا بالموت فقال
بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم
بنيانا ليسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا
يصلى فيه كما قال تعالى • فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا
على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا • وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا
على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من اولئك المتنازعين فيهم
على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله تعالى بعدما تذاكروا امرهم
وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث
لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا

تذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا
اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هولاء فانطلق الملك واهل المدينة
من مومن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله تعالى
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل
اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا • سيقولون •
اى الخايضون في قصتهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
والمومنين • ثلاثة رابعهم كلبهم • اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل
هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا • ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم • قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا • رجما بالغيب •
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من
قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ۝
• ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم • انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل
وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله • قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل •
واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطايفة بعد ما حصر اقوال
الطوايف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في هذا المقام مع ان الاصل
ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل
فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن
علي رضي الله تعالى عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا
ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب
يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير
واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم • فلا
تمار فيهم الا مراء ظاهرا • فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير
متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم • ولا

تستفت

تستفت فيهم منهم احدا • ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما
اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال متعنت تريد تفضيح
المسوول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق • ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله • نهي تاديب من الله تعالى لنبيه حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال
ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعله فيما تستقبله الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قايلا ان
شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان يقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز
تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء
اعتراضها دونه لا يناسب النهي • واذكر ربك • مشية ربك وقل ان شاء الله كما
روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله • اذا نسيت • اذا فرط
منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك
جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر
اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر
ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو مقدر مدلول به عليه ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على ۝
التدارك واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي • وقل عسى ان يهدين ربي
لاقرب من هذا رشدا • واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد
هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا ۝
وادنى خيرا من المنسي • ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا •
يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم

ثلاث مائة وقال بعضهم ثلاث مائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلاث مائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هاهنا ان علامة الجمع فيه
جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل
السنين من ثلاث مائة • قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض • له
ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها ولا خلق يخفى عليه علما • ابصر به واسمع • ذكر
بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين
والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير
وكبير وحقير وجليل والها تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والبا
مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر
بمعنى الانشا فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له او لزيادة البا كما في قوله تعالى
وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد
والبا مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة • ما لهم •
الضمير لاهل السموات والارض • من دونه من ولي • يتولى امرهم • ولا يشرك
في حكمه • في قضايه • احدا • منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون
عن يعقوب بالتا والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القران
على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال
• واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك • من القران ولا تسمع لقولهم ايت بقران
غير هذا او بدله • لا مبدل لكلماته • لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره
• ولن تجد من دونه ملتحدا • ملتجا تعدل اليه ان هممت به • واصبر نفسك •
واحبسها وثبتها • مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • في مجامع اوقاتهم
او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتنوين اللام
فيه على تاويل التنكير • يريدون وجهه • رضى الله وطاعته • ولا تعد عيناك عنهم
ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ لا تعد
عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء

المسلمين وتعدو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء • تريد زينة
الحياة الدنيا • حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها • ولا
تطع من اغفلنا قلبه • من جعلنا قلبه غافلا • عن ذكرنا • كامية بن خلف في دعايك
الى طرد الفقرا عن مجلسك لصناديد قريش فيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا
الاستدعا غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان
الشرف تحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة
لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك
او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا ككتاب الذين
كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا ولا بقوله ن
• واتبع هواه • وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على
معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة • وكان امره فرطا • اي تقدما على
الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط • وقل الحق
من ربكم • ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوا ويجوز ان يكون الحق خبر
محذوف ومن ربكم حالا • فمن شا فليومن ومن شا فليكفر • لا ابالي بايمان من امن
ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته
فمشيته ليست بمشيته • انا اعتدنا • هيانا • للظالمين نارا احاط بهم سرادقها •
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حايط من نار • وان يستغيثوا • من العطش
• يغاثوا بماء كالمهل • كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله ن
فاعتبوا بالصيلم • يشوي الوجوه • اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة
ثانية لما او حال من المهل او الضمير في الكاف • بيس الشراب • المهل • وساءت
النار • مرتفقا • متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
• انا لا نضيع اجر من احسن عملا • خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع
محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو

مستغني عنه في قولك نعم الرجل زيدا ووافع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا للذين امنوا وعملوا الصالحات او اوليك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولي للابتدا والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكين فيها على الارايك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارايك مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافر والمومن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومومن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المومن في وجوه الخير وال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل المثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومومن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما موازرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته به اذا جعلتهم حافين حوله فتزيد البا مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرى كلا الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيا يعهد في ساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاوهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرا عاصم بفتح الميم والثا وابو عمرو بضم الثا واسكان الميم

والباقون

والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال له صاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام ومن حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به في الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحد من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قايمة كاينة ولين رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من الجنة وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما تلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشاه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدا خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجرا الوصل مجرى الوقف وقد قري لكنه على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مومن به وقد قري لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شا الله الامر ما شا الله او ما شا الله كاين على ان ما موصولة او اي شي شا الله كاين على انها شرطية والجواب

محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شا ابقاها وان شا ابادها • لا قوة الا بالله • وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راي شيا فاعجبه فقال ما شا الله لا قوة الا بالله لم يضره • ان ترني انا اقل منك مالا وولدا • يحتمل ان تكون انا فصلا وان تكون تاكيدا للمفعول الاول وقري بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد • فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك • في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط • ويرسل عليها • على جنتك لكفرك • حسبانا من السما • مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة • فتصبح صعيدا زلقا • ارضا ملسا يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها • او يصبح ماوها غورا • غايرا في الارض مصدر وصف به كالزلق • فلن تستطيع له طلبا • للما الغاير ترددا في رده • واحيط بثمره • واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا اغلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو واذا جاهم مستعليا عليهم • فاصبح يقلب كفيه • ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا • على ما انفق فيها • في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها • وهي خاوية • ساقطة • على عروشها • بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها • ويقول • عطف على يقلب او حال من ضميره • يا ليتني لم اشرك بربي احدا • كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه • ولم تكن له فية • وقرا حمزة والكساي باليا لتقدمه • ينصرونه • يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله • من دون الله • فانه القادر على ذلك وحده • وما كان منتصرا • وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه • هنالك • في ذلك المقام وتلك الحال • الولاية لله الحق • النصر لله وحده لا يقدر عليها غيره تقرير

لقوله

لقوله ولم تكن له فية ينصرونه او ينصر فيها اوليا به المومنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله • هو خير ثوابا وخير عقبا • اي لاوليايه وقرا حمزة والكساي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره لقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا حمزة والكساي الحق بالرفع صفة للولاية وقري بالنصب على المصدر الموكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقري عقبى وكلها بمعنى العاقبة • واضرب لهم مثل الحياة الدنيا • اذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة • كما • هو كما ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير • انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض • فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورق وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته • فاصبح هشيما • مهشوما مكسورا • تذروه الرياح • تفرقه وقري تذريه من اذرى والمشبه به ليس الما ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالما يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن • وكان الله على كل شي • من الانشا والافنا • مقتدرا • قادرا • المال والبنون زينة الحياة الدنيا • يتزين بها الانسان في دنياه ويفنى عما قريب • والباقيات الصالحات • واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب • خير عند ربك • من المال والبنين • ثوابا • عايدا • وخير املا • لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا • ويوم نسير الجبال • واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هبا منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتا والبنا للمفعول وقرى تسير من سارت • وترى

الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرى ترى
على بنا المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وتجيه ماضيا بعد تسير
لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا واما
وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا
يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفا والغدير لما غادره من
السيل وقرى بالياء وعرضوا على ربك تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا
لقد جيتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما
خلقناكم اول مرة عراة لا شي معكم من المال والولد لقوله ولقد جيتمونا فرادي
او احيا كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز
الوعد بالبعث والنشور وان الانبيا كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى
ووضع الكتاب صحايف الاعمال في الايمان والشمايل او في الميزان وقيل هو
كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خايفين مما فيه من الذنو
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين المهلكات ما لهذا
الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم
ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملايم لعمله واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور
المقصود بيانها في تلك المحال وها هنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم
قرر ذلك لانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها
وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في
زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها
واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا
مذهب كل تقرير في القران كان من الجن حال باضمار قد او استيناف
للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن

امره

امره بترك السجود والفا للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما
عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصي في سورة البقره ن
افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب
وذريته اولاده واتباعه وسماهم ذرية مجازا اوليا من دوني فتستبدلونهم
بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا من الله ابليس
وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي لحضار
ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي
الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اوليا من دون الله شركا له في العبادة فان استحقا
العبادة من توابع الخالقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير
للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها
غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم
للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراة من قرا وما
كنت على خطاب الرسول وقري متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف
وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم
يقول اي الله للكفار وقرا حمزة بالنون نادوا شركاي الذين زعمتم انهم
شركاي او شفعاكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركا على زعمهم للتوبيخ
والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك
كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او
مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة وراي المجرمون النار فظنوا
فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا

انصرافا او مكانا ينصرفون اليه • ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل •
من كل جنس يحتاجون اليه • وكان الانسان اكثر شيء • يتاتي منه الجدل • جدلا •
خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز • وما منع الناس ان يومنوا • من الايمان
• اذ جاءهم الهدى • وهو الرسول الداعي والقران المبين • ويستغفروا ربهم •
ومن الاستغفار عن الذنوب • الا ان تاتيهم سنة الاولين • الا طلب او
انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه • او ياتيهم العذاب • عذاب الاخرة • قبلا • عيانا وقرا
الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقري بفتحتين
وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على
الحال من الضمير او العذاب • وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين •
للمومنين والكافرين • ويجادل الذين كفروا بالباطل • باقتراح الايات بعد
ظهور المعجزات والسوال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا • ليدحضوا
به • ليزيلوا بالجدال • الحق • عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها
وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك
• واتخذوا اياتي • يعني القران • وما انذروا • وانذارهم او والذي انذروا
به من العقاب • هزوا • استهزا وقري هزوا بالسكون وهو ما يستهزا به
• ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه • بالقران • فاعرض عنها • فلم يتدبرها ولم يتذكر
بها • ونسي ما قدمت يداه • من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها • انا جعلنا
على قلوبهم اكنة • تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم • ان
يفقهوه • كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى • وفي اذانهم وقرا •
يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه • وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا •
تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب
للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه ٥
• وربك الغفور • اي البليغ المغفرة • ذو الرحمة • الموصوف بالرحمة • لو يواخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب • استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم

في عداوة

في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • بل لهم موعد • وهو يوم بدر او يوم القيامة
• لن يجدوا من دونه موئلا • منجا يقال وال اذا نجا وال اليه اذا لجا اليه • وتلك
القرى • يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدا خبره • اهلكناهم • او مفعول
بمضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون
مرجع الضمير • لما ظلموا • كقريش بالتكذيب والمرا وانواع المعاصي • وجعلنا
لمهلكهم موعدا • لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم
واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع
والمحيض • واذ قال موسى • مقدر باذكر • لفتاه • يوشع بن نون ابن افرائيم بن يوسف
عليه الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل
لعبده • لا ابرح • لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى
ابلغ مجمع البحرين • من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله
لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه
من السير والطلب ولا افارقه فلا تستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر
عليهما السلام فان موسى عليه الصلاة والسلام كان بحر علم الظاهر وخضر
عليه السلام كان بحر علم الباطن وقري مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع • او امضي حقبا • او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ
المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب
الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عليه الصلاة والسلام
خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له
هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل اعلم منك عبدنا الخضر
وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام سال ربه

اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضي
قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم
الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال
على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته
فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان ۞
فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على ۞
الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه الصلاة
والسلام رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى عليه
الصلاة والسلام او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه
فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر
بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا
من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله تعالى جرية الماء على الحوت فصار
كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز
تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غداءنا ما نتغدى به
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه
وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في
سفره غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا ارايت
ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي
الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره
بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره الا
الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكر له وهو اعتذار عن
نسيانه بشغل الشيطان له بوسواسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى
مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله

اعت

نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما
عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه
او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان
صاحبها واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب وانتخاذ
عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في اخر
كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ
موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب
لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاا فيه
قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثرهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا
الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان
وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه
من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له
موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف
مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين
وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف
وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك
او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره
ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم من الذي ارسل
اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية
التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال
منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم ما انعم الله تعالى عليه قال انك لن تستطيع
معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا تصح
ولا تستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكير وباطنها لم يحط
بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني

كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكريم اهـ

وفي صحيح البخاري قال الخضر لموسى عليه السلام اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم مما علمك الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم تحط به خبرك اهـ

ان شا الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما
للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد
شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى
قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي فلا تفاتحني بالسوال عن شي انكرته
مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتديك ببيانه
وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان
السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة
بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول
الما فيها المفضي الى غرق اهلها وقري لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة
والكسايي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جيت شيا امرا اتيت
امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير
لما ذكره قبل قال لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او نسي يعني وصيته
بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض
النهي عن المواخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شي اخر
نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة
والمواخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق
فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقري عسرا بضمتين فانطلقا
اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحايط وقيل اضجعه فذبحه والفا للدلالة على انه كما لقيه
قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا ذكية بغير
نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وورش عن يعقوب
زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت
ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم

يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل
انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل
خرقها جزا واعتراض موسى عليه مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط
واعتراضه جزا لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل
عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جيت شيا نكرا اي منكرا وقرا نافع في
رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين قال الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو
بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شي
بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا
تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك
ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيي فقال
ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجب وقرا نافع من لدني بتحريك
النون والاكتفا بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي
وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا
حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكيه وقيل ابلة بصره وقيل باجروان ارمينية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقري يضيفوهما من اضافه اذا انزله
ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن
الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء
ويعدل عن دما بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان
وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه
او افعل من النقض وقري ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام
وقيل نقضه وبناه قال لو شيت لتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل

لينتعشا به وتعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راي الحرمان ومساس
الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من
تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت
واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني
وبينك الاشارة الي الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث
او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق
الي البين اضافة المصدر الي الظرف الى الاتساع وقد قري على الاصل سانبيك
بتاويل ما لم تسطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه
منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج
وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنا وخمسة
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراهم ملك
قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي ابن كركر وقيل منوله بن
جلندي الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر
قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراهم ملك لان ارادة التعييب مسبب
عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف
الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على
سبيل التقييد والتتميم وقري كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام
فكان ابواه مومنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشاهما طغيانا وكفرا لنعمتهما
بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت
واحد مومنان وطاغ وكافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على
طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله
عنه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسي فلك ان تقتل
وقري فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله

فخشينا

فخشينا حكاية قول الله تعالي فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما
بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما
رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا
هدى الله تعالي به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن
عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم
التفضيل وكذلك زكاة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب
وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالي والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يودي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب
العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا
تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذي
حفظا فيه سبعة ابا وكان سياحا واسمه كاسح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز
ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف
تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الي نفسه
لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام
وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او
لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف
في الالتفات الي الوسايط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن
رايي وانما فعلته بامر الله تعالي ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب
تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرايع في تفاصيله مختلفة
ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التا تخفيفا

ومن فوايد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه
فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في
المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه
ويسالونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل
المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها
وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي
ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال
الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه
والسايلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكه قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
خطاب للسايلين والها الذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا
له امره من التصرف فيها كيف شا فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه
اليه سببا وصلة توصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
التا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمية ذات حماة من حمئت
البير اذا صارت ذات حماه وقرا ابن عامر وحمزة والكسايي وابو بكر حامية اي حارة
ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياها
مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن
في مطمح بصره غير الما ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل
ان ابن عباس سمع معاوية يقرا حامية فقال حمية فبعث معاوية الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ما وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها
عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر
وكانوا كفارا فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم
حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا
في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار

على

على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله تعالى في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا
وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى
وقرا حمزة والكسايي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله
المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى به جزاء
او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا
مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون
التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر
على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره
فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا ميسرا
غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا
توصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس
عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع
الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس
او البنا فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية
كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او
امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف لوجد او لنجعله او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات
والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك
بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا
ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا
بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سد وهما جبلا ارمينية واذربيجان
وقيل جبلان في اخر الشمال في منقطع الترك يبقى من ورايهما ياجوج وماجوج
وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسايي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم

وهما العنات وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في
الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه للناس وقيل بالعكس وبين هاهنا مفعول به
وهو من الظروف المنصرفة ❊وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا❊
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكساي لا يفقهون اي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه ❊قالوا ياذا القرنين❊ اى قال مترجمهم
وفي مصحف بن مسعود قال الذين من دونهم ❊ان ياجوج وماجوج❊ قبيلتان
من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما
الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث ❊مفسدون في الارض❊
اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون في الربيع
فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس
❊فهل نجعل لك خرجا❊ جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكساى خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمه والخرج المصدر ❊على ان
تجعل بيننا وبينهم سدا❊ يحجزون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السد بن غير
حمزة والكساي ❊قال ما مكني فيه ربي خير❊ ما جعلني فيه مكينا من المال والملك
خير مما يبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل
❊فاعينوني بقوة❊ اى بقوة فعلة او بما اتقوي به من الالات ❊اجعل بينكم وبينهم
ردما❊ حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق
رقاع ❊اتوني زبر الحديد❊ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد
الخراج والاقتصار على المعونه لان الايتا بمعنى المناولة ويدل عليه قراة ابي بكر
ردما ايتوني بكسر النون موصوله الهمزة على معني جيئوني بزبر الحديد والبا
محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطا الاله من الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل ❊حتى اذا ساوى بين الصدفين❊ بين جانبي الجبلين امر بتنضيدها
وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم ثم سكون بين جانبي الجبلين
امر بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر بضم الضاد وسكون الدال وقرى بفتح الصاد

وضم

وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه
التصادف للتقابل ❊قال انفخوا❊ قال للعملة انفخوا اى في الاكوار والحديد ❊حتى
اذا جعله❊ جعل المنفوخ فيه ❊نارا❊ كالنار بالاحما ❊قال اتوني افرغ عليه قطرا❊
اى ايتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو
معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول ايتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من
الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف ❊فما اسطاعوا❊ بحذف
التا حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرى بقلب السين صادا ❊ان يظهروه❊ ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه ❊وما استطاعوا له نقبا❊ لثخنه وصلابته وقيل حفر الاساس
حتى بلغ الما وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما
الحطب والفحم حتى ساوى اعلا الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب
النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه
من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها
❊قال هذا❊ هذا السد والاقدار على تسويته ❊رحمة من ربي❊ على عباده ❊فاذا جاء وعد
ربي❊ وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
❊جعله دكا❊ مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل
ادك لمبسوط السنام وقرا الكوفيون دكا بالمد اي ارضا مستوية ❊وكان وعد
ربي حقا❊ كاينا لا محاله وهو اخر حكاية قول ذي القرنين ❊وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض❊ وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون
في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويوبده ❊ونفخ في الصور❊ لقيام الساعة ❊فجمعناهم جمعا❊
للحساب والجزا ❊وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا❊ وابرزناها اظهرناها
لهم ❊الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري❊ عن اياتي الذي ينظر اليها فاذكر
بالتوحيد والتعظيم ❊وكانوا لا يستطيعون سمعا❊ استماعا لذكري وكلامي

لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولا كانهم
اصمت مسامعهم بالكلية. افحسب الذين كفروا. فظنوا والاستفهام للانكار
ان يتخذوا عبادي. اتخاذهم الملائكة والمسيح. من دوني اولياء. معبودين نافعهم
اولا عذبهم بحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا
مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي اكافيهم في النجاة وان بما في حيزه
مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل
او خبر له. انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا. ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه
على ان لهم وراها من العذاب ما يستحقر دونه. قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا. نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم. الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا. ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا
دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السوال او الجر
على البدل او النصب على الذم. وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. لعجبهم
واعتقادهم انهم على الحق. اولئك الذين كفروا بايات ربهم. بالقران او بدلائله
المنصوبة على التوحيد والنبوة. ولقائه. بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه
فحبطت اعمالهم. بكفرهم فلا يثابون عليها. فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا.
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم
لانحباطها. ذلك. الامر ذلك وقوله. جزاؤهم جهنم. جملة مبينة له ويجوز
ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم
بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر. بما كفروا
واتخذوا اياتي ورسلي هزوا. اي بسبب ذلك. ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا. فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلا
درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل. خالدين فيها. حال مقدرة
لا يبغون عنها حولا. تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود. قل لو كان البحر مدادا. ما يكتب به وهو اسم ما
يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج. لكلمات ربي. لكلمات علمه وحكمته

لنفد البحر. لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه. قبل ان تنفد كلمات
ربي. فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه. ولو جئنا بمثله. بمثل البحر الموجود. مددا.
زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من
الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلايل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي
ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم
جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في
كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا
قليلا. قل انما انا بشر مثلكم. لا ادعي الاحاطة على كلماته. يوحى الي انما
الهكم اله واحد. وانما تميزت عنكم بذلك. فمن كان يرجو لقاء ربه. يامل حسن
لقائه. فليعمل عملا صالحا. يرتضيه الله تعالى. ولا يشرك بعبادة ربه احدا.
بان يرائيه او يطلب منه اجرا وروي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله تعالى
لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قراها عند مضجعه كان له نورا يتلالا في مضجعه الى مكة حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا
من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه
الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والحمد لله وحده والصلاة
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم. واتفق الفراغ منه يوم السبت المبارك
رابع عشر شهر رمضان المعظم قدره وحرمته سنة ثلاث وعشرين والف
على يد فقير عفو ربه ومغفرته عبد المجيد بن محمد احمد الجزائري
خادم الشريعة المطهرة بمدينة جرجا
عفى الله عنه والمسلمين